العدد الخامس والعشرون - الجزء الاول - ديسمبر - 2025 - السنة الرابعة مجلة علمية فصلية محكمة

المجلة الأمريكية الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية

American International Journal of Humanities and Social Sciences

الالكتروني (3085 - 4806) (ISSN) / الورقي (3085 - 4830) (ISSN)

رقم الايداع القانوني في المكتبة الوطنية المغربية (2025 Pe00006)

رقم الايداع القانوني في دار الكتب والوثائق العراقية (2735)

تصدر عن الأكاديمية الأمريكية الدولية للتعليم العالي والتدريب

ISSUED BY AMERICAN INTERNATIONAL ACADEMY OF HIGHER EDUCATION AND TRAINING

الموقع الرسمي للمجلة / www.iajphss.us

بسم الله الرحمن الرحيم

رئيس التحرير-أ.د.نزهة إبراهيم الصبري - نائب رئيس الأكاديمية الأمريكية الدولية للتعليم العالي والتدريب- المملكة المغربية – ولاية ديلاوير الامريكية.

نائب رئيس التحرير: أ.د. حاتم جاسم الحسون، رئيس الأكاديمية الأمريكية الدولية للتعليم العالي والتدريب.

مدير التحرير- أ.د. هند عباس على الحمادي-أستاذ بقسم اللغة العربية وعلومها-كلية التربية للبنات-جامعة بغداد، جمهورية العراق) مدقق اللغة العربية).

سكرتارية التحرير

1. أ .م.د. محمد حسن أبو رحمة . وزارة التربية – فلسطين .
2. أ.سكينة إبراهيم الصبري . الشؤون الإدارية . الأكاديمية الأمريكية الدولية للتعليم العالي والتدريب.

أعضاء هيئة التحرير

1. أ.م.د.حقي إسماعيل إبراهيم ، كلية التربية ،الجامعة المستنصرية ،. جمهورية العراق . المدقق العام.
2. أ.د. خالد ستار القيسي ،عميد كلية الإعلام ، الأكاديمية الأمريكية الدولية للتعليم العالي والتدريب.
3. د. مجدي عبد الله الجايح،كلية اللغات والعلوم الإنسانية ، الأكاديمية الأمريكية الدولية للتعليم العالي والتدريب. (مدقق اللغة الإنكليزية)
4. أ. خالد الأنصاري، كلية علوم التربية،جامعة محمد الخامس ،الرباط، المملكة المغربي. (التنضيد)
5. م.م. محمد تايه محمد بخش - وزارة التربية/ المديرية العامة للتربية في محافظة النجف الاشرف/ العراق. (تصميم).

أعضاء الهيئة العلمية

1. .د. أبكر عبد البنات آدم . مدير جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم . جمهورية السودان.
2. أ.د. إلهام شهرزاد روابح . كلية الحقوق والعلوم السياسية . جامعة البليدة 2 . الجمهورية الجزائرية.

3. أ.د. آمال العرباوي مهدي - رئيس قسم التربية المقارنة بكلية التربية - جامعة بورسعيد، جمهورية مصر العربية.

4. أ.د. أمل مهدي جبر- رئيس قسم العلوم التربوية والنفسية. كلية التربية للبنات. جامعة البصرة، جمهورية العراق.

5. أ.د. ناهض فالح سليمان- كلية التربية للعلوم الإنسانية. قسم اللغة الإنجليزية. جامعة ديالى. جمهورية العراق.

6. أ.د. نبيل محمد صالح العبيدي. عميد كلية الدراسات العليا. الجامعة اليمنية. الجمهورية اليمنية.

7. .أ.د.نزهة إبراهيم الصبري نائب رئيس الأكاديمية الأمريكية الدولية للتعليم العالي والتدريب- المملكة المغربية.

8. أ.د. نصيف جاسم أسود سالم الأحبابي. كلية التربية للعلوم الإنسانية. قسم الجغرافية. جامعة تكريت. جمهورية العراق.

9. أ.د. نورة محمد مستغفر. أستاذ التعليم العالي مؤهل، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، المملكة المغربية.

10. أ.د. هاله خالد نجم- رئيس قسم الترجمة. كلية الآداب- جامعة الموصل – جمهورية العراق.

11. أ.د. وسن عبد المنعم ياسين- أستاذ الأدب العربي – كلية التربية للعلوم الإنسانية. جامعة ديالى. جمهورية العراق

12. أ.د. محمد نهان ابراهيم رحيم الهيتي – علوم اسلامية – جامعة الانبار – العراق

13. أ.د. إيمان عباس على حسن الخفاف- عميد كلية التربية الأساسية. الجامعة المستنصرية ، جمهورية العراق.

14. أ.د. برزان ميسر حامد أحمد الحميد. كلية التربية للعلوم الإنسانية. جامعة الموصل. جمهورية العراق.

15. أ.د. تارا عمر أحمد- كلية العلوم السياسية. جامعة السليمانية. جمهورية العراق

16. أ.د.تحرير علي حسين علوان – كلية الفنون الجميلة – جامعة البصرة – جمهورية العراق.

17. أ.د. حسين عبد الكريم أبو ليله. وزارة التربية والتعليم. فلسطين.

18. أ.د. خليفة صحراوي. رئيس قسم اللغة العربية وآدابها. كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية. جامعة باجي مختار عنابة. الجمهورية الجزائرية.

19. أ.د. داود مراد حسين الداودي. دكتوراه العلوم السياسية. مدير وحدة البحوث والدراسات. جامعة القادسية. كلية القانون. جمهورية العراق.

20. أ.د. راشد صبري محمود القصبي- أستاذ التخطيط التربوي واقتصاديات التعليم بكلية التربية. جامعة بورسعيد. جمهورية مصر العربية.

21. أ.د.صفاء محمد هادي - الجامعة التقنية الجنوبية - الكلية التقنية الإدارية – البصره الاختصاص العام دكتوراه ادارة الأعمال.

22. أ.د. سندس عزيز فارس الفارس- خبير تربوي- عميد كلية الدراسات العليا والبحث العلمي في الاكاديمية الأمريكية. جمهورية العراق.

23. أ.د.عدنان فرحان الجوراني. أستاذ الاقتصاد. جامعة البصرة. جمهورية العراق.

24. أ.د. غادة غازي عبد المجيد- أستاذ في كلية التربية للعلوم الإنسانية – جامعة ديالى. جمهورية العراق.

25. أ.د. ماجدولين محمد النهيبي- كلية علوم التربية. جامعة محمد الخامس. الرباط، المملكة المغربية.

26. أ.د. ماهر إسماعيل صبري محمد يوسف- أستاذ ورئيس قسم المناهج وطرق التدريس وتكنولوجيا التعليم ، رئيس رابطة التربويين العرب. كلية التربية. جامعة بنها. جمهورية مصر العربية.

27. أ.د. ماهر مبدر عبد الكريم العباسي. نائب عميد كلية التربية للعلوم الإنسانية. جامعة ديالى. جمهورية العراق.

28. أ.م.د. محمد ماهر محمود الحنفي. رئيس قسم أصول التربية. كلية التربية. جامعة بور سعيد. جمهورية مصر العربية.

29. أ.م.د.عبد الباقي سالم – تدريسي في كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة – جامعة بابل- جمهورية العراق.

30. أ.م.د.آوان عبد الله محمود الفيضي. دكتوراه قانون خاص. كلية الحقوق. جامعة الموصل. جمهورية العراق.

أعضاء الهيئة الاستشارية

1. أ.م.د.آرام نامق توفيق . كلية العلوم . جامعة السليمانية . جمهورية العراق.
2. م. د. بلال حميد داوود- أستاذ بالمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين– مدير المركز المتوسطي للدراسات والأبحاث- المملكة المغربية.
3. د. جميلة غريّب . قسم اللّغة العربيّة و آدابها . جامعة باجي مختار. عنابة . الجمهورية الجزائرية .
4. أ.د. حورية ومان . أستاذ التاريخ المعاصر . جامعة محمد خيضر. بسكرة الجمهورية الجزائرية.
5. أ.د. خالد عبد القادر التومي- باحث في المركز القومي للبحوث والدراسات العلمية . ليبيا.
6. أ.د. رائد بني ياسين- عميد كلية الأعمال . قسم نظم المعلومات . الجامعة الأردنية- فرع العقبة . المملكة الأردنية الهاشمية .
7. أ.م.د. رشيدة علي الزاوي- أستاذ التعليم العالي . المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين . الرباط . المملكة المغربية.
8. أ. م.د. رضا قجة. علم الاجتماع – كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية – جامعة محمد بوضياف – المسيلة – الجمهورية الجزائرية.
9. د. صفاء محمد هادي هاشم- معاون عميد الشؤون الادارية والطلبة . كلية التقنية الإدارية . جمهورية العراق.
10. أ.د. كامل علي الويبة- رئيس جامعة بنغازي الحديثة – ليبيا .
11. أ.د. علي سموم الفرطوسي . كلية التربية الأساسية . الجامعة المستنتصرية . جمهورية العراق.
12. د. حدة قرقور . كلية الحقوق . جامعة محمد بوضياف . المسيلة . الجمهورية الجزائرية.
13. أ.د. مازن خلف ناصر. كلية القانون . جامعة المستنصرية . جمهورية العراق .
14. د. محمد عيد السريحي . مستشار وعضو مؤسس لجمعية البيئة السعودية . المملكة العربية السعودية.
15. أ.م.د. محمد عبدالفتاح زهرى- رئيس قسم الدراسات الفندقية- كلية السياحة والفنادق – جامعة المنصورة- جمهورية مصر العربية.
16. م.د. محمد مولود امنكور . كلية العلوم الإدارية والمالية والاقتصادية . الأكاديمية الأمريكية الدولية للتعليم العالي والتدريب.
17. م.د.مروة إبراهيم زيد التميمي . كلية الكنوز . الجامعة الأهلية . جمهورية العراق .

18. أ.م.د. هلال قاسم أحمد المريسي. عميد الشؤون الأكاديمية الأميركية للتعليم العالي والتدريب.
جامعة العلوم الحديثة. الجمهورية اليمنية.
19. أ.د. نادية حسين العفون، كلية التربية للعلوم الصرفة. ابن الهيثم- جامعة بغداد، جمهورية العراق.

مقال العدد

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمدّ لله على فضله ونعمته ، والصلاة والسلام على رسوله الكريم وآله ، أمّا بعد

يسرّنا أن نقدم لكم العدد 25 الجزء الاول من المجلة الأمريكية الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، الذي يضم مجموعة من البحوث العلمية المتميزة التي شارك بها باحثون من مختلف دول العالم. يشتمل هذا العدد على أعمال بحثية مقدمة في المؤتمر العلمي الدولي الواحد والعشرون، وهو ما يمثل وقائع المؤتمر ، مما يعكس تنوعًا علميًا وثراءً في المواضيع المطروحة.

لقد دأبت هيئة التحرير على تطبيق معايير التقييم العلمية شأنها بذلك شأن المجلات الرصينة المثيلة في حقل التخصص والنشر العالمي ، فعرضت البحوث على محكمين لهم مكانتهم العلمية في فضائهم العلمي ، ويعودون لجنسيات مختلفة ، ومن جامعات متباينة ، منها الجامعات الحكومية التي ترجع بمرجعيتها إلى بلدان العالم المختلفة ، فضلا عن الاستعانة بخبراء من جامعات خاصة اثبتوا بشكل علمي أنهم أهل للتحكيم واطلاق الحكم على علمية البحث المقدم للمجلة ، وصلاحيته للنشر.

حرصت هيئة التحرير على عرض البحث المقدم من لدن كاتب البحث على محكمين اثنين ، وتقديمه لهما ، بتوقيتات زمنية محددة ، فأن اتفق المحكمان على صلاحية البحث ، تم تحويله إلى مرحلة التنضيد والنشر ، بعد التأكد من دقة تطبيق تعليمات النشر الخاصة بالمجلة . وإن اختلف المحكمان في التقييم المطلق على البحث المقدم ، حول البحث لمحكم ثالث ، فأن قبله ، تم تحويله للمرحلة الثانية التنضيد والنشر ، وإن رفضه ، عندئذ يرفع البحث من قائمة البحوث المعدة للنشر.

لم يختلف منهج هيئة التحرير في آلية قبول البحوث ، وعدّها للنشر عن غيرها من المجلات العلمية ؛ لأن الرصانة العلمية هو هدفها الذي تسعى للوصول إليه ، واعتمدت نظاما دقيقا في استقبال البحوث ، وتقديمها للمقومين ، واشعار الباحثين بقبول النشر ، وفقا لأمر إداري يصدر عن المجلة ، يعد مستندا في صحة نشر البحث في المجلة ، مع تثبيت العدد الذي نشر فيه مذيلا بإمضاء رئيس التحرير.

احتوى هذا العدد في طياته مجموعة من البحوث ، والتي تحمل موضوعات متنوعة ، ذات الطابع الإنساني والاجتماعي ، ضمن تخصص المجلة ، وكل الأفكار التي طرحت تحمل الرؤى العلمية وأبعادها ، والنظرية التي يؤمن بها أصحاب تلك الأفكار ، لذلك كانت المجلة دقيقة ؛ لأجل عرض تلك الأفكار من دون التدخل فيها ، مع متابعة كونها لا تؤدي إلى خلق الفوضى العلمية ، أو تحريض للعنف ، أو للتطرف العلمي والمجتمعي.

نحن فخورون أيضًا أن هذا العدد يصادف حدثًا مميزًا في مسيرة المجلة، حيث تم اعتمادنا من قبل المكتبة الوطنية المغربية للحصول على الاعتماد القانوني، ومنحنها التسلسل الرقمي الدولي (ISSN) للنسخة الإلكترونية وأيضًا للنسخة الورقية. هذا الإنجاز يعكس التزامنا بتقديم محتوى علمي رصين ومتنوع، ويسهم في تعزيز مكانة المجلة كمصدر مرجعي معترف به عالميًا.

15/12/2025 الرباط ـ المملكة المغربية هيئة تحرير المجلة

الملاحظة القانونية

البحوث المنشورة في المجلة لا تعبر عن وجهة نظر المجلة ، بل عن رأي كاتبها

فهرس الموضوعات

الأنساق الثقافية المضمرة للتراث العربي وتوظيفها في الرسم العراقي المعاصر
أ.د. دلال حمزة محمد / أ.د. تسواهن تكليف مجيد 11

فاعلية استراتيجية مقترحة قائمة على نظريتي القبول التكنولوجي (TAM) والنظرية الترابطية في تنمية مهارات التعلم الشبكي والتفكير الإبداعي في مادة اللغة العربية لدى طلبة الصف الخامس الادبي
أ.د. ذرغـام جبار حمود..... 42

النشاط التعليمي والمؤسسات التعليمية في شرق أفريقيا خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي
د. سليمان بن سعيد الكيومي..... 59

الدبلوماسية الثقافية والقوة الناعمة في العلاقات الدولية تنامي قوة الدبلوماسية الناعمة في العلاقات الدولية
م. د هناء رحيم زيدان..... 73

التطور الدلالي للألفاظ العربية في عصر العولمة
مبروكة الصادق الامجد الفقي..... 94

البحث التاريخي والذكاء الاصطناعي: تجريد أم تجويد
حفصة أعبود..... 110

جماليات الانزياح النحوي في الشعر الأندلسي (ظاهرة التقديم والتأخير أنموذجًا.)
م. م. حيدر عبد الكاظم إسماعيل..... 121

النبوة والوحي في الاستشراق الأمريكي نقد الإشكاليات الفكرية في مشروع واشنطن إرفينج
م.م. خزعل راجي صايل..... 138

مساهمة الهيئات الاستشارية في التنمية المحلية كخيار أمثل واشكالية التفعيل داخل الجماعات الترابية المغربية- جهة الرباط سلا القنيطرة.
سميرة الكرومي / د.طيب العيادي..... 156

رمزية الإمام الحسين (عليه السلام) في شعر الجواهري قصيدة (آمنتُ بالحسين) أنموذجاً
م . م. علي حسين جاسم..... 180

اتجاهات الأسيرات الفلسطينيات المحررات نحو تغطية الإعلام الفلسطيني لقضيتهن خلال حرب طوفان الأقصى
أنسام عبد الناصر موسى شواهنة / د. فريد عبد الفتاح أبوضهير..... 196

الأنساق الثقافية المضمرة للتراث العربي وتوظيفها في الرسم العراقي المعاصر

أ.د. دلال حمزة محمد
كلية الفنون الجميلة / جامعة بابل / قسم التصميم / العراق
dalosh590@gmail.com
009647870440007

أ.د. تسواهن تكليف مجيد
كلية الفنون الجميلة / جامعة بابل / قسم التصميم / العراق
tklyft770@gmail.com
009647806719160

الملخص

تناول البحث الحالي دراسة (الانساق الثقافية المضمرة للتراث العربي وتوظيفها في الرسم العراقي المعاصر) في محاولة للامساك بتلك البنى التراثية التي استحضرها الرسام العراقي المعاصر من عمق التاريخ واحالها انساقاً مضمرة يحاول المتلقي رصدها كفجوات نصية عالقة في المنجزات الفنية, متسيدة رغم انفتاح النصوص وتعدد القراءات وتقويض الاسس العقلية والسرد الحكائي وغيرها من حيثيات العولمة المؤثرة بشكل او بآخر في سياقات الرسم العربي ومنه العراقي المعاصر , لذلك حاولت مشكلة البحث الاجابة عن التساؤلات الاتية :- ما هي الانساق الثقافية المضمرة للتراث العربي ؟ وكيف تم توظيفها في التشكيل العراقي المعاصر؟ وجاءت اهمية البحث: تسليط الضوء على دراسة المرجعيات التاريخية للتراث العربي والعراقي بشكل خاص. كذلك تحفيز البحث النقدي التخصصي في مجالات الفنون التشكيلية , وفهم تمثلاتالانساق الثقافية المضمرة وتطبيقاتها في الفن. اما هدف البحث (الكشف عن الانساق الثقافية المضمرة للتراث العربي وتوظيفها في التشكيل العراقي المعاصر) وجاء الفصل الثاني بمبحثين :المبحث الأول / مفهوم الانساق الثقافية المضمرة. المبحث الثاني / المقاربات الفنية بين التراث العربي والمرجعيات التاريخية للفن العراقي المعاصر اما الفصل الثالث فتناول اطار مجتمع البحث رصد (50) عمل فني عراقي معاصر تم انتقاء (4) نماذج منها كعينة بحث بالطريقة القصدية واعتماد مؤشرات الاطار النظري في تحليل النماذج واعتماد المنهج الوصفي بأسلوب تحليل المحتوى . اما الفصل الرابع فكان من ابرز نتائجه : سعى الفنان العراقي المعاصر الى استحضار تراثه الرافديني والاسلامي القديم وترسيخ فكرة النسق المضمر في منجزاته الفنية من خلال المزاوجة بين التراث والمعاصرة , استناداً الى انماط التحولات المعرفية والثقافية والعلمية والسياسية والاجتماعية التي طالت بنية المجتمع العراقي. ومن ابرز الاستنتاجات : لعبت الانساق التراثية المضمرة دوراً فاعلاً في انشاء علاقة بين البحث الدلالي وبين الخطاب الثقافي , اذ عملت على اقصاء فكرة المحمولات الجمالية التقليدية في الرسم العراقي المعاصر , وتقديم الميكانزمات الفنية المعاصرة كبدائل مغايرة من منظور الرؤية الاشتغالية للنقد الثقافي .

الكلمات المفتاحية : الانساق المضمرة– النقد الثقافي– التراث العربي – التوظيف

The implicit cultural patterns of Arab heritage and their use in contemporary Iraqi painting

Prof. Dr. Dalal Hamza Mohammed

Prof. Dr. taswahuna taklif majid

Iraq / College of Fine Arts / University of Babylon / Department of Design

abstract

The current research deals with the study of (the implicit cultural patterns of Arab heritage and their use in contemporary Iraqi painting) in an attempt to grasp those heritage structures that the contemporary Iraqi painter has brought forth from the depths of history and transformed into implicit patterns that the recipient tries to detect as textual gaps stuck in the artistic achievements. Despite the openness of texts, the multiplicity of readings, the undermining of intellectual foundations, narrative storytelling, and other aspects of globalization that influence, in one way or another, the contexts of Arab art, including contemporary Iraqi art, the research problem attempted to answer the following questions: What are the implicit cultural patterns of Arab heritage? And how have they been employed in contemporary Iraqi art? The importance of this research lies in highlighting the historical references of Arab heritage, and Iraqi heritage in particular. It also aims to stimulate specialized critical research in the field of visual arts and to understand the representations of implicit cultural patterns and their applications in art. The research aims to uncover the implicit cultural patterns of Arab heritage and their application in contemporary Iraqi art. Chapter Two comprises two sections: Section One: The Concept of Implicit Cultural Patterns; Section Two: Artistic Approaches Between Arab Heritage and the Historical References of Contemporary Iraqi Art. the research community framework, monitoring (50) contemporary Iraqi artworks, from which (4) models were selected as a research sample using the purposive method, and the theoretical framework indicators were adopted in analyzing the models, and the descriptive approach was adopted using the content analysis method. As for the fourth chapter, one of its most prominent results was that the contemporary Iraqi artist sought to recall his ancient Mesopotamian and Islamic heritage and to consolidate the idea of the implicit pattern in his artistic achievements through the combination of heritage and modernity, based on the patterns of cognitive, cultural, scientific, political and social transformations that affected the structure of Iraqi society. One of the most prominent conclusions is that the implicit heritage patterns played an active role in establishing a relationship between semantic research and cultural discourse, as they worked to eliminate the idea of traditional aesthetic concepts in contemporary Iraqi painting, and to present contemporary artistic mechanisms as different alternatives from the perspective of the operational vision of cultural criticism.

Keywords: Implicit patterns, Cultural criticism – Arab heritage - Employment

الفصل الاول: الإطار المنهجي للبحث

- **مقدمة البحث.**

تشكل الانساق الثقافية المضمرة احدى الركائز الأساسية لفهم البنى العميقة للثقافة، حيث انها لا تظهر بوضوح في الممارسات اليومية، لكنها تسهم في تشكيل أنماط التفكير والسلوك الاجتماعي بطريقة غير واعية. ويرى العديد من الباحثين أن هذه الانساق تعمل كقوة خفية تُعيد انتاج القيم والمعايير الاجتماعية عبر الأجيال، مما يجعلها محركاً أساسياً للتحولات الثقافية والنفسية في المجتمعات تنعكس هذه الانساق في العادات والتقاليد والتصورات الذهنية والانماط اللغوية، مما يسهم في تحديد ما هو مقبول اجتماعياً,كما تؤثر على الهوية الفردية والجماعية، مما يؤثر على شعور الأفراد بالانتماء والاستقرار النفسي. ويعد تحليل الأنساق الثقافية المضمرة ضرورياً لفهم تأثير الثقافة على النفس والمجتمع، مما يجعله موضوعاً رئيسياً في الدراسات الثقافية.

لقد عبر الفنان عن علاقته بمحيطه الاجتماعي بوسائل مختلفة تنوعت بتنوع الفنون وأنواعها المختلفة، في سعيَ دائم لتصوير الحياة اليومية بموروثاتها الشعبية بدقة لإبراز الصدق في توثيق الحياة بطريقة جمالية، إذ نجد ان الموروث مرتبط بالفن التشكيلي من خلال توظيف المهارة عن طريق الابداع والتعبير عن الافكار القادرة على تحقيق هذا الفن في التقاليد الشعبية، (فالّتراث موروث عن الأجداد، تركوا لنا فيه نتاج خبراتهم ومعارفهم ، لنصل إلى الّتراث بوصفه موروثاً فاعًلا متطورا فالناس هم صّناع التراث وقد انتقل التراث من شخص الى اخر عن طريق الذاكرة، او بالممارسة ويعبر التراث عن الامة وهويتها ويشمل العادات، التقاليد، الرقص، الفنون، الحكايات، والظواهر التقليدية للنظام الاجتماعي) (حسين،2013، ص12).

- **مشكلة البحث**

ان التنوع الاسلوبي في الرسم العراقي المعاصر, ذلك التنوع الذي لا بد ان له جذور ومؤثرات فكرية وذوقية قد يكون سبباً مهماً في تغذية تلك التوجهات الاسلوبية والموضوعية في اعمال الفنان العراقي, فالفنان العراقي المعاصر قد نشأ في بيئة ذات منابع تاريخية وثقافية عريقة ومتينة, تتصادم مع ظروف اجتماعية واقتصادية وسياسية تتخبطها الحروب وغيرها هذه الامور لابد لها ان تشكل انساقاً ثقافية تقبع في ذهن الفنان وتظهر بشكل مباشر او غير مباشر في اعمال الفنان , والفنان عضو من مجتمع ولا بد لظروف المجتمع سواء كانت اجتماعية او سياسية اودينية, ستلعب دوراً مهماً في بلورة شخصية الفنان وتوجهاته الفنية, فهي متجذره في اللاوعي, تسكن اللاشعور لدى الفنان, أي انها انساق ثقافية مضمرة .

من خلال ما تقدم تنشأ مشكلة البحث وتتجسد في الاجابة عن التساؤلات الاتية:ما هي الانساق الثقافية المضمرة للتراث العربي ؟ وكيف تم توظيفها في التشكيل العراقي المعاصر؟

- **اهمية البحث والحاجة اليه.**

1. تسليط الضوء على دراسة المرجعيات التاريخية للتراث العربي والعراقي بشكل خاص.
2. تعزيز دور النقد باعتباره موازياً ابداعياً للعملية الفنية, تحديداً في مجال التشكيل العراقي المعاصر.
3. تحفيز البحث النقدي في مجال الفنون. وفهم تمثلات الانساق الثقافية المضمرة وتطبيقاتها في الفن.
4. اما حاجة للبحث يفيد البحث الدارسين في مجال النقد والادب ومجال الفنون التشكيلية على حد سواء.

- **هدف البحث.**

يهدفالبحث الحالي الى (الكشف عن الانساق الثقافية المضمرة للتراث العربي وتوظيفها في الرسم العراقي المعاصر).

- **حدود البحث.**

يتحدد البحث الحالي بدراسة الانساق الثقافية المضمرة للتراث العربي وتوظيفها في الرسم العراقي المعاصر, عبر الاعمال التشكيلية (الرسم) المتوافرة في المصادر وشبكة الانترنت للفترة الزمنية من (2000 – 2025).

- **فروض البحث** : تفترض الباحثتانان الفن التشكيلي العراقي المعاصر بكلرموزه وأساليبه التعبيرية،يحمل الكثيرمن القيم والتصورات غير المعلنة كأنساق ثقافية مضمرة يمكن ان تؤثر وتنعكس من خلالها مما يكشف عن دلالات ثقافية خفية في تمثيل التراث العربي.
- **الدراسات السابقة** :لم تعثر الباحثتان على دراسات سابقة فيما يتعلق بعنوان البحث .
- **ادوات البحث** :تم اعتماد مؤشرات الاطار النظري وما تضمنته من اطر وانساق نقدية وفلسفية واجتماعية ونفسية ودينية وسياسية واعتمادها كمحكات في تحليل نماذج العينة..
- **منهج البحث** :تم اعتماد المنهج الوصفي بأسلوب تحليل المحتوى في تحليل نماذج العينة.

متن البحث (الاطار النظري)

المبحث الأول/ مفهوم الانساق الثقافية المضمرة.

يشير مصطلح (النسق الثقافي المضمر) الى شبكة غير مرئية من القيم والمعتقدات والتقاليد التي تحكم تصرفات الافراد والمجتمعات دون أن يتم ادراكها بشكل مباشر. أن هذه الانساق تعمل وفق (البنى العميقة) التي تحدد طرق التفكير والسلوك الجمعي، حتى وان لم تكن واعية أو مكتوبة في شكل قوانين رسمية (شتراوس،1983، ص64)ويعد النسق المضمر من المفاهيم المركزية في النقد الثقافي.*)(

يتسم هذا المفهوم بوجود تأثيرات بعيدة المدى تتجاوز الادراك الواعي للأفراد، حيث تؤثر هذه الأنماط المضمرة على تصوراتهم للأشياء والمعاني المرتبطة بها. فان الثقافة المضمرة ليست مجرد مجموعة من التقاليد، بل هي أيضاً آلية لتكوين الهوية الثقافية والسياسية للأفراد والجماعات. ان هذه الأنماط الثقافية تتحكم في فكر الناس وتصرفاتهم تجاه الثقافات الأخرى دون أن يدركوا التأثيرات العميقة لهذه الأفكار في تشكيل مواقفهم وسلوكياتهم (سعيد،1991، ص67)

(*)النقد الثقافي : لقد درس الادب الفني والجمالي بوصفه ظاهرة ثقيلة مضمرة, وبتعبير اخر, هو ربط الادب بسياقه الثقافي غير المعلن , ومن ثم لا يتعامل النقد الثقافي مع النصوص والخطابات الجمالية والفنية على انها رموز جمالية ومجازات شكلية موحية, بل على انها انساق ثقافية مضمرة تعكس مجموعة من السياقات الثقافية التاريخية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والاخلاقية والقيم الحضارية والانسانية, (حمداوي , 2011)

من منظور اخر، فأن هذه الانساق تندرج ضمن ما يُعرف بـ (الهابيتوس) (*)، أي أنماط الادراك والسلوك المتجذرة في البنية الاجتماعية، والتي يكتسبها الأفراد عبر التنشئة الاجتماعية دون ادراك مباشر لتأثيرها. و(الهابيتوس)، لا يعكس مجرد سلوك أو عادة فردية، بل نظام من الاتجاهات التي تكون ذهنية الجماعة الاجتماعية بأكملها، ويعمل على تحديد كيفية رؤية الأفراد لأنفسهم وللعالم المحيط بهم. (فالهابيتوس) لا يتمثل في فكرة (الاختياراتالحرة) أو (الأفعال الواعية) فقط، بل يتداخل مع الواقع الاجتماعي الذي يجعل بعض الأفعال تتسم بالتكرار والروتين، بينما تبدو أفكار وسلوكيات أخرى أكثر اختلافاً عن المألوف. في هذا السياق، يصبح (الهابيتوس) أداة لفهم كيفية توجيه المجتمع لأفرادهومدى التفاعل وفقاً لقيم وأعراف معينة· حيث ان الافراد اليوم يعيشون في بيئة متغيرة تؤثر على هويتهم وسلوكهم، مما يؤدي الى تفاعل (الهابيتوس)، مع التحولات الاجتماعية التي تطرأ على الافراد. كما يمكن ربط (الهابيتوس) بفكرة التفاعل الاجتماعي وكيف يسهم في تشكيل مفاهيم الهوية الشخصية , ويرى بعض الباحثين ان (الهابيتوس) ليس ثابتاً، بل يمكن أن يتغير مع مرور الوقت بناءاً على تجارب جديدة قد يمر بها الأفراد. هذا التغيير لا يعني ان (الهابيتوس) يتحول بشكل كامل، ولكن يمكن أن يطرأ عليه تعديل تدريجي نتيجة لتعرض الفرد لتجارب اجتماعية جديدة، كما يحدث عند الانتقال الى بيئات ثقافية أو اجتماعية مختلفة. وأن (الهابيتوس) يتأثر بتجارب الأفراد وتفاعلاتهم مع الواقع الاجتماعي المتغير. ومع مرور الوقت يكتسب الافراد أساليب جديدة في التفكير والسلوك تتماشى مع السياقات الاجتماعية الجديدة.(جيدنز،1991، ص 72)

وفيما يتعلق بالجانب النظري يعد (الهابيتوس) جزءاً من النظرية التي طورت من خلالها مفهوم (الوعي الجمعي) الذي يشبه الى حد كبير مفهوم (الهابيتوس). حيث ان الافراد لا يتصرفون بشكل فردي محض، بل ان سلوكهم ووعيهم مدفوعان بالقيم والمعايير الاجتماعية التي هي نتاج الجماعة، مما يشكل سلوكيات الافراد استناداً الى التنشئة الاجتماعية التي يتلقونها (دوركايم،1950، ص112), وكيف تؤثر العوامل الثقافية والدينية على السلوكيات الاجتماعية. الا أن (الفعل الاجتماعي) و(العوامل الثقافية) تشترك مع مفهوم (الهابيتوس) في تفسير كيفية تأثر تصرفات الافراد بالقيم والمعايير الاجتماعية (فيبر،2015، ص350) , هذه الفكرة تشابه مفهوم (الهابيتوس)، حيث يساهم المجتمع في تشكيل سلوكيات الافراد من خلال آليات غير مرئية، كالسلطة والمراقبة (فوكو،1990، ص130) ومن هنا يتضح ان للانساق الثقافية مستويات منها:

- **النسق الرمزي:** ويشمل المعتقدات والاساطير واللغة، حيث أن اللغة ليست مجرد وسيلة للتواصل، بل هي بنية ثقافية تحمل دلالات نفسية عميقة تؤثر في طريقة فهم الافراد للعالم (غيرتز،2009 ، ص97)ويُعد النسق الرمزي أحد اهم مستويات الانساق الثقافية، اذ يشمل المعتقدات والاساطير واللغة، حيث لا تقتصر اللغة على كونها أداة تواصل فحسب، بل تُعَدُّ نظاماً ثقافياً يحمل دلالات نفسية ومعرفية عميقة تؤثر في ادراك الأفراد للعالم. فاللغة بوصفها نسقاً رمزياً، ليست مجرد مجموعة من الكلمات والعبارات، بل هي وسيط يُنتج المعاني ويعيد انتاجها، مما ينعكس على

(*)الهابيتوس: يشير هذا المفهوم الى العمليات النفسية والاجتماعية التي تعمل على تشكيل تصرفات الأفراد وتوجهاتهم دون أن يكونوا واعين لهذه العمليات. ويتشكل الهابيتوس من خلال التأثيرات الاجتماعية المتراكمة التي يتعرض لها الفرد منذ الطفولة، ويتمثل ذلك في الممارسات اليومية التي تعتبر بمثابة (قوالب)، غير مرئية لكنها تؤثر بشكل عميق في اختيار الافراد للأذواق، المواقف، الافكار. (بوردير، 2024، ص 170).

التصورات الذهنية والتفاعلات الاجتماعية داخل المجتمع. وقد أشار عالم الأنثروبولوجيا (كلود ليفي شتراوس)(*) الى ان اللغة تشكل البنية الاساسية التي يتم من خلالها ترميز الثقافة، حيث تتجلى في الاساطير، والرموز، والعادات الاجتماعية (شتراوس ,1983، ص100)فاللغة ليست مجرد أداة للتفاهم، بل هي نظام دلالي يعكس التكوين الثقافي والنفسي للمجتمع. فالأنساق الثقافية المضمرة في اللغة العربية تساهم في تشكيل الهوية الجماعية، وتعكس تصورات المجتمع عن ذاته وعن الآخر، مما يؤثر في وعي الأفراد وسلوكياتهم. كما ان اللغة تحمل دلالات نفسية، اذ تعمل كآلية دفاعية تعكس القيم والمخاوف الجمعية، وتعيد انتاج التصورات الاجتماعية في اطار معين، مما يجعلها أداة حيوية في تشكيل الادراك الجماعي وإعادة انتاج الواقع الثقافي (المسدي،2014).

والى جانب اللغة، تعد الاساطير مكوناً من مكونات النسق الرمزي، حيث تعمل كوسيلة لترميز المعاني والقيم المجتمعية. وفقاً لـ (رولان بارت)(*) ، فان الأسطورة ليست مجرد قصة خيالية، بل نظام دلالي يعمل على ترسيخ ايديولوجيات معينة داخل المجتمع، حيث يتم استغلال الرموز والاساطير لإضفاء الشرعية على أنظمة السلطة والقيم السائدة (بارت، 1956، ص55)

وتلعب الاساطير دوراً رئيسياً في تحديد الادوار الجندرية[1](**)، حيث يتم عبر السرديات الرمزية تكريس صورة معينة عن الذكورة والانوثة، وهو ما ينعكس على الهياكل الاجتماعية وممارسات الأفراد ويرتبط النسق الرمزي أيضاً بالمعتقدات الدينية، فالدين ليس مجرد نظام عقائدي، بل هو تعبير عن الحاجة الجمعية الى خلق معنى مشترك يربط الأفراد بالمجتمع (دوركهايم، 2019 ، ص188) . فالمقدس والمدنس، ليست مجرد تصنيفات دينية، بل رموز تعكس القيم الجماعية، حيث يتم ترميز السلطة، والهوية، والانتماء الثقافي من خلال الطقوس الدينية والشعائر. ان الانساق الرمزية، بما فيها اللغة والمعرفة، تُستخدم كأدوات للسلطة، حيث يتم التحكم في انتاج المعاني والتصورات من خلال الخطابات المسيطرة داخل المجتمع (فوكو, 1971، ص49).

(*)كلود ليفي شتراوس: (28 نوفمبر 1908- 30 أكتوبر 2009). عالم اجتماع وأنثروبولوجي ولد في بروكسل وتوفي في فرنسا يعد كلود ليفي شتراوس من أهم البنيويين المعاصرين، وأكثرهم شهرة، بل ان البنيوية ترتبط باسمه ارتباطاً مباشراً وهذا ما جعل الباحثين يطلقون عليه عدد من الألقاب التي تشير الى مدى تأثيره وتأثره بالبنيويين والبنيوية عموماً، فلقب بعميد البنائيين، أو شيخ البنيويين، ولعل هذا الاهتمام من قبل الباحثين به يرجع الى استعماله المنهج البنيوي في كافةالمجالات التي تطرق اليها بالبحث وخصوصا في مجال الأنثروبولوجيا.. (https://ar.wikipedia.org.

(*)رولان بارت: يعد رولان بارت (1915- 1985) واحداً من اهم اعلام النقد، ليس في فرنسا فحسب، ولكن خارجها ايضاً ولعل السبب الذي جعله يحظى بهذه المكانة، يكمن في حساسيته الغنية مع قدرته العلمية الهائلة على اختراق ميادين معرفية وعلمية عديدة وتجاوزها (علم الاجتماع، علم النفس الفلسفة، الانثروبولوجيا، اللسانيات، نظرية المعرفة) ثم التركيب بينها، والإفادة منها في اطار ما يسمى اليوم تداخل العلوم، واذا كان بارت قد بدأ النشر في الاربعينات من هذا القرن، فأنه لم يتوقف حتى منتصف الثمانينات، حين حانت وفاته في حادث سيارة . وهذا يدل ، على امتداد الأربعين سنة على الأقل، قد مارس الكتابة النقدية.. (بارت، ، 1992، ص54).

(**)الجندرية: وتترجم كلمة الجندر (gender) بالنوع الاجتماعي وهو أساساً مقولة ثقافية وسياسية تختلف عن الجنس باعتباره معطى بيولوجياً. وتعني الأدوار والاختلافات، التي تقررها وتبنيها المجتمعات بين الرجل والمرأة، والبحث عنه (gender)، يمكننا من تعويض الماهوية البيولوجية بالبنائية الثقافية، بحيث يتبين لنا ان الاختلاف بين المرأة والرجل مبنى ثقافياً وايديولوجياً، وليس نتيجة حتمية بيولوجية. = (للمزيد (بعلي، ، 2009، ص44).

فالسلطة ليست مجرد قوة قمعية، بل هي قدرة على تشكيل الوعي الجمعي من خلال اللغة و والرموز الثقافية، فالمصطلحات المستخدمة في الخطابات السياسية والإعلامية تُعيد انتاج علاقات القوة عبر ترسيخ مفاهيم معينة واقصاء أخرى، مما يعكس العلاقة الوثيقة بين النسق الرمزي والهيمنة الثقافية. وعلى الرغم من ثبات العديد من الانساق الرمزية، الا انها ليست جامدة، بل تتغير تبعاً للتحولات الاجتماعية والثقافية. ان اللغة والرموز الثقافية تتغير من خلال الصراعات الاجتماعية التي تسعى فيها الفئات المختلفة الى فرض تعريفاتها الخاصة للواقع فالتغيرات اللغوية تعكس تحولات في موازين القوى الاجتماعية، كما هو الحال عند أعادة تعريف المصطلحات المتعلقة بالهويات الجندرية أو الحقوق المدنية (بوديو،2022، ص78)

كذلك تعد المعتقدات الدينية جزءاً أساسياً من هذا النسق، فالدين ليس مجرد منظومة عقائدية، بل اطار رمزي يعزز الروابط الاجتماعية من خلال الطقوس والشعائر التي تحدد موقع الأفراد داخل الجماعة (دوركهايم، 2019 ,ص88)

يتضح مما تقدم ان النسق الرمزي يُعد اطاراً حيوياً لفهم الثقافة، حيث يشمل اللغة، والاساطير، والمعتقدات، التي تشكل أدوات أساسية في بناء المعاني الجماعية وإعادة انتاج البنى الاجتماعية. كما أن هذه الأنساق لا تقتصر على كونها أدوات للتعبير، بل هي ايضاً آليات للسلطة والتأثير في الوعي الجمعي .

- **النسق الاجتماعي**: يتجلى في العادات والتقاليد التي تفرض سلوكيات معينة دون الحاجة الى تقنيتها رسمياً، مثل مفاهيم الشرف والعيب في المجتمعات العربية (جصاص،2019 ص330). فالنسق الاجتماعي لا يقتصر على كونه مجرد مجموعة من العادات والتقاليد، بل يمثل اطاراً معيارياً يوجه سلوك الافراد ضمن المجتمع. فمفاهيم مثل الشرف والعيب، على الرغم من عدم تقنيتها رسمياً، تمتلك قوة تنظيمية تفوق في بعض الأحيان القوانين المكتوبة، اذ تؤدي دوراً حاسماً في ضبط العلاقات الاجتماعية وتحديد المقبول والمرفوض في السلوك الفردي والجماعي. فالقيم والمعايير الاجتماعية تشكل ما يُعرف بـ(الأخلاق التقليدية)، التي تستمد مشروعيتها من الأعراف الراسخة، مما يجعلها أكثر تأثيراً من القوانين الوضعية في بعض السياقات (فيبر، 1986 ، ص350).

تعمل العادات والتقاليد كآليات غير رسمية للضبط الاجتماعي، حيث تفرض سلوكيات معينة وتعاقب من يخرج عنها عبر آليات اجتماعية مثل النبذ او الوصم الاجتماعي. فهذه الانساق تندرج ضمن ما أسماه (التضامن العضوي)، حيث تُشكل معايير ثقافية توحد المجتمع وتحدد سلوك أفراده دون الحاجة الى سلطة قانونية مباشرة (دوركهايم ,، 1893، ص85) , ففي المجتمعات العربية، يُعتبر مفهوم (العيب) أداة فعالة في ضبط السلوك، حيث يشكل ضغطاً نفسياً واجتماعياً يدفع الافراد الى الامتثال للأعراف السائدة. كما يرتبط مفهوم "الشرف" بالبنية الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع، حيث يتجلى بشكل خاص في المجتمعات التقليدية التي تمنح أهمية كبرى للروابط العائلية والجماعية.

أن الشرف ليس قيمة فردية فقط، بل هو جزء من نظام اجتماعي يستخدم للحفاظ على الهياكل السلطوية داخل الاسرة والمجتمع (معزوز، 2012، ص16)ففي العديد من المجتمعات العربية يرتبط شرف العائلة بسلوك أفرادها، خاصة النساء، مما يعكس بُعداً جندرياً للنسق الاجتماعي يحدد أدوار الأفراد وفقاً لمعايير ثقافية متوارثة، وعلى الرغم من استمرارية الانساق الاجتماعية، فأنها

ليست ثابتة، بل تتغير مع التحولات الاقتصادية والثقافية، فان التحديث والعولمة يسهمان في أعادة تشكيل العادات والتقاليد، حيث تخضع المفاهيم التقليدية مثل الشرف والعيب لإعادة تفسير في ظل التغيرات المجتمعية(جيدنز،1991, ص 72)

ويتضح مما تقدم أن الانساق الاجتماعية، رغم كونها غير رسمية، فهي تلعب دوراً محورياً في تشكيل سلوكيات افراد المجتمع وضبطها. فالعادات والتقاليد ليست مجرد موروثات ثقافية، بل أنظمة معيارية تحدد العلاقات الاجتماعية وتتحكم في التفاعلات اليومية للأفراد. ومع ذلك، فأنها ليست معزولة عن التغيرات التاريخية، حيث تشهد المجتمعات تحولات مستمرة وفقاً للظروف الاقتصادية والسياسية والثقافية.

- **النسق النفسي**: يرتبط بالمفاهيم الذاتية مثل تقدير الذات والانتماء، والتي تتأثر بقوة بالموروث غير الواعي (كناعنة،2011، ص47),كما تتأثر هذه العناصر في تشكيل الهوية الفردية وتوجيه السلوك الاجتماعي. ويُعد النسق النفسي مجالاً معقداً يتداخل فيه الوعي واللاوعي، مما يجعله عاملاً جوهرياً في تكوين الادراك والتفاعل الاجتماعي. ووفقاً (لفرويد) [*]، فأن العمليات اللاواعية تؤدي دوراً حاسماً في تشكيل الشخصية، حيث تتحكم في الكثير من أنماط السلوك دون وعي مباشر من الفرد(فرويد، 1982، ص64). فتقدير الذات هو عنصر أساسي في النسق النفسي، حيث يحدد مستوى الثقة بالنفس وقدرة الفرد على مواجهة التحديات. أن تصورات الفرد عن ذاته تتأثر بالتجارب الاجتماعية والتفاعل مع الآخرين، مما يجعلها متغيرة وفقاً للسياقات الثقافية والاجتماعية. كما تساهم الروابط الاجتماعية القوية في تعزيز الرفاه النفسي وزيادة الشعور بمعنى الحياة(بوتنام،2000)

ويشكل اللاوعي عنصراً محورياً في تشكيل النسق النفسي، حيث يخزن التجارب والعواطف غير المعالجة التي تؤثر في السلوك والمواقف دون ادراك واعٍ. ويرى (كارل يونغ)[**] , ان اللاوعي الجماعي يحتوي على أنماط نفسية موروثة (Archetypes)، تؤثر في تصورات الافراد وسلوكهم بطرق غير واعية (يونغ، 2016، ص29).

ويرى (ألفرد آدلر)[*]، ان شخصية الفرد لا تتشكل فقط نتيجة للصراعات الداخلية كما يرى (فرويد)، بل تتأثر بشكل كبير بالسياق الاجتماعي والثقافي الذي ينشأ فيه الفرد. يشير (آدلر)، الى أن الإحساس بالنقص والتعويض عنه هو أحد المحركات

---

[*]سيجموند فرويد: ولد في (6 مايو 1856_ 23 سبتمبر 1939)، وهو طبيب أعصاب نمساوي من أصل يهودي، يُعتبر مؤسس علم التحليل النفسي. وُلد في بلدة بريبور، مورافيا (الآن في جمهورية التشيك)، لعائلة يهودية. درس = الطب في جامعة فيينا، وتخصص في طب الأعصاب. أسس مدرسة التحليل النفسي وعلم النفس الحديث، وأشتهر بنظرياته حول العقل واللاوعي، وآليات الدفاع مثل الكبت، وتفسير الأحلام. توفى في لندن عام 1939 بعد معاناة =مع سرطان الحنجرة.. للمزيد ينظر الى (فرويد1994، ص15).

[**]يونغ، كارل: يعتبر كارل أحد أبرز علماء النَّفس بعد سيجموند فرويد في التاريخ، وقد كان تلميذاً له ولكنَّه سرعان ما انتقدَ نظريته في علم النفس التّحليلي التي تعتمد على فكرة اللاوعي الفردي. بالنسبة لكارل يونغ، فأن اللاوعي الجماعي هو الذي يسمح بفهم أغوار النَّفس والكشف عن أعماقها، وذلك بالربط بين أهم مجالات الفكر لتحقيقذلك، فأعتمد على الروحانيات والاساطير. للمزيد ينظر.. (غزالي، 2025)

[*]ألفريد آدلر: ولد في عام 1870 في احدى ضواحي مدينة فيينا عاصمة النمسا، لآب يهودي يعمل في تجارة الحبوب، وعندما كان آدلر في الثالثة من عمره. توفى أخوه الأصغر بسبب الدفتريا في الفراش المجاور له، وقد عانى هو نفسه من الكساح وغيره، كما انه أصيب في الرابعة من عمره إصابة خطيرة بداء الرئة كادت تودي بحياته، وكان لكل هذا أكبر الأثر فيه. فقبل بلوغه سن الخامسة كان قد أتخذ قراره بأن يصبح طبيباً بشرياً. حتى يتمكن من

الأساسية للسلوك الإنساني، وهو شعور لا ينشأ فقط من التجارب الفردية، بل أيضاً من القيم والمعايير الثقافية التي يفرضها المجتمع. وأن شخصية الفرد تتشكل نتيجة التفاعل بين العوامل البيولوجية والاجتماعية، حيث تلعب الثقافة دوراً محورياً في تحديد أنماط السلوك والتفكير. فالفرد لا يوجد بمعزل عن مجتمعه، بل يتأثر منذ الطفولة بالقيم السائدة، مما يجعله يتبنى استراتيجيات معينة للتكيف مع متطلبات الجماعةووفقاً (لآدلر)، فأن الشعور بالنقص والتعويض عنه ليس مجرد عملية نفسية داخلية، بل هو نتاج لمقارنة الفرد بنفسه مع المعايير المجتمع المحيط به، مما يجعل الثقافة عنصراً أساسياً في تشكيل دوافع الأفراد وسلوكياتهم (آدلر،، 2005، ص45)

ووفقاً (لأدلر) فأن، الدافع الرئيسي في الحياة هو السعي نحو التفوق أو الرغبة في تحقيق التميز الشخصي وتحسين الذات تجاوز مشاعر النقص. يختلف هذا المفهوم عن تأكيد فرويد على الدوافع الجنسية. قدم (آدلر)، فكرة عقدة النقص، التي تنشأ عندما يشعر الأفراد بأنهم أقل قدرة أو أقل كفاءة من الآخرين. يمكن أن تدفع هذه العقدة الناس الى التعويض بوسائل متنوعة، اما بشكل سلبي من خلال السلوكيات التدميرية . فالعنصر الرئيسي في نظرية (أدلر) هو مفهوم الاهتمام الاجتماعي، الذي يشير الى إحساس الفرد بالانتماء والمساهمة في المجتمع (قحطان ،2024).

ويؤكد (آدلر)، ان لكل فرد أسلوب حياة يتشكل بناءً على تجاربه المبكرة في الحياة، ويتأثر الى حد كبير بالقيم السائدة في المجتمع، فالمجتمعات ذات الطابع التنافسي، ينمو الأفراد وهم مدفوعون لتحقيق الإنجازات الشخصية، بينما في المجتمعات ذات الطابع التعاوني يكون النجاح الجماعي والعلاقات الاجتماعية أكثر أهمية . هذا الاختلاف في أسلوب الحياة يؤثر على طريقة تعامل الأفراد مع التحديات والمواقف الحياتية المختلفة، مما ينعكس على بناء شخصياتهم (آدلر،2014، ص103)

مما تقدم نستنتج ان التوازن النفسي يلعب الانتماء فيه دوراً اساسياً . كما ان تأثير اللاوعي يجعل النسق النفسي أكثر تعقيداً، حيث يظل محكوماً بتجارب الماضي والأنماط الثقافية والاجتماعية. ومع الاستمرار في البحث في علم النفس، تتكشف المزيد من الابعاد التي توضح مدى تأثير هذه العوامل في تشكيل الشخصية الإنسانية.

المبحث الثاني /المقاربات الفنية بين التراث العربي والمرجعيات التاريخية للتشكيل العراقي المعاصر

المحور الاول:التراث العربي واهميته في الفن

ينهج الفنان في محاولته لمحاكاة شكل المحيط وعلاقاته البنائية الاجتماعية منهجاً فنياً ابداعياً ألا أنه بشكل غير مباشر، يعد أحد الوثائق المهمة في قراءة السيرة الاجتماعية لمحيط الانسان وهو ضمن ظروف حياتية وبيئية محددة، إذ يتمثل النتاج العربي في حقيقته كمحاولة ناجحة لإظهار جوانب الحياة اليومية بتفاصيلها الدقيقة، التي (قد يكون مبدعها الأول فرداً، وقد يكون نتيجة لحادثة

محاربة الموت على حد تعبيره. بعد أن تخرج من كلية الطب فيناعام 1894 وفي البداية تخصص في طب العيون، ولكنه أصبح ممارساً عاما فيما بعد، قبل أن يتحول اهتمامه الى علم النفس، وكان من اول من اهتموا بنظريات سيجموند فرويد. كما انه اعترف بان هذه النظريات قد فتحت طريقاً جديداً لتحديث وتطوير علم النفس. للمزيد ينظر (آدلر، 2005. ص13).

وقعت فعلا ولكنه لا يظل كذلك، الا ان يصبح ملكاً للجميع، حتى يبدو في اصله غير حقيقي، فيتخذ حينئذ طابعه العربي وكان أول اهتمامهم هو السيرة العربية)(محبك،2005، ص15).

ولعل الحكاية العربية تنحى منحىَ وثائقياً صرفاً في تصوير سيرة الأفراد المتنفذين أو المميزين، إذ يحدد هؤلاء شكل الحياة الاجتماعية في المجتمعات التي سبقت ويحدد كذلك شكل العلاقات الاجتماعية التي تبين نوع الرؤى الفكرية السائدة والسياق الحياتي في هذا المكون الاجتماعي، (إذ نلاحظ في كل المجتمعات، ظل المخيال الاجتماعي الذي هو بمثابة القوى المعنوية والدلالية للإنسان, فالأسطورة والدين والايدلوجيا هي أشكال متعاقبة ومتداخلة من مستويات الوعي الاجتماعي)(الكيلاني،1998،ص29)' التي تمثل المنظومة المعقدة من مجموعة كبيرة من العلاقات التي تكونت عبر الزمن وأسبغت صفات من نوع خاص تميز كل مجتمع عن غيره من المجتمعات، التي تحدد كذلك مهمة الفنان التي تنحصر في محاكاة وتوثيق شكل الحياة الاجتماعية،وقد اشار (بيرس)(*)في مقالة له بعنوان (كيف نجعل افكارنا واضحة) الى ان (عقائدنا انما هي في الواقع قواعد عمل واداء، واننا لكي ننشئ فكرة جديدة فكل ما نحتاج اليه هو تحديد السلوك والفعل، ولكي نتأكد من وضوح أي فكرة علينا ان ننظر الى الآثار والنتائج العملية التي تحققها في الواقع سواء كانت هذه النتائج مباشرة او غير مباشرة)(جيمس , 2008،ص65).

ويعد الموروث هو كل ما يشمل نظم التعامل بين الافراد والأعراف السائدة والمراسيم سيما الطقوس الدينية المتعارف عليها ضمن دائرة اجتماعية محددة، أدت الخبرات الحياتية دوراً هاماً في بلورته وتكوين صورته النهائية المعروفة كتراث عربي ذو ميزات واضحة، فالتراث العربي هو نفسه (معتقدات وفنون وأساطير وعادات تقليدية شائعة بين عامة الناس (محبك،2005، ص16)، فضلاً عن اعتباره أساساً فكرياً ومنهجاً ذا أثر فاعل في تصوير الحياة واستيعاب النظام الاجتماعي العربي القائم, ودروس للأجيال القادمة، ويمكن الإشارة الى (ان التراث والقصص والاساطير متصل الحلقات منذ اقدم العصور وهو متنوع في اساليبه ومضامينه فهناك قصص (الامثال) وقصص الخرافات بالإضافة الى السِّير الشعبية فلهذا نجدها قد مزجت المعلومات مع المغامرات والواقع مع الأساطير والتجربة والحكمة مع الخيال والسحر مع الغرائب والعجائب)(قنديل،2002،ص12) ، إذ تعد هذه الجوانب ذات المسحة السحرية والروحية التأملية هي ما تكسب التراث العربي الفكري أهميته الخاصة وتجعل منه تراث زاخراً بالمعاني ذا قيمة فكرية على قدر من الأهمية في تاريخ الشعوب.

وضمن مضمار الموروث الفني يتداخل على وفق المفهوم التواصلي اتجاهان ،فهناك من يرتشف الموروث كنقل حرفي وهذا مايعكسه الحرفيون ، الذي لا يتفق وموضوع بحثنا الحالي , لما يكتنفه من تقييد مجتمعي خفي داخل نظامه الرتيب الذي يسير على وتيرة واحدة , وهناك من يرتقي بالأثر بصورة موحية مفترقه عن القراءة الصريحة لأنظمته متفرداً في استدعاءاته،وعليه ينبغي التميز في الرؤية الفنية للمأثورات الحرفية والفردية، وهنا يكمن السر في خصوصية الاصالة الحقيقية في تطبيقاتها على الفنون المعاصرة .

المحور الثاني : جماليات الرسم العربي المعاصر.

شكل الفن العربي المعاصر فضاءً بصرياً لنقد القيم الاجتماعية التي تكّرس التمييز الجندري، حيث استخدم الفنانون العرب تقنيات متنوعة لنقل رؤى نقدية حول مفاهيم الجسد ، الهوية، والحرية. كما ان الفنانون العرب , قد وظفوا عناصر مثل التكرار البصري والتجريد الرمزي ، مما يجعل اللوحة فضاءً للانساق الثقافية للمجتمع العربي(عابدين،2021)' ومنذ القرن العشرين ظهرت الحركات الفنية الأكثر تحرراً وتمرداً وتحدياً.

(*)تشارلز ساندرز بيرس(1839-1914) فلسوف وعالم منطق وعالم رياضيات امريكي. للمزيد ينظر ويكيبديا.

وتميز الرسم العربي بجمالية متجددة، حيث تتداخل تقنيات متعددة مثل التعبيرية، السريالية، والتجريدية في تقديم التراث العربي في اعمالهم . فعلى سبيل المثال، تعتمد (ليلى الشوا 1940- 2022 من فلسطين)، في أعمالها على الدمج بين التعبيرية والرمزية كما في الشكل (1)لوحة (بلا عنوان) ، حيث توظف الألوان الصارخة والخطوط الديناميكية لنقل إحساس بالقوة والحركة، مما يعكس التراث من خلال الازياء المزخرفة مع الأطر المجتمعية التقليدية كركوب الخيل ورفع العلم الذي كتب فيه (لا اله الا الله) والشمس في الخلف والتي تعبر عن قوة الضوء التي تبث الامل في نفوس الناس.(حوماني،2022)اما الفنان (تيسير شرف من فلسطين) ففي لوحته (القدس) خاض الفنان في عمليتي الابتكار والتجديد مع تقدير الخطاب الفني وتأصيله من خلال الخلفية الحضارية وارتباط التراث بالأصالة والهوية ودلالات المكان والزمان والعائلة والارض والحضارات القديمة والفنون الاسلامية, ومن ثم المعاصرة, والاحداث السياسية التي حدثت في القرن العشرين دفعت بالعديد من الفنانين الى التمسك بالأرض والواقع فالتعبير عن الثورات والحروب هو تعبير حي عن الهوية الحالية وحب الوطن, ولذلك شكلت الموروثات الثقافية والشعبية مصدر الهام للفنان. كما في الشكل(2)

الشكل (1) لوحة الفنانة فلسطينيةتيسير شرف/ القدسشكل (2)ليلى الشوا / بلا عنوان

اما الفنانة التشكيلية (صفية بن زقر1940- 2024) تعد احدى ابرز رواد الفن التشكيلي بالمملكة السعودية، لها دور كبير في ريادة الحركة التشكيلية ، حيث تميزت باختيار موضوعات تراثية مرتبطة بالنساء وعاداتهن، ورسمت التفاصيل الحياتية الدقيقة في الحجاز ومظاهر العادات والتقاليد الشعبية اشهر اعمالها لوحة (الزبون) عام1969 والتي عرضت في باريس عام1980 باسم (موناليزا الحجازية)(هشام ، 2022,ص1)فيظهر الوقار لدى المرأة بالإضافة الى استخدام بعض الزخارف في الخلفية واستخدام الكرسي المصنوع يدوياً والذي مليء بالنقوش والزخارف التراثية السعودية.كما ي الشكل (3)

وقد ركزت الفنانة على أعادة تقديم الجسد الأنثوي بعيداً عن الصور النمطية التي يفرضها المجتمع، والتي تصور الجسد كأداة للتعبير عن الذات والهوية. كما يُعد الجسد الأنثوي أحد المحاور السياسية في الفن العربي، ومن خلال التكوينات البصرية، توظيف الحركة، واستكشاف الجسد كفضاء رمزي، استطاعت الفنانة تقديم قراءة نقدية للجسد الأنثوي، بوصفه أداة للتعبير عن الذات والهوية،

ومجالاً للمقاومة والتحرر من القيود المجتمعية.كما يعد الجسد شكلاً من أشكال الاسترداد البصري للهوية الأنثوية، حيث يتم تقديمه ليس بوصفه موضوعاً للرغبة أو الاستهلاك البصري، وانما كوسيلة للتعبير عن المشاعر، المعاناة، والتحولات الشخصية . كما ان تصوير الجسد في حركة مستمرة يعكس محاولة الفنانة تفكيك التصورات الجامدة حول المرأة، وابرازها ككيان نشط ومتفاعل مع بيئته . (مختار،2012، ص158)

فيُعدّ استخدام الأزياء التقليدية في الفن التشكيلي العربي من أبرز الوسائل التي تعكس التداخل بين الفردي والجماعي في تشكيل الهوية، على سبيل المثال ، اعتمدت الفنانة (جوهرة السندي)، على تصوير المرأة بملابس مستوحاة من التراث العربي، مثل الثوب الفلسطيني، والعباءة المغاربية، لخلق إحساس بالانتماء العابر للحدود الجغرافية، فهذه الأزياء لا تحمل فقط دلالات ثقافية ، بل تعكس أيضاً مقاومة للهيمنة الغربية على معايير الجمال والهوية.(أبو هميلة،2023).

كما يمثل الوشم أحد الرموز التراثية المهمة التي استعانت بها الفنانة العربية. فان استخدام الوشم في اللوحات يعكس تجربة المرأة في صراعها مع البنى المجتمعية، حيث يتحول الجسد الى (نص بصري)، يحمل إشارات الى التاريخ والتقاليد والهوية الشخصية بالإضافة الى الكحل كونه اساسي لجمال المرأة العربية وماء الورد(الجويلي,2016)كما في الشكل (4).

الشكل (3) لوحة الفنانة السعوديةصفية بن زقر / الزبونشكل (4)جوهرة السنيدي / السعوديةبلا عنوان

اما الفنان الاردني(رفيق اللحام 1931-2021) لقد تناول الفنان في لوحاته قضايا القدس ومن فرط حبه للقدس وترابها واسواقها وتاريخها وجمالها رسم المدينة في عدد من الحالات التي كانت تمليها المشاعر والحالة النفسية. كما مزج بين مفردات التراث الحروفية والزخرفية لتأكيد هوية المدينة العربية ,كما انه رسم مدينته عمان بشكل جمل وزاوج ايضاً بين الخط العربي وبين المنارات وقباب البيوت والزخارف العربية القديمة.كما في الشكل(5)ومن مصر تناولت الفنانة (أنجي أفلاطون 1924-1989) اعمال استلهمت من الواقع الاجتماعي للطبقة الكادحة مع التركيز على النساء في كفاحهن اليومي والتأكيد على المكان الريفي (العزبة)

المكان المملوء بالنخيل والبيوت الطينية القديمة حيث ايام الطفولة,كما في الشكل (6) اتخذت انجي من السريالية منهجاً للتعبير عن نفسها فقامت بتصوير ما يخطر على بالها من أحلام وكوابيس بطريقة روائية ويظهر ذلك في أعمالها.(عبد الرحمن ,2021)

شكل (5)رفيق اللحام / مدينتي

الشكل (6)الفنانة انجي افلاطون/ العزبة

من خلال ما تقدم يتضح ان تمثيل الجسد في التشكيل العربي مساحة نقدية بصرية تعيد النظر في المفاهيم التقليدية حول الهوية، والتحرر، والاغتراب، والانتماء الثقافي. وبينما يُوظَّف الجسد احياناً كأداة مقاومة لكسر القوالب النمطية، يظهر في سياقات أخرى كرمز للمعاناة والقيود المفروضة على المرأة. ومع تطور الوسائط الفنية، أصبح الجسد مجالاً أكثر انفتاحاً لإعادة التفاوض حول مكانة المرأة في المجتمع، مما يجعل الفن العربي أحد أهم الحقول التي تعكس التحولات الجندرية والاجتماعية في العالم العربي.

يتضح مما تقدم ان الجماليات في الرسم العربي المعاصر تتجاوز البعد البصري الى خطاب اجتماعي وثقافي يسعى الى تفكيك الصور النمطية للمواضيع وإعادة تقديمها داخل سياقات أكثر تحرراً وتنوعاً. فمن خلال الأساليب الفنية المتعددة والرموز الغنية بالدلالات، استطاع الفنانون العرب تحويل اللوحة التشكيلية الى ساحة للحوار والتغيير مما يعكس الدور المتنامي للفن العربي في تشكيل الوعي الجندري داخل المجتمعات العربية.

كما يتضح ان توظيف الرموز الثقافية والتراثية في الرسم العربي المعاصر يعكس محاولات الفنانين لإعادة تعريف الهوية العربية في ظل المتغيرات الاجتماعية والثقافية. ومن خلال استخدام الأزياء، الوشم، البنايات والشخصيات التاريخية يسعى الفنانين الى تقديم رؤية بصرية تعيد صياغة العلاقة بين الماضي والحاضر مما يجعل أعمالهم أكثر تعبيراً عن الانتماء والهوية والانساق الدينية والاجتماعية في المجتمعات العربية.

المحور الثالث: / الفن العراقي المعاصر.

ان نشأة الفن التشكيلي المعاصر في العراق يوجه الابصار نحو بداية القرن العشرين الذي شهد النهضة الحقيقية للفن التشكيلي العراقي. الذي لم يولد من العدم بل جاء نتيجة جهود مضنية بذلها الفنان العراقي في صراعه المستمر لتهيئة فكر المجتمع العراقي

لتقبل ثقافة فنية تتسم بالمزاوجة بين موروث عربي ذي روحية اسلامية وفكر اوربي حداثوي ذي نزعه علمية تجريبية,فنلاحظ المشهد الطبيعي قد هيمن على اللوحات في الفن العراقي التشكيلي , فتشكلت جماعة الانطباعيين العراقيين برئاسة الفنان (حافظ الدروبي), وبعد التحولات في بنية المجتمع العراقي ظهرت مفردات فنية جديدة تتوازن مع هذه التحولات. فقد كان (فائق حسن) يمنح الاخرين خيار البحث عن اساليب شخصية تأخذ من المرجعيات ما ينفع وتلفظ ما تراه غير مناسب, وهكذا بدأت (جماعة الرواد) كما انها الاساس في معنى الولاء للمكان والهوية بالطريقة التي يفهمها (فائق حسن) , لقد اسهموا على نحو يقيني في اثراء المداخل التصويرية للظواهر التي عولجت في فنهم سواء كانت تمس الحياة الاجتماعية من الداخل, او تلك التي تراها من الخارج او التي تخلط بين المتخيل والواقعي.

اما الفنان (نوري الراوي) فنلاحظ في لوحاته نعومة لونية خادعة, سرعان ما يحس المرء من خلالها بتوتر الحلم, وتوتر الذاكرة, قد لا نرى انسان واحد في هذا المشهد الملح على اعمال الفنان , ومع ذلك فانه يتوهج بلوعة انسانية شديدة الالحاح ايضاً. فالبيوت واضرحة الاولياء المقببة القائمة على التلال العارية , الواعدة اجيالاً من القرويين بالمعجزات, والنهر بنواعيره القديمة, كلها وكأنها تبرز من غمام ذكريات الطفولة , بقدر ما تبرز من غمام قمري يملا الذهن المسكون(جبرا , 1986,ص65). فهو رسم الريف بكل عناصرها من بيئة واشخاص ولا تخلو لوحاته من العنصر النسائي كونها رمز الديمومة ودلالة على الحياة, كما في الشكل (8).تمثل اللوحة تأثر الفنان ببيئة طفولته في مدينة راوه التي تقع على ضفاف نهر الفرات الاعلى في العراق وقد تميزت , بهندستها المعمارية المحلية الهادئة ولمساتها الاقرب الى الحلم.

اما في لوحته (البراق) لقد وظف الفنان فيها الرموز الاسلامية ليعبر عن دلالاتها الدينية والاجتماعية المتمثلة بالقباب, والمآذن والابواب المقوسة وغيرها من الرموز الاسلامية المحملة بحقائق ذات معان انسانية وروحية, يفصح عنها صراحة شكل الرمز المتعارف عليه في تلك المجتمعات ليكون وسيلة اتصال بين الناس , ولا شك ان الفنان قد ادرك نواحيها الجمالية بمنظاره الفني واستخدمها كأداة جذب بصري .كما في الشكل (9)

شكل رقم (8)نوري الراوي / احلام راوه

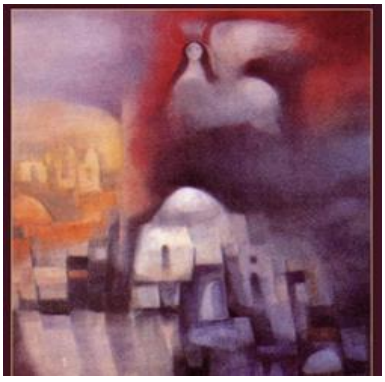

شكل (9) نوري الراوي/ البراق

اما اعضاء (جماعة بغداد للفن الحديث) فقد كانت التأثيرات الاوربية والعربية (اي الرافدينية والاسلامية) واضحة في اعمال اهم المشتركين مثل (جواد سليم) لقد كان الفنان يعمل على بلورة الاشكال والعناصر في صيغ تجريدية هندسية, تقوم على تحوير

النموذج الاصلي الى تقسيمات هندسية متناسقة ذات روح جمالية عالية الشفافية, فهو يحول الاشكال المادية الى اشكال حسية , تبوح عن مقتطفات من الحياة اليومية الشعبية والرموز المحلية مدمجاً اياها بتقنيات غربية. فالفنان يستخدم التجريد بالشكل الهندسي وشبه الهندسي على صعيد يبدأ به وعيه الجمالي من مسالة الوجود المادي بالذات (كامل ,1998,ص 73). لقد ارتبط (جواد سليم) بروحه في عشق التراث على الرغم من تبنيه لأساليب الفن الاوربي الحديث, فنجد اعماله لا تخلو من حضور البيئة العراقية وتراثها وموضوعاتها الاجتماعية والشعبية فقد رسم المراءة بالعباءة وهو زي شعبي في العراق وهي تمسك الديك في يدها وتضع ماكنة الخياطة على راسها. كما في الشكل(10).

ومن فناني (جماعة بغداد للفن الحديث) ايضاً الفنان (شاكر حسن ال سعيد) نجد ان الفن بالنسبة اليه هو طريقة للوصول الى اللامنطق واللانهائي في الرسم, فتتسم اعماله بتجريدية ذات الوان معبرة, تخترق سمة التقليد والمحاكاة لتتجاوزها نحو سمة البحث والتجريب والاختلاف. كما في الشكل (11).تعبر اعماله عن العلاقة بين الانسان والتاريخ والتراث, مع استخدام الرموز والعناصر الجمالية المتجذرة في الثقافة العربية من خلال مفهوم (التعرية) وهو يشبه عملية البحث في اللوحة بالحفر الاثري حيث يزيل الغبار والطبقات المتراكمة ليكشف عن الباطن ,مستلهماً من اثار الجدران والحياة الشعبية والتاريخية والدينية , كما ويعد عمله مزج بين الحداثة والتاريخ اذ يعد (هارون الرشيد) احد الشخصيات التاريخية المهمة في فترة الحكم العباسي. كما تعتمد اعماله على التأمل والوصول الى الجوهر وهذا ما تأثر به من الفلاسفة الذين ركزوا على العلاقة بين المرئي واللامرئي.

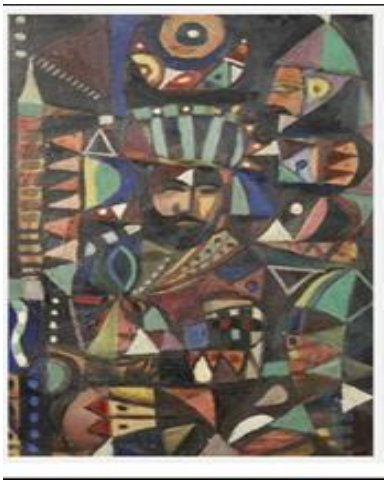

شكل (10) جواد سليم/ ام المكينةشكل (11)شاكر حسن ال سعيد/ هارون الرشيد

اما (جماعة المجددين) سنة 1965 ومنهم (سالم الدباغ) لقد رسم الفنان لوحته (بدو من شمر في مدينة الموصل) على اساس معالجات شعورية ولا شعورية, تؤكد كثيراً على القوة التعبيرية ذات دلالات انسانية فهي رموز تعكس حالاته النفسية, فعمله يجسد الواقع المحيط وعلاقته به, هذه العلاقة الفاعلة تختزل موقفه الفكري والجمالي ويفعل هذه الحركة المتجددة من الداخل وبجدل قائم يجعل عمله الفني او مجمل نتاجه الفني وحدات متفاعلة داخل سياق رؤيوي, متجانس, شديد الفاعلية, ويتحول النتاج الفني

بذلك من مستوى التغيير الشكلي الى مستوى (التحديث الكلي)وتحقيق المحصلة النهائية وهي عملية التجديد والتأصيل (.http;//www.almadasupplements.com/news.php). فيجعل اشكاله مرموزات حياتية واجتماعية والحياة الشعبية, فقد رسم البدو والخيمة لأنه عند طفولته كان يرى النساء تنسج الخيام في شوارع مدينته. كما في الشكل (12).

اما جماعة (الحرف الواحد) او (البعد الواحد), قد تمكنت من تطويع الحرف العربي, وابداع مجموعة من الاعمال الفنية التشكيلية الحروفية الجديدة, وزعوا فيها الكتل ببراعة, وقاموا باستثمار فضاء اللوحة بشكل متقن وجميل ومعبر, ما جعلنا في مواجهه ممتعة, لأعمال فنية عربية السمة , هذه الامكانيات المفتوحة امام الفنان الحروفي العربي, دفعته للبحث والتجريب والعمل الدؤوب, من اجل الخروج باثر فني معاصر متفرد كصياغة فنية, وكبعد دلالي حضاري سامٍ ,مواكب وموازٍ للبعد الاخر, وذلك لإعادة التحسس بالإمكانيات التاريخية للتعبير عن طريق استلهام الكتابة العربية (كمنطق وايحاء) الا ان هذه الكتابة تظهر اكثر تجردا او اعظم صفاء بالطبع من الاثار التي خلفها الماضي(كامل ,2008 , ص145)ومن اشهر فناني (البعد الواحد) هو (جميل حمودي) وقد اتسمت تقنيات الفنان بانها متقدمة بفهم اللوحة وفهم حرفيات العمل الفني, من خلال جوانبه الابداعية, والانتقال من الشكل الى المحتوى, وبإدخال الحروف الى الفن التشكيلي كان يهدف الى عملية الابتكار الفني ذات طابع حضاري يربط الفنان بالأسس التاريخية والدينية التي تتميز بها قوميته وارضه الى الطبيعة التي عاشها . (كامل ,1986 , ص195)كما في الشكل (13).

شكل (12)سالم الدباغ /بدو من شمر فيمدينة الموصل

شكل (13)جميل حمودي/ واذكر ربك اذا نسيت

اما جماعة (الاربعة وهم فاخر محمد, عاصم عبد الامير, محمد صبري, حسن عبود)فقد كانت اعمالهم تظهر ذات مواضيع حياتية لكنها مرنة تفتح المجال للقارئ نحو مساحات تأويلية اكثر حرية فهو يرسم بطريقة الطائر الذي يجوب الفضاء مبتكراً حريته. فقد قام الفنان (فاخر محمد) بالانطلاق بأشكاله نحو عوالم اللامنطق , عبر تفكيكات حررته من القولبة المعتادة للأشكال والعناصر والموضوعات . مما اتاح له التحليق في فضاءات التجربة عبر اليات مابعد الحداثة, ساعدته في سعيه الى الوصول الى احاسيسه وافكاره الباطنية التي افصحت عن خطابات نفسية واجتماعية وسياسية. كما في الشكل (14) لقد استمد (فاخر محمد) رموزه من بيئته فقد ولد في بيئة ريفية على تله اثرية ونشأ وسط الاثار المبعثرة في بابل وتشبع بعبق التاريخ المدون على الرُقم الطينية والفخار وتلبس العناصر الفلكلورية ,فصنع منها رمزاً اسطورياً لحضارة زراعية فاعلة تحيطه وتغلفه الرموز الفلكلورية.(النجار,1996.ص1)

شكل (14)فاخر محمد / شباك بغدادي

لقد تميز اسلوبه في هذه اللوحةباحتوائه على الرموز الأيقونية والتراثية والمحلية, اذ انه يلعب في مضمار ما بعد الحداثة التي تسعى الى البحث في الاختلاف والتنوع والغوص في المعاني الخفية والدلالات المضمرة خلف الظواهر والاشكال, مستخدماً تشضيات رمزية واشارات متنوعة تهدف الى اثارة الفكر وانفتاح النص التأويلي, كما وقد استطاع الفنان ان يشكل رموزاً محلية عالية الاختزال والتجريد كما في الشباك البغدادي برموزه وزخرفته , فهو يستخلص من الشكل الظاهري معانيه الكامنة فيحيل العمل الى تقسيمات وتركيبات هندسية وزخرفية مليئة بالإيحاءات والدلالات المعبرة عن حياة الانسان وكل الانساق الثقافية المتعلقة بهذا الانسان من محيطه, مدينته, ولحظاته العابرة واماله ومخاوفه(الخفاجي, 2012 , ص80)

- **المؤشرات التي اسفر عنها الاطار النظري .**

1. ان النسق الثقافي المضمر يشير الى شبكة غير مرئية من القيم والمعتقدات والتقاليد التي تحكم تصرفات الافراد والمجتمعات دون أن يتم ادراكها بشكل مباشر. أن هذه الانساق تعمل وفق (البنى العميقة) التي تحدد طرق التفكير والسلوك الجمعي.
2. ان الهابيتوس لا يعكس مجرد سلوك أو عادة فردية، بل نظام من الاتجاهات التي تكون ذهنية الجماعة الاجتماعية بأكملها، ويعمل على تحديد كيفية رؤية الأفراد لأنفسهم وللعالم المحيط بهم.

3. يُعد النسق الرمزي أحد اهم مستويات الانساق الثقافية، اذ يشمل المعتقدات والاساطير واللغة، حيث لا تقتصر اللغة على كونها أداة تواصل فحسب، بل تُعَدُّ نظاماً ثقافياً يحمل دلالات نفسية ومعرفية عميقة تؤثر في ادراك الأفراد للعالم.

4. تعمل العادات والتقاليد كآليات غير رسمية للضبط الاجتماعي، حيث تفرض سلوكيات معينة وتعاقب من يخرج عنها عبر آليات اجتماعية مثل النبذ او الوصم الاجتماعي. فهذه الانساق تندرج ضمن ما أسماه (التضامن العضوي)، حيث تُشكل معايير ثقافية توحد المجتمع وتحدد سلوك أفراده دون الحاجة الى سلطة قانونية مباشرة.

5. ان التحديث والعولمة يسهمان في أعادة تشكيل العادات والتقاليد، حيث تخضع المفاهيم التقليدية مثل الشرف والعيب لإعادة تفسير في ظل التغيرات المجتمعية.

6. ان النسق النفسي يرتبط بالمفاهيم الذاتية مثل تقدير الذات والانتماء، والتي تتأثر بقوة بالموروث غير الواعي, كما تتأثر هذه العناصر في تشكيل الهوية الفردية وتوجيه السلوك الاجتماعي. ويُعد النسق النفسي مجالاً معقداً يتداخل فيه الوعي واللاوعي، مما يجعله عاملاً جوهرياً في تكوين الادراك والتفاعل الاجتماعي.

7. ينهج الفنان في محاولته لمحاكاة شكل المحيط وعلاقاته البنائية الاجتماعية منهجاً فنياً ابداعياً ألا أنه بشكل غير مباشر، إذ يعد أحد الوثائق المهمة في قراءة السيرة الاجتماعية لمحيط الانسان وهو ضمن ظروف حياتية وبيئية محددة.

8. ويعد الموروث هو كل ما يشمل نظم التعامل بين الافراد والأعراف السائدة والمراسيم سيما الطقوس الدينية المتعارف عليها ضمن دائرة اجتماعية محددة، أدت الخبرات الحياتية دوراً هاماً في بلورته وتكوين صورته النهائية المعروفة كتراث شعبيَ ذو ميزات واضحة.

9. وظف الفنانون العرب عناصر تراثية كالأزياء والحناء والزخارف لربط الهوية بالموروث الثقافي ، في سياقات حديثة تعكس رؤية ثقافية معاصرة.

10. يشكل الرسم العربي خطاباً بصرياً ناقداً يعيد التفكير في الجندر والهوية، ويعد أداة مقاومة تساهم في ربط الفن بقضايا المجتمع والسلطة.

11. لقد وظف الفنان العراقي خصوصاً الرموز الاسلامية ليعبر عن دلالاتها الدينية والاجتماعية المتمثلة بالقباب, والمآذن والابواب المقوسة وغيرها من الرموز المحملة بحقائق ذات معان انسانية وروحية.

12. ان طبيعة الفكر العراقي الحديث كان قائماً على مبدأ التجريد المستمد من عقلية الفنان من اجل ايصال الرسالة بطريقة مختلفة عن الواقع عن طريق اختزال وتبسيط الوحدات البصرية والتصويرية، متخذ منها وسائط لبلوغ الجوهر المكنون وراءها نحو رؤية مفاهيمية مختلفة، لذلك انها سمة طغت على المشاهد المرسومة.

13. ان الهوية العربية اسبغت صفة التميز والتفرد للفن التشكيلي العراقي المعاصر والتي تلاقحت مع الخبرة والتجربة والفعل ورد الفعل بالنسبة لطبيعة تكوين المجتمع فضلاً عن ذاتية الفنان وطبيعة تكوينه التي تنعكس بشكل موضوعي من خلال اللاوعي المتوارث بطبيعة التكوين الانساني وفكر المواطنة على نتاجات التشكيل العراقي.

14. يسعى الفنان التشكيلي العراقي لتأكيد تفرده من خلال زمكان التراث وفعله, اذ يؤكد بما لا يقبل الشك مقدرته التعبيرية والتقنية في ابراز تلك القيم, وهكذا يستمد الوعي الزمكاني وجودة من خلال الادراك لهوية التراث وفعله. ويتطلب فهم التراث تأويلات لانهائية.

15. ان االلاوعي الجمعي يسلك في العقل الشعبي العراقي سلوكاً يعكس حضوراً غالباً ومسيطراً من قبل الرموز الدينية اكثر من باقي الرموز.

16.التراث العربي هو احد الدعائم الاساسية للهوية الثقافية في الوطن العربي من خلال اللغة, الفن التقاليد, ويعزز التراث الاحساس بالانتماء والخصوصية. ويمثل التراث الرافديني والاسلامي والخط العربي والبغداديات جزءا مهما من الثقافة العربية.

(اجراءات البحث)

اولاً: اطار مجتمع البحث

بعد اطلاع الباحثتان على المصورات الموجودة في المصادر الفنية وشبكة المعلومات الدولية , ونظرا لسعة مجتمع البحث من الاعمال الفنية التي تضمنت مضامين تراثية في الرسم العربي , تم تحديد اطار لمجتمع البحث وبلغ (50) عملا فنياً.

ثانياً: عينة البحث.

تم اختيار عينة البحث البالغ عددها(4) نماذج فنية (رسم) بالطريقة القصدية, وبما يحقق هدف البحث , وفقا للمبررات الآتية :

1. اختيار الاعمال الاكثر تمثيلا للانساق الثقافية المضمرة في الرسم العراقي المعاصر.
2. اختيار الاعمال الاكثر حضورا وفاعلية وتنوع في الرسم المعاصر .
3. اهمال الاعمال التي ينقصها التوثيق والمكررة في مواضيعها .

خامساً: تحليل نماذج العينة

انموذج رقم (1)

اسم الفنان : مكي عمران راجي

اسم العمل : استلهام سومري

القياس : 100 ×90 سم

المادة : زيت على القماش

تاريخ الانتاج : 2000

العائدية: مقتنيات خاصة

وصف وتحليل العمل

يتكون العمل الفني من مجموعة من الاشكال من الحضارة العراقية القديمة فتوجد على يمين اللوحة مسلة حمورابي وتستند على قاعدة من اشكال مثلثة ملونة باللون الاخضر والاسود مع الاحمر الداكن, وخلف المسلة يوجد راسين احدهما راس امرأة والاخر راس فيه انف فقط وخلق الراسان كان هناك الوان داكنة تتنوع ما بين الاسود والارجواني والبني والازرق. اما في اعلى يسار اللوحة توجد اشكال من الكتابة المسمارية اما باقي اللوحة فقد لونت باللون الابيض والاصفر والازرق الفاتح.

تمتاز هذهِ اللوحة لدى الفنان (مكي عمران) بخصوصية جمالية وأدائية يمكن قراءتها رمزياً وتعبيرياً وتجريدياً ضمن تفردهُ الذاتي وحدسهُ، كما ان إجراءات التشكيل تقع في منطقة تحت مستوى الشعور وهذا يضمن التفاعل بين المخيلة والعقل وعد الابداع عملية مخاض تتطلب تظافر عدة قوى كي يكون خلاقاً ومبتكراً ومن اجل ان يكون الأداء شمولياً ومتنوعاً فقد اهتم بعناصر التصميم الأساسية التي كشفت عن بناءات في مستوى معرفي وغريزي ويستفيض لسلطة العقل فرضتهُ طبيعة رؤية الفنان وما نتج عنها من صور وأشكال متخيلة. لقد تخطى الفنان في هذهِ اللوحة البنية السطحية إلى البنية العميقة في تفكيك تلك الصفائح المتشابكة والتي جاءت هنا بصورة أيهامية متغيرة خاضعة لدواعي التبسيط والتجريد , ويرسم الفنان (مكي عمران) راس المرأة بأسلوب تجريدي يعتمد عنصر الخط اساساً له, وبأسلوب مبسط ومنظور تسطيحي يقوض من سلطة النقل الحرفي والمحاكاتي للأشكال, فيشتغل الفنان من هذا المنطلق في خانة اللامالوف معتمدا اليات تستثمر المزج بين الثنائيات واذابتهاكالخلط بين الوعي واللاوعي, متجهاً نحو ازاحات شكلية ولونية غير منتظمة تفعل من دور الهامش سواء على الصعيد التجربة الفنية او على صعيد الموضوع. اما ألوانه فقد كانت ذات السمة الأحادية (الابيض والأخضر) امتلكت من الثبات والديمومة أكثر مما يمتلكه اللون ذو النزعة الأكاديمية ذات البناء الذي يعتمد على التدرجات الظلية والتي استخدمها (مكي عمران) بأسلوب مغاير للمنحى الكلاسيكي، اما باقي مكونات المشهد وهذهِ الدرجات اللونية مضافاً اليها اللون الأخضر والقليل من اللون الأحمر الداكن في اسفل اللوحة تتمتع بقابلية الاحتفاظ بقوتها وتأثيرها أكثر مما لو كانت مجزأة أو متلاشية مع لون أخر وفي ذلك تخطى الفنان طرائق الأداء الأسلوبية في استقلال الألوان وابعادها عن التدرج الكلاسيكي بمعنى قدرتها على الامتداد اللامتناهي إضافة إلى ان المسطح اللوني يتعايش مع قانون التكرار من خلال النفاذ إلى ما لا نهاية. لقد بدأ (مكي عمران) في استعمال عجينة اللون بسكين الرسم موزعاً المساحات اللونية بالتجاور في منتصف اللوحة بحيث تبدو كهيئة طائر ومن ثم العمل على العبث بما يجعل التكوين متغيراً لحظة الرسم وربما كانت سمة اللعب الحر وتذويب الشكل من الممارسات التي يعيشها الفنان وهو يحاول ترتيب الأشياء والأشكال أو تشويهها وبذل الجهد لتحويل الانتباه إلى كل من اليد التي ترسم والعقل الذي ينتمي وجوده في المسافات التي تفصل بقع اللون عن الشكل المراد أضافتهِ وتغيرهِ باستمرار، لينتج للحركة والتواصل النفسي امتداداً زمانياً يتوقف في لحظة ما وهذهِ الحيوية تعني بلوغ مرحلة اللعب العقلي بالشيء المرسوم الذي ينبثق من بياض قماشهِ اللوحة وفراغها، ان الأشكال الموجودة في اللوحة تمثل التوجهات الفكرية التي تهيمن على طبيعة الفكرة ومنتجاتها الجمالية وبالتالي فان أي رمز بالكتابة السومرية سيكون مرتبطاً بهذا التداخل مع عقلية الفنان (مكي عمران) الشرقية تلك العقلية المهتمة بتجريد الواقع ،كما يتضح في هذه اللوحة ان هناك اهتمام بزخرفة الأشكال والشخصيات بهويتها الدينية والاسطورية بحيث تكون ممتلئة بحيوية المكان ثقافياً ويمكن ان تعيدها إلى الأصول الفكرية التي تستعيرها تلك الأعمال الفنية التي تغلب عليها روح التجريد لدى الفنان (مكي عمران). ولقد استخدم الفنان الاشكال القديمة كمسلة حمورابي والتي اسست لعلاقات رمزية بين الاشياء المتشابهة, وتعامل مع هذه التداعيات على انها حقائق قائمة في الواقع . فنهض في ثقافة الفنان العراقي مبدأ القدرة على تحقيق ما هو صعب المنال, بإنشاء مثال ذهني لهذه القدرة .اي

ان التعميم الرمزي في البنية الفكرية, قد فعل خاصية تأويل المفاهيم الى رموز, فأحال التجريدات الذهنية بذات الفاعلية الى اعمامات فنية .

اما الفنان (مكي عمران) فيصور في اعماله طقوس واساطير ومراسيم وعادات شعبيه ورموز مستمدة من الهامات سومرية وبابلية , يجسدها الفنان بشكل تجريدي ذي طاقات تعبيرية كبيرة, فالفنان يعرض طاقته الفنية بصياغات عصرية تفكك من الصورة البصرية والفكرة الواقعية وتحيلها الى رموز وايقونات خيالية واسطورية , واشكال متوزعة بعشوائية نوعاً ما , وهو بذلك يقدم اعمال ما بعد الحداثة تتفكك من خلالها المراكز والاشكال والافكار وبالتالي تتشضى المعاني والدلالات الى افاق اوسع.وتظهر اللوحة جوانب الموروث الحضاري السومري والبابلي فقد استلهم الفنان حمورابي باعتباره اول قانون في العالم وهو يحمل العدالة بين الانسان (المرأة والرجل) كما استطاع الفنان ان يجعل رمزية الطائر هو تجلي يحمل مضامين التاريخ بالإضافة الى استخدامه للكتابة المسمارية في اعلى يسار اللوحة.

انموذج رقم (2)

اسم الفنان : نوري الراوي

اسم العمل : وداعاً راوة الجميلة

تاريخ الانجاز :2010

مادة العمل : اكرليك على كانفاس

القياس : 150 × 100,5سم

العائدية : مجموعة الابراهيمي الخاصة

وصف وتحليل العمل

يصور المشهد الفني الذي انجزه الفنان (نوري الراوي) ابنية معمارية لبيوت راوة ذات قباب وفي مقدمتها شكل (ناعور) على نهر قريب , وتميزت الوانه بالشفافية التي يسيطر عليها اللون الابيض الذي لونت به البيوت وتحيط بها اشجار خضراء من الجانبين , اما النهر والسماء فطغى عليها اللون الازرق .

حاول الفنان (نوري الراوي) ومن خلال اسلوبه الفني الفريد تجاوز القواعد والمبادئ الرسمية المتعارف عليها سابقاً , فهو يتعدى كل الشروط والانساق الفنية التي تحدد افكاره ومخيلته في نمط معين , أي انه ومن خلال هذا المشهد التراثي المندمج بروح المعاصرة , عمل على ضرب الانساق الاعتيادية , وتجاوز الصورة البصرية الواقعية , واطلاق مخيلته في فسحة من الحرية مع الحرص على البقاء في جو من المغايرة واللامألوف والانفتاح بالمعنى والحرية التأويلية , وهو ما جاءت به الفنون المعاصرة المرتكزة على اسس العولمة المتمثلة بالاختلاف والتنوع ودمج الثنائيات والتعدد بكل اشكاله , فعمارة قريته العائمة في فضاء متخيل , اشبه بالقباب

البيضاء في تونس وتراثه الفني المرموز اليه بـ(النواعير) وهي عجلة الماء الكبيرة التي تسهم في ارواء الاراضي هي رمز لديمومة الحياة والزراعة القديمة .

الفنان (نوري الراوي) رسم قريته التي نشأ فيها وملأت كل ذكريات طفولته فعكس حالة الحنين الى طفولته البريئة , فنلاحظ الاشكال الاساسية في العمل متمثلة بالبيوت الريفية بمدينة (راوة) والناعور والنهر والاشجار والسماء الصافية هي مفردات مستمدة من ذاكرته الصورية , احالها الى تشكيلات متلاصقة تعمل على الايحاء بالحركية والديناميكية داخل العمل , رغم ثبات تكويناته الكتلية وابنيته المعمارية , معتمداً عل الالوان في اظهار قوة التعبير والانفعال والرغبة والحب , من خلال معالجات لونية وامتدادات ايقاعية حركية محققاً انسيابية واحساس ضمني بالتلقائية , وصولاً الى رؤية تحاول التسلل الى الاعماق اللاشعورية للتعبير عن الضرورات الداخلية للفنان بأسلوب جمالي متقن . اذ يقول (الغذامي) في مواصفات الوظيفة النسقية " لابد ان يكون النص جميلاً ويستهلك بوصفه جميلاً ,بوصف الجمالية هي اخطر حيل الثقافة لتمرير انساقها وادامتها"(عليمات ,2004 , ص36.)

وهو بذلك يذيب الثنائيات المثالية والمادية ويتح الباب امام تعدد القراءات الثقافية وتعددية المعنى (البيت – النهر – القباب – دوران الناعور) , وتعددية معانيها الى معاني وتفسيرات تسمح بإدخال المتلقي كعنصر مكمل وفعال , يسهم في استكشاف المعنى المضمر, الفنون المعاصرة قائمة بالأساس على الغرائبية والغموض التي تحتاج الى المتلقي الفطن الذي يملك مفاتيح الغازها وانساقها , وهو اتجاه مهدت له مابعد الحداثة يسعى الى تقويض الثنائيات وتحطيم المركزيات , وهو ما ابرزه الفنان من تقويض عامل الزمان والمكان من خلال الاسلوب الحلمي الشفاف الذي يتيح الانفتاح بالنص نحو افاق وتأويلات كثيرة ومتعددة.

ان المشهد الفني هنا اقرب الى الرؤية الحلمية الذي سبقه بها الفنان (مارك شاغال) ومشاهده الحلمية وتصوير قريته وما فيها من حيوانات برية واسماك ومزارع واشخاص محلقين في الفضاء وغيرها , كذلك (نوري الراوي) حاول دمج الثنائيات معتمداً اليات اشتغال توظف بين الوعي واللاوعي في الاداء , في محاولة لاستدعاء الماضي والهروب اليه في حالة نكوصيةيسعى اليها الفنان الباحث من خلال ذكريات طفولته عن متنفس لمشاعره الرقيقة وصرخاته المتوسلة للسلام وعن الانسانية وسط مخلفات الحروب وسيادة التكنولوجيا والتقنيات الحديثة , مبتعداً عن عالمه الواقعي وما فيه من سباق للسلطة والسيطرة في العصر الرأسمالي المهيمن .

ان اسلوب الفنان خاص ومتميز , يعبر عن نسق نفسي مضمر يختبأ خلف اشكاله الحلمية وتصميماته الجمالية , مضامينه الفنية قائمة على المغايرة واللامالوف في الطرح الفني , رغم بساطة الاشكال وعفويتها وانسيابيتها اللونية الشكلية , واعتماده السرد اللاواقعي , فمثلا مفردة القباب المتكررة في العديد من اعماله انما هي ايحاءات ترتبط بجسد المرأة مماثلة لصدرها , وتعود هذه الحالة الى ارتباط الطفل بأمه في فترة الرضاعة , كما ان هناك ارتباطات ايضا برحم الأم في اشكال القباب الدائرية ترمز لحاجات الاحتواء , وهذا يعكس نسق ثقافي وجودي يعبر عن القلق والرغبة بالاستقرار والامان , وكما يرى (سيجوند فرويد) " ان العمل الفني هو موقع اثري له طبقات متراكمة من الدلالة ولابد بالتالي من كشف غوامضه واسراره " (الرويلي, 2005, ص333) , ويمكن ان نجد النسق الثقافي النفسي الذي يعكس حالات من القلق الوجودي فتظهر في ابواب البيوت خبايا النفس ومخاوفها , فهذه الابواب المضللة بالوان قاتمة مضمرة في لاوعي الفنان اسرار ومكبوتات وحاجات نفسية ناتجة عن مواجهة ومعارضة لكل ما من شأنه تكبيل فكر الفنان ومشاعره ووجوده ككل .

مما تقدم نستنتج ان النسق النفسي يظهر من خلال اللاوعي كونه بنية مضمرة متحكمة في سلوك الفنان وافكاره ورغباته, التي تصارع سلطة المنطق والاعراف والقواعد , من اجل ارضاء رغبات مكبوتة في اعماق اللاوعي تكونت منذ الطفولة.

انموذج رقم (3)

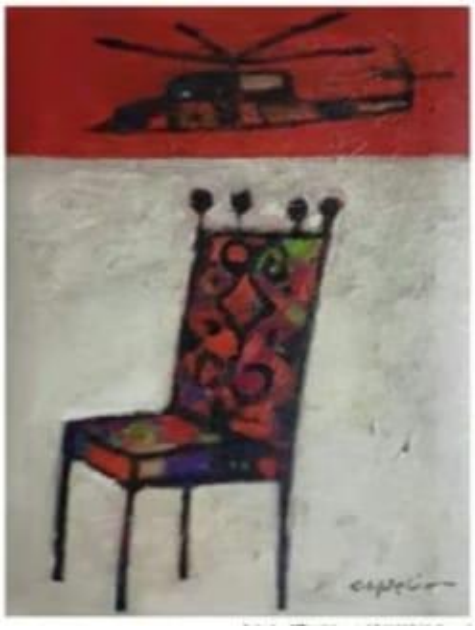

اسم الفنان : فاخر محمد

اسم العمل : كرسي الحكاية الخرافية تحت سماء الحداثة الاستعمارية

تاريخ الانجاز :2010

مادة العمل : اكرليك على كانفاس

القياس : 35 × 28سم

العائدية : مجموعة خاصة – العراق

وصف وتحليل العمل

قسم الفنان (فاخر محمد) عمله الفني الى قسمين غير متساويين بشكل افقي القسم العلوي الصغير باللون الاحمر القاتم يتضمن شكل طائرة حربية (هليكوبتر) , والقسم السفلي باللون الابيض يتضمن شكل (كرسي) بأربعة قوائم نفذ بشكل جانبي مزين بالزخارف الملونة بالأحمر والاخضر والاسود والبنفسجي.

تم تجريد العمل الفني شكليا من الوجود البشري , والمختزل من زحمة الاشكال والتكوينات , لذا ظهر الجانب التعبيري لتكوينات (فاخر محمد) أكثر رمزية من اجل تحقيق مبتغاه الفني والجمالي , وقد مثلت رموزه وإشاراته المتناثرة دوالا لها مدلولاتها المضمرة في هذا العمل فهي علامات واشارات أخذت قيمتها من خلال تخطيط مسبق لثيمتها(لفكرتها) , وشكلت بمجملها منظومة معرفية لم تبتعد في الأسلوب والشكل الهندسي عن تمثلاتها المعرفية والجمالية , فالمشهد انما يضمر خلف بساطته واشكاله المتناقضة العلاقة ظاهرياً ,انساقاً سلطوية متمثلة بالواقع السياسي الذي يعيشه الفنان , اذ يبدو العمل الفني تجسيد غير مباشر لواقع الصراع السياسي الدموي عل كرسي السلطة وهي مواضيع تراثية تاريخية معاشه منذ اقدم العصور , يظهرها الفنان بسطوة السلطة الاجنبية على مقدرات العالم .

العمل يتسم بالشمولية والاتساع , اذ يركز على (تعددية الهوية) فالكرسي مرموز ثقافي تراثي , لا يعبر عن كرس يحكم في بلد معين , انما هو يشمل كل بلدان العالم , اذ لم يحدد الفنان من خلال ترميز معين انتماء الكرسي لثقافة معينة او حزب او فئة , باستثناء الطابع الزخرفي العربي الاسلامي الذي زين به الفنان نسيج الكرسي , فتكوين الكرسي هو تعبير مضمر يرمز الى البلاد واحوالها السياسية , والفنان هنا فعل من العناصر الهامشية (الكرسي – الطائرة) وجعها تحتل المركزية في الثقافة المعاصرة ,كونها هي الهدف الذي يتملك فكر العالم المعاصر, بعد (تقويض الجانب العقلي) و(ضرب النظم الاجتماعية) والمبادئ الخلية والدينية.

لم يرسم الفنان أي وجود للإنسان , التركيز عل الذات الفردية والجمعية ليس بالأمر الفاعل هنا , فتهميش الانسان هنا هو تأكيد على ما تضمره الحرب والمصالح السياسية والفكر الرأسمالي من تفكيك وضرب القيمة الانسانية , فالمشهد يصور حالة الغرب الاجنبي كقوى استعمارية مستمرة في غزواتها وسيطرتها بحسب مصالحها المادية سواء كان ذلك بشكل مباشر كالغزو بالأسلحة الحربية , او بشكل غير مباشر كالغزو الثقافي, الذي يتم كجزء من العولمة الثقافية , التي تستخدم الاعلام وجميع وسائل الاتصال والموضة لنشر افكارها المغايرة وبأساليب متنوعة وذكية , فتعمل على تفكيك البنى الاجتماعية والتقاليد والاعراف والمعتقدات الدينية ايضاً, وهذه الاساليب وهي اساليب الحرب الباردة التي سهلت ضرب الانساق من خلال الرسائل المضمرة بانعتاقها عن العرف والتقاليد, نحو نبذ الهوية ونبذ العقل , الامر الذي يساعد المحتل على تحقيق مطامعه الاحتكارية.

ان نسقية الطائرة الحربية التي تحل في سماء حمراء دامية , انما تضمر اشارات كالدمار والخراب والموت وما يرافقها من ارهاصات نفسية وتفكك اجتماعي وثقافي , فرؤية الفنان غالبا ما تستند الى فعلية اشتغال الانساق المضمرة لتأكيد انفتاح النص دلالياً وجمالياً , وبالتالي فأنها نوع من الوعي الجمالي المتناسب طرديا مع تعدد القراءات , وهي ما تعزز هيمنة صورة الكرسي مفاهيمياً على الرؤية النسقية على مستوى الارتداد الا نساق الدال وفاعلية المدلول وما بينهما من صياغات تأويلية تعكس فكرة صياغة الصورة بهذه الخاصية النسقية الاظهارية.

ان العمل هنا يوضح لنا انساق اجتماعية وسياسية , فالفنان كغيرة عاصر فترة الحروب , وقد حاول التعبير عن ذلك بأساليب اكثر معاصرة واكثر تجديداً تقوم على استكشاف الروح الباطنية والصرخة الصامتة في اعماق الانسان.

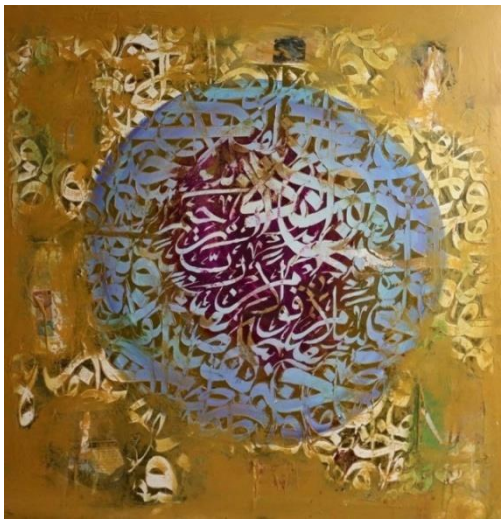

أنموذج رقم (4)

اسم الفنان : جاسم محمد

اسم العمل : سلام قولا من رب رحيم

القياس :80 × 80

تاريخ الانتاج : 2013

العائدية : فيرجينيا

وصف وتحليل العمل :

يصور الفنان الحروفي جاسم محمد شكل دائرة مجسمة اشبه بالكرة نوعا ما بفضل الحركة الحروفية وسط الشكل المربع للوحة وانتشرت الحروف والكلمات المموهة في بعض الاحيان على سطح العمل مقروءة وغير مقروءة بالألوان الاحمر والازرق والابيض والاوكر.

يتضح النسق الثقافي عبر هذا العمل بوساطة اليات التشكيل الحروفي اللوني , كون الحرف العربي كان ولا يزال رمزاً تراثياً غنياً, فالتكوين الحروفي ابرز قيمة العمق الروحي في العلامات كالدائرة والنقطة التي جسدها الفنان كثيرا بالوان مختلفة في اعماله , وفي

حركاتها وتوافقها البصري والفكري عند تعامله مع النص الكتابي أو فضاءاته المدروسة والونه وخطوطه ، فقد حاول ان يمتد بإشاراته الجمالية والغوص عميقاً باتجاه التكوين الكروي الذي يشير الى اللاانهائية وانسيابية الحروف في الفضاء المتشكّل على امتداد الدائرة الكونية, وتضمينه لا شعورا للذاكرة الجمعية, وفكرة انتمائها للأزمنة والأمكنة وتداعياتها بين الماضي والحاضر اي محاولة الفنان دمجها مع الطروحات الفنية المعاصرة, و تعامله مع مستويات الأشكال حسب فكرة العناصر الحروفية ومستوى تماسكها وانحناءاتها ودلالاتها وإيماءاتها.

تتضح مهارة الفنان (جاسم محمد) في هذا العمل الحروفي, اذ أكسبته الممارسة والتجربة فكراً وخبرة وعمقاً في مزج الألوان وايجاد التناسق والانسجام حيناً او التضاد بين الشكل او الارضية وتوظيفها في اللوحة مع بساطة التصميم , إنها تجربة تشكيلية حروفية عميقة المعنى والتفرّد, فالفنان يمارس الحكمة في التصوف والانعتاق الروحي في الالتفاف والدوران بحروفه حول دائرته الكونية ,فيحاول ان يفكّ رموز الكلمات بحركية تتجادل مع اشكال الحروف وتروّيض الألوان من خلال **الية** التقديم والتأخير في المراكز والمتون والهوامش فمرة يتقدم الحرف والكلمة ومرة تعلوها الالوان, ليُعلن حالة الاختلاف والمغايرة وربما المراوغة في بعض الاماكن كأنها نصوص جذمورية كما قال عنها (جيل دولوز) وسطوح المحايثة في نصوص ما بعد الحداثة التي لا تعرف البداية والنهاية فقط الانفلات على السطوح مبتعدة حتى عن النهج التقليدي في الرسم الحروفي , كما يظهر التوهّج والإشعاع بإضاءة الالوان في بعض الحروف داخل الدائرة وخارجها ليضفي اليها فصاحة آسرةً بصرياً وهي تتجلى مع توافقها الروحاني المتحرر شكلا ولونا.

اي ان الحروف التي ينفّذها جاسم عميقة في رمزيتها التي تتجاوز الكلاسيكية , فيشتغل الفضاء على هندسة الحروف ليكوّن نصاً انتقائياً يُجبر المتلقي على التفاعل وسد الثغرات وتعددية المعنى وصولاً الى الاقناع الجمالي ورؤية ابداعية متفردة ,فقد استطاع الفنان من جهة الحفاظ على التصور الواقعي للحرف عند تشكيله القرائي ليخلق نوعاً من الصلة بين منجزه الفني وبين ذاكرة المتلقي وحنينه الى الإرث المقروء، فتلك الظلال التي يشكّلها بتصاميم هندسية مرنة شبيهة بعمارة (زها حديد) مع التدرجات اللونية في عمق الفضاء الذي تشغله الحروف فتندمج متدرجة كاشفة عند ثراءها الحضاري، وهو ما يميز الغموض في التشكيل مع القراءة الحروفية والتدرجات اللونية والهندسية التفاعلية في التواءها وحركاتها لتنشر عنصر التشويق والرغبة في محاولة القراءة التي لا تبتعد عن روح الآية الكريمة (سلام قولا من رب رحيم) التي شغلت مركز السيادة في التصميم , والجملالشاعرية والشعرية التي تحيط بتصميم الآية الكريمة وبدورها تثير عنصر الخيال وتحرّكه مع بقية التشكيل الحروفي, معتمدا على الحيويّة اللونية والموسيقى التشكيلية, وهي الميزة التي يشتغل عليها الفنان محاولاً جذب تأمل المتلقي إلى تلك الصيغ البصرية الجديدة مدركاً أنه لا يتعامل مع نصوص تقليدية في خطاباتها بل مع منجز فني له توافقاته التفاعلية الذهنية والحسية.

كما انه يجبر من خلالها اللوحة كي ترضخ لمقاييس الحرف العربي الديواني المتحرّر من مجازاته باتجاه تقمّص الصورة الكلية للتكوين , من خلال عمليات الحذف والاضافة بشكل مستمر, فالفنان لم يبتعد بحروفياته عن بساطتها وتداوليتها ولم يتماه مع الحرفيّة المتغلغلة في ميكانيزمات التشكيل الغربي بل قدم فهماً جديداً للتراث الشرقي الحضاري متمثلاً بالخط العربي والحروفيات وتجاوز قواعده دون أن يخلّ بها، فوظّف الخامات والعناصر التكوينية المتنوعة ليمنح النصوص دورها في تملّك الفراغ والضياع فيه , واختراق مساحة العمل بالعمق والكتل والغياب والحضور ، فيذهب باللون بكل تضاداته وانسجامه إلى مستويات قصوى في الظلال , ثم يأتي به الى أوسع مديات النور كي تتراكم حروفياته في تناصاتها وتكاثفهاوتصعيد مجاز الصورة, مع محاولات لسرد

المعنى وعُمق التعبير بصرياً, مما أثار فكرة الغموض والتجدّد الازاحي ، فهو يربط جسور بين اللوحة والحرف والتبادل الفكري لكل الثقافات الإنسانية التي لا تنفصل عن ذاكرتها الجمعية اللاشعورية ولا تتنكر لكل فعل حداثي له اشتغالاته وتوازناته الجمالية المنفتحة.

مما تقدم نستنتج يعمل النقد الثقافي على سبر اغوار النصوص والاعمال الفنية للكشف عن الانساق الثقافية المضمرة وراء ماهو ظاهر او معلن ,وقد تميز الفنان بأسلوب التجريد خاص في استخدام الحرف العربي كعنصر اساسي في العمل فجمع بين عوالم الخيال الخاصة به وبين الحرف العربي وهو من التراث وقد حرفه وصيره ليكون مطواعاً لرؤاه واهدافه, مما جعله متعدد المعاني والدلالات وقد زاد هذا من وقعه الدينامي على نفس المتلقي.

خاتمة البحث

اولاً: نتائج البحث

تم التوصل الى عدة نتائج اهمها:

1- ارتبطت فاعلية النسق المضمر الفكرية منها والبنائية في منجزات الرسم العراقي المعاصر , بتعدد القراءات وانفتاح النص البصري والحرية ولانهائية المعنى وتنوع البنى الدلالية وادراك فكرة الازاحة من الحسي الى المجرد وتجاوز المألوف والمعتاد واعتماد اللاوعي , وهو ما ابرزته نماذج عينة البحث.

2- سعى الفنان العراقي المعاصر الى استحضار تراثه الرافديني والاسلامي القديم وترسيخ فكرة النسق المضمر في منجزاته الفنية من خلال المزاوجة بين التراث والمعاصرة , استناداً الى انماط التحولات المعرفية والثقافية والعلمية والسياسية والاجتماعية التي طالت بنية المجتمع العراقي وظهر ذلك في نماذج عينة البحث.

3- اثرت المعطيات التراثية والبيئية والموروثة في نتاجات الرسم العراقي المعاصر , من منطلق التنافذ الفكري كأنساق مضمرة , في تأكيدها على الهوية المحلية برؤى فنية معاصرة ضمن فضاء الفن المعاصر واساليبه المغايرة للمألوف.

4- تنوعت مديات النسق التراثي المضمر على المستوى البنائي للعمل الفني مع المؤثرات الادراكية للأشكال التي تمظهرت بأساليب شتى مغادرة الاسلوب الواقعي باتجاه الغموض والاختلاف والتفكيك والمعنى المفارق بين الدال والمدلول والتجريد العالي وترميز الاشكال كما في نماذج العينة المختارة.

5- تناوبت فاعلية الهامش والمركز عبر تجاذباتها المفاهيمية الناتجة من تفعيل الخطاب الجمالي المحايث للمنجز الفني لترسيخ عوامل الهوية والارث التاريخي والانتماء والاخلاق واللغة الاساطير, وخصائص التقابل الدلالي للشكل مع المضمون في نماذج العينة .

6- افصحت الانساق التراثية المضمرة في المنجز العراقي المعاصر عن حالة التشتت الانساني والفكري والنفسي والديني والاجتماعي واللاشعور الجمعي , مما ادى الى حالة القلق وعدم الاستقرار والتوتر في لاوعي الفنان العراقي وهو نسق متوارث في لاوعي الانسانية جمعاء حثته على المعارضة ورد الفعل ازاء تلك الظاهر والتعبير عن رفضه الدائم من خلال منجزاته الفنية.

7- تمثلت الاساليب البدائية والفطرية والتلقائية في الرسم العراقي المعاصر في تبسيط الاشكال واختزالها بشكل مشابه للرسوم البدائية او رسوم الاطفال ,مثلت نوعا من النسق النفسي المضمر وحالة النكوص لدى الفنان باتجاه عوالمه الداخلية اللاشعورية هاربا من ضغوط الواقع وتناقضاته .

8- تأثر الرسم العراقي المعاصر بسلطة العولمة وانعتاقه من قوالب الفن النخبوي وانتهج اساليب ذات مرجعيات تفكيكية عملت على تقويض سلطة العقل, وتحميل العمل الفني مراكز متعددة كسرت حاجز الثابت والمطلق وانفتحت على جوانب اللامطلق واللامحدود واللانهائي ,وزادت من فاعلية الهامش شكلا وموضوعاً , وهي انساق نفسية سياسية اجتماعية دينية مضمرة تمنح الفنان الرغبة في التجريب والمغامرة والعنف واللعب الحر ,كما في نماذج العينة (2, 3, 4).

9- كشفت الانساق المضمرة عن الجانب السلبي من خلال تهميش قيمة الانسان في النص المعاصر وتشويه ملامحه بطريقة تهكمية ساخرة نتيجة حالة الفوضى والعدم التي يعانيها الانسان كما في النموذج (4), او تم التقليل من تواجده في النصوص الفنية كما في النماذج (1, 2, 3).

10- توالدت الانساقالعلاماتية والاشارية والرمزية للتراث العربي في الرسم العراقي المعاصر , كصيغ افتراضية مضمرة تتبدى من خلالها الخواص الدالة بأسلوب يحقق الانزياح ويحيل المفردات البصرية الجزئية الى محولات ذات تأثير جمالي غير مألوف في جميع نماذج العينة.

ثانياً: الاستنتاجات

في ضوء نتائج البحث تم التوصل الى مجموعة من الاستنتاجات اهمها:

1- لعبت الانساق التراثية المضمرة دوراً فاعلاً في انشاء علاقة بين البحث الدلالي وبين الخطاب الثقافي , اذ عملت على اقصاء فكرة المحمولات الجمالية التقليدية في الرسم العراقي المعاصر , وتقديم الميكانزمات الفنية المعاصرة كبدائل مغايرة من منظور الرؤية الاشتغالية للنقد الثقافي.

2- اضحى النسق التراثي المضمر بجميع جوانبه (النفسية – الفكرية – الثقافية – الدينية – السياسية – الاجتماعية – الاقتصادية –) يمتلك خصوصية الجذب والتأويل وتعدد القراءات والتفسيرات بعد تأثر الرسام العراقي المعاصر بسلطة الخطاب الجمالي الغربي.

3- كان تأثير نزعة العولمة الثقافية واضح على معطيات الرسم العراقي على مستوى الشكل والافكار والمضامين والاساليب والتقنيات , وهو ما فعّل مفهوم كسر الثوابت والقواعد المتعارف عليها سابقا , فالعولمة حولت العالم الى قرية تتجانس فيها المعلومات وتتنافذ فيها الافكار وتتقارب المتضادات.

4- اتاح النسق التراثي المضمر من اعادة صياغة الموروث بمواقفه وافكاره واحداثه بما يتناسب حضورياً مع الرسم المعاصر وفق خصوصيات النقد الثقافي .

5- اظهرت الانساق المضمرة ضرورات التنافذ مع الحدث البصري كدوال سردية في الحقل البصري تعمل على تقديم عناصر السرد كصورة مشهدية امتلكت خصائص النقد والتحليل والقراءة.

ثالثاً: التوصيات

1- تضمين المناهج الدراسية المتخصصة مجمل التجارب الفنية والتحولات التاريخية ومستجدات الاساليب والمعالجات التقنية التي مرت عبر الرسم العالمي والعربي والعراقي عبر التاريخ.

2- اجراء دراسات مكثفة حول التوجهات النقدية المتنوعة وخاصة النقد الثقافي واثرها في الرؤى والطروحات التشكيلية ومنها الرسم المعاصر.

3- ابراز اهمية الانساق المضمرة عبر عقد ندوات وورش عمل ومحاضرات توعوية حول اهمية الانساق وفاعليتها في التنافذ الفكري والثقافي عبر العصور.

رابعاً: المقترحات

تقترح الباحثتان انجاز الدراسات الاتية:

1- فاعلية الانساق المضمرة في عمارة زها حديد.

2- الانساق المضمرة في الرسم الحديث من منظور النقد الثقافي.

المراجع والمصادر

اولاً: المصادر

1. آدلر، ألفرد: الطبيعة البشرية، تر: عادل نجيب بشرى، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005.
2. آدلر، ألفريد: النجاح والذات في علم النفس الحديث، تر: فؤاد زكريا، دار المعارف، القاهرة، 2014.
3. بارت، رولان: الأسطورة اليوم، تر: مصطفى كمال، بيت الحكمة، منشورات سوي، باريس، 1956.
4. بارت، رولان: لذة النص بين الترجمة والابداع: تر: منذر عياشي، ط1، مركز النماء الحضاري، باريس، 1992.
5. بعلي، الحفناوي: مدخل في نظرية النقد النسوي وما بعد النسوية، ناشرون، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ، لبنان، الجزائر، 2009.
6. بوديو، بيير: اللغة والسلطة الرمزية، تر: علاء عبد الرزاق، تموز للطباعة والنشر ، 2022.
7. بوردير، بيير: التمايز: نقد الحكم الاجتماعي، تر: نصير مروة، الشبكة العربية للأبحاث والنشر2024.
8. جبرا, ابراهيم جبرا: جذور الفن العراقي, الدار العربية للطباعة والنشر, 1986.
9. جيدنز، أنتوني: الحداثة والهوية، تر: مصطفى كمال، المركز القومي للترجمة، 1991.
10. جيمس، وليم، البراجماتية، تر: محمد علي العريان، تقديم: زكي نجيب محمود، سلسلة ميراث للترجمة، 2008.
11. حمداوي , جميل: نظريات النقد الادبي في مرحلة ما بعد الحداثة , مؤسسة الالوكة للطباعة والنشر, المغرب, 2011.

12. دوركهايم، اميل: الأشكال الأولية للحياة الدينية. تر: رندة بعث، المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسية، بيروت، 2019 .

13. دوركهايم، اميل: تقسيم العمل الاجتماعي، تر: محمود قاسم، دار المعرفة، القاهرة، 1893.

14. دوركهايم، اميل: قواعد المنهج علم الاجتماع، تر: محمود قاسم ، مراجعة محد بدوي، مكتبة النهضة، القاهرة، 1950.

15. الرويلي , ميجان واخرون : دليل الناقد الادبي , المركز الثقافي العربي, 2005.

16. سعيد، ادوارد: الاستشراق، تر: احمد زكريا الشويخ، دار المدى، دمشق، سنة 1991.

17. شتراوس، كلود ليفي: البنى الأولية للقرابة، تر: علي الموصلي، دار الكتاب الجديد، 1983.

18. عليمات , يوسف : جماليات التحليل الثقافي , الشعر الجاهلي انموذجاً , المؤسسة العربية للدراسات والنشر, بيروت – لبنان,2004 .

19. غزالي، الهواري: مدخل الى الادب الرمزي الكيميائي في استخلاص النماذج العليا عند سيف الرحبي، الان ناشرون وموزعون، 2025.

20. غيرتز، كليفود: تأويل الثقافات، تر: محمد بدوي، مر: الأب بولس وهبة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2009 .

21. فرويد، سيجموند: الانا والهو، تر: محمد عثمان نجاتي، ط4، دار الشروق، بيروت، 1982.

22. فرويد، سيجموند: حياتي وتحليل النفسي، تر: مصطفى زيور وعبد المنعم المليجي، ط4، دار المعارف للطباعة والنشر، القاهرة ،1994.

23. فوكو، ميشيل: مراقبة ومعاقبة ، تر: علي مقلد، مر: مطاع صفدي، مركز الإنماء القومي، بيروت، 1990.

24. فوكو، ميشيل: نظام الخطاب، تر: محمد سبيلان دار توبقال، الدار البيضاء، باريس، 1971.

25. فيبر، ماكس: الاقتصاد والمجتمع. تر: حافظ الجمالي ، مكتبة الشغف، بيروت، 1986 .

26. فيبر، ماكس: الاقتصاد والمجتمع،ط2, تر: محمد التركي، دار الفكر الجديد ، مر: فضل الله العميري، بيروت، 2015.

27. قنديل، فؤاد: ادب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية، القاهرة ، 2002.

28. كامل , عادل : الفن التشكيلي المعاصر في العراق, مرحلة الرواد , بغداد, دار الشؤون الثقافية العامة, 1986 .

29. كناعنة، شريف: دراسات في الثقافة والتراث و الهوية، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، رام الله – فلسطين، 2011.

30. الكيلاني، شمس الدين: من العود الابدي الى الوعي التاريخي، دار الكنوز الادبية، بيروت، لبنان، 1998.

31. محبك، احمد زياد: من التراث الشعبي، دار المعرفة، بيروت، لبنان،2005.

32. معزوز، عبد العالي: هشام شرابي و نقد النظام الابوي في المجتمع العربي، مركز الدراسات الوحدة العربية ، بيروت، 2012.

33. هشام ، شروق: الفنانة التشكيلية (صفية بن زفر) من قبل وزراء الثقافة الخليجيين، 27 أكتوبر 2022.

34. يونغ، كارل: النماذج البدائية واللاوعي الجمعي، تر: ميثم الضايع، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، 2016.

ثانياً: الرسائل والاطاريح

35- حسين، ديانا ماجد، الاسطورة والموروث الشعبي في شعر وليد سيف، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2013.

36- الخفاجي, فاطمة عمران راجي: خصائص الرسوم الفنية وعلاقتها بسمات شخصية الرسام العراقي المعاصر, اطروحة دكتوراه غير منشورة, كلية الفنون الجميلة, بابل, 2012 .

ثالثاً: الدوريات والمجلات

37- جصاص، لبنى: : دور الثقافة في بناء هوية المجتمعات – بين ضرورات التحفظ ودواعي الانفتاح، جامعة باجي مختار عنابة، الجزائر، ، المجلد 10، العدد 1، مجلة العلوم القانونية والسياسية، 2019 .

38- كامل , عادل: كاظم حيدر الاسطورة تستعيد سياقها, مجلة الموقف الثقافي, العدد 15,دار الشؤون الثقافية العامة, 1998.

39- النجار, علي: فاخر محمد الرموز الهيروغليفية للخليقة, جريدة القادسية, شباط, الخميس, 15-2- 1996.

خامساً: مقالات من الانترنت

40- أبو هميلة، حميدة: الأزياء التقليدية العربية رسائل ثقافية على نسيج ملون، 31/يناير/2023 https://www.independentarabia.com

41- بوتنام، روبرت: البولينغ وحده. انهيار واحياء المجتمع الأمريكي ، الناشر سيمون وشوستر، الولايات المتحدة،2000، https://www.beyondintractability.org.

42- الجويلي، محمد: الوشم. رمز تراثي محمل بدلالات تختصر الحضارة الإنسانية، 25 ابريل/ 2016. https://alarba.co.uk

43- حوماني، دارين: التاريخ لا يكتبه المنتصرون فقط في وداع ليلى الشوا، 9/ نوفمبر/ 2022. https://diffah.alaraby.co.uk.

44- عابدين، سارة: النسوية والفن. تحول المرأة من أداة فنية لفنانة فاعلة، 23/ مارس/ 2021 , https://diffah.alaraby.co.uk

45- عبد الرحمن ، محمد: انجي افلاطون بين الثورية والذاتية، مجلة ذاكرة الفنون، 20 سبتمبر 2021.. ينظر الى الموقع.. https://alrai.com.

46- قحطان ، محمد: ألفرد أدلر. اهم أفكاره واسهاماته في علم النفس، 2024. https://elvis.com

47- المسدي، عبد السلام: الهوية العربية والأمن اللغوي، المركز العربي للأبحاث والدراسات السياسية، تونس،2014 ، https://carep.tn.

48- http;//www.almadasupplements.com/news.php.

سابعاً: وقائع مؤتمر

49- مختار، رحاب: الجسد الانثوي في المخيال الذكوري من خلال الثقافة الشعبية الجزائرية، أعمال المؤتمر الدولي 2012 حول إشكالية الجسد في الخطاب العربي الإسلامي، جامعة مستغانم.

فاعلية استراتيجية مقترحة قائمة على نظريتي القبول التكنولوجي (TAM) والنظرية الترابطية في تنمية مهارات التعلم الشبكي والتفكير الإبداعي في مادة اللغة العربية لدى طلبة الصف الخامس الادبي

أ.د. ذرغام جبار حمود

الجامعة المستنصرية ـ كلية التربية ـ قسم اللغة العربية

Bvcdsds668@gmail.com

00964783013715

الملخص

هدف البحث إلى معرفة) فاعلية استراتيجية مقترحة قائمة على نظريتي القبول التكنولوجي (TAM) والنظرية الترابطية في تنمية مهارات التعلم الشبكي والتفكير الإبداعي في مادة اللغة العربية لدى طلبة الصف الخامس الادبي(، من خلال استراتيجية مقترحة قائمة على نظريتي القبول المركزي والترابطية مدعمة بخطوات تدريسية مشتقة من المبادئ التربوية للنظريتين ، وقد وظف الباحث المنهج التجريبي ذات التصميم شبه التجريبي ذي المجموعتين التجريبية والضابطة ذواتي القياسين القبلي والبعدي، تكون مجتمع البحث الحالي من المدارس الإعدادية الصباحية في تربية الرصافة الثالثة، حيث تألفت عينة البحث الأساسية من (70) طالباً، ولمجموعتين تجريبية ضمت (35) طالبا ، واخرى ضابطة (35) طالبا ، وقد تمثلت أداتا القياس في اختبار مهارات التعلم الشبكي واختبار التفكير الابداعي وكان نوع الاختبار (اختيار من متعدد) ولكلا الاختبارين ، وبواقع (20) فقرة اختبارية تقيس مهارات التعلم الشبكي ، و(25) فقرة اختبارية تقيس مهارات التفكير الإبداعي ، وبعد استخراج نتائج البحث بمجموعة من الوسائل الاحصائية، اكدت النتائج فاعلية كبيرة للاستراتيجية المقترحة في تنمية كل من مهارات التعلم الشبكي ومهارات التفكير الإبداعي لدى طلبة المرحلة الإعدادية ـ الخامس الادبي عينة البحث وفي ضوء نتائج البحث الحالي أوصى الباحث بمجموعة من التوصيات والمقترحات.

الكلمات المفتاحية: استراتيجية مقترحة، نظرية القبول التكنلوجي، النظرية الترابطية، مهارات التعلم الشبكي، مهارات التفكير الابداعي، اقسام اللغة العربية

The Effectiveness of a Proposed Strategy Based on Technology Acceptance Theory (TAM) and Connectionism Theory in Developing Network Learning Skills and Creative Thinking in Arabic Language Among Fifth-Grade Literary Students

Prof. Dr. Dhargham Jabbar Hammoud

Al-Mustansiriya University - College of Education

Department of Arabic Language

Abstract

This research aimed to determine the effectiveness of a proposed strategy based on the Technology Acceptance Model (TAM) and Connectivism Theory in developing networked learning and creative thinking skills in the Arabic language subject for fifth-grade literary students.

The researcher employed a quasi-experimental design with two groups: an experimental group and a control group, using both pre-tests and post-tests. The sample consisted of 70 students, with 35 students in each group.

The measurement tools included a networked learning skills test and a creative thinking skills test, both of which were multiple-choice. The first test had 20 items, while the second had 25.

The results confirmed the significant effectiveness of the proposed strategy in developing both networked learning skills and creative thinking skills among the sample students. Based on these findings, the researcher provided a set of recommendations and suggestions.

Keywords: Proposed strategy, Technology Acceptance Model, Connectivism Theory, Networked Learning Skills, Creative Thinking Skills, Arabic Language departments.

مشكلة البحث:

مشكلة تدريس الأدب في ظل التطورات التكنولوجية تكمن في صعوبة مواكبة المناهج للتيارات الحديثة، واعتماد الأساليب التقليدية المسببة للملل، بالإضافة إلى تحديات تقنية ونقص في الكفاءة المهنية للمعلمين لتوظيف أدوات مثل الذكاء الاصطناعي، يساهم الذكاء الاصطناعي في توفير الوقت للمعلمين، لكنه يثير مخاوف من الاعتماد المفرط على الأدوات التقنية وتزييف الأفكار، مما يتطلب تطويرًا مهنيًا مستمرًا لضمان استخدامها بشكل آمن ودقيق في العملية التعليمية

إذ دخل استخدام التكنولوجيا التعليمية الحديثة ،لدى الصفوف الدراسية بكافة مستوياتها، واصبح امتلاك مهارات استخدامها حاجة ملحة، وربما المهارة الرابعة الى جانب القراءة ،والكتابة ،و العمليات الحسابية ، اذ يرتبط استخدام الحاسوب وهو إحدى هذه التقنيات في التعليم من جانبين : الأول :يتعلق بتعليم مهارات استخدام الحاسوب، والثاني استخدامه كوسيلة لعملية التعلم والتعليم في الموضوعات المختلفة ، ولمستويات تعليمية مختلفة.

قد يواجه بعض الطلاب صعوبة في التكيف مع المحتوى الذي يتم تقديمه عبر الإنترنت، مما يترتب عليه صعوبة في التحول من التعلم التقليدي إلى التعلم الافتراضي، وذلك بسبب اعتيادهم على بيئة التعلم التقليدية، فقد يستغرقون وقتًا مبالغ فيه للتكيف مع نمط التعلم الجديد، وذلك بسبب وجود فروق فردية بين الطلاب يترتب عليها اختلاف في معدلات الفهم والتكيف فيما بينهم، ويأتي هُنا دور المعلم في توفير الدعم للطلاب خلال طرق متعددة للاتصال إلى جانب منح الطلاب فرصة مساعدة بعضهم بعضًا خلال تضمين سلسلة مناقشات تتم في بيئة غير متزامنة، وتكمن مشكلة البحث الحالي في الإجابة على التساؤل ما فاعلية استراتيجية مقترحة قائمة على نظريتي القبول التكنولوجي (TAM) والنظرية الترابطية في تنمية مهارات التعلم الشبكي والتفكير الإبداعي في مادة اللغة العربية لدى طلبة الصف الخامس الادبي .

أهمية البحث:

تعتبر الوسائط الالكترونية أو الرقمية ، من أهم وابرز ملامح الثورة الرقمية الحديثة، ونتاجا طبيعيًا لعولمة الاتصالات، انها وسائط متنوعة تقود الى مخاطبة جميع الحواس في الانسان ،وكذا مداركه ومشاعره ، فالوسائط المتعددة هي مجموعة الهيئات المختلفة، والعلامات المتنوعة التي يمكن أن تترافق مع النصوص بقصد شرحها، أو توضيحها، أو بغرض الزيادة في فهمها وتشريح مضامينها، فيمكن ان تكون هذه الوسائط مرئية مثل مقاطع الفيديو او مسموعة مثل مقاطع الصوت، التي قد ترافق قراءة نص معين ، مثل النص الشعري، ويمكن ان تتشكل هذه الوسائط من عنصرين، كالجمع بين ما هو سمعي، وبصري، وهو ما يجعل النص الادبي شعرا كان او نثرا مختلفًا وزاخرًا بالعلامات والوسائط الرقمية

ويمكننا ملاحظة تأثير تكنولوجيا المعلومات في اللّغة العربيّة بشكل واضح في جوانب متعدّدة، منها ان للّغة العربيّة على الإنترنت: وبفضل تقدّم تكنولوجيا المعلومات، ومع ازدياد استخدام الإنترنت، أصبح من الممكن نشر المحتوى باللّغة العربيّة على الإنترنت بشكل سهل وسريع، مما أسهم في زيادة الوعي باللّغة العربيّة، وتعزيز استخدامها، وجعلها متاحة أمام جميع الأفراد على اختلاف معارفهم وانتماءاتهم .

ونلاحظ تطوير تطبيقات وبرمجيّات باللّغة العربيّة: بفضل الطّلب المتصاعد على البرمجيّات والتّطبيقات باللّغة العربيّة، بدأت الشّركات في تطوير منتجاتها لتلبية هذه الحاجة، بما في ذلك أنظمة التّشغيل، والبرامج المكتبيّة، والتّطبيقات الذّكيّة، وقد أسهم ذلك في توفير تجربة أفضل للمستخدمين الذين يتحدّثون ويتعاملون باللّغة العربيّة.

وكذلك هناك كثير من الموارد التّعليميّة عبر الإنترنت باللّغة العربيّة، بما في ذلك دورات تعليميّة، ومقاطع فيديو، وموادّ تعليميّة متنوّعة؛ فنجد مثلاً دروس نحو وصرف ووظائف كلام وشرح مفردات، والكثير من الأمور التي تساعد على الإلمام باللّغة العربيّة، والتّمكّن من قراءتها وفهمها، واستخدامها بشكل أفضل. كما أدّى ذلك إلى توسيع نطاق الوصول إلى التّعلّم والمعرفة بشكل كبير.

اضف الى ذلك المحتوى الرّقميّ باللّغة العربيّة: يسهم الإنترنت ووسائل التّواصل الاجتماعيّ في إنشاء المحتوى باللّغة العربيّة ونشره. وهذا يشمل المقالات والفيديوهات والبودكاست والموادّ التّعليميّة التي تسهم في تعزيز استخدامها وجعلها لغة عالميّة منفتحة وواسعة الانتشار.

وبهذه الطّرق وغيرها، تشكّل تكنولوجيا اللّغة العربيّة ، وتكنولوجيا المعلومات جزءاً حيويّاً من التّطوّر الحديث في العالم، فاللّغة العربيّة، التي تمتاز بثراء تاريخها وتنوّعها تلعب دوراً مهمّاً في التّواصل والتّفاعل في العالم الرّقميّ الحديث،وفي المقابل، تسهم تكنولوجيا المعلومات في تمكين اللّغة العربيّة وتعزيز استخدامها في مختلف المجالات.

أن التوجيهات التربوية، في عملية تحديد المكونات ، والمضامين الخاصة بمادة اللغة العربية، ضربت عرض الحائط كل مرتكزات ، ومدخلات بناء المنهاج، فبالعودة إلى المعايير المحددة في اختيار النصوص ، إن الوعي التكنولوجي يشكل عماد التعلم الذاتي، ففي غيابه يكون نجاح التعلم الذاتي أمرشبه مستحيل، ويصبح مكلفا ماديا ومعنويا،زد على ذلك، أن تغييب التكنولوجيا يجعل من غايات التعلم الذاتي غير مواكبة لمتطلبات العصر؛ ومرد ذلك أن التكنولوجيا هي المصدر الوحيد للمعلومات ، بكل أشكالها وفي زمن قياسي، كما أن الرصيد التكنولوجي يساهم في تطوير استراتيجيات البحث المعرفي، وتنوعها، ودمج المعارف ، والمهارات السابقة ، والمكتسبة، وذلك في إطار تقويم المعارف.(أرطيع ،2024: 198)

وتهدف المناهج في المرحلة الإعدادية ، من خلال تدريس النصوص ، الى تنمية قدرة الطالب الى الفهم، والتذوق،والحكم ، والموازنة، من خلال تزويده بطائفة من التجارب، والخبرات التي مر بها الادباء، وعبروا عنها في شعرهم،أو نثرهم، وكما يهدف تدريس النصوص أيضًا الى زيادة ثروة الطلاب في المفردات، والصيغ ، والأساليب، وصور التعبير، بالإضافة الى تنمية ميلهم الى قراءة النصوص من قصة ، وشعر ، ومقالة، وخطبة ، وأن يتذوقوها بأنفسهم (السيد ، 1980 :568)

ان التكامل في اللغة العربية ، لا يلغي الاستفادة من تكنولوجيا التعليم الحديثة في تدريس اللغة العربية، فلا يدرس النحو بمعزل عن الصرف ، والبلاغة، والشعر ، والادب، وان يستفاد من قدرة الطالب على التحليل اللغوي ، في اطار نقدي، يذكي في نفس الدارس روح التذوق اللغوي المصاحب لفهم المفردة، ومرادفتها، للكشف عن ثراء اللغة، بالإضافة الى تدريب المتعلم على عملية تحري معان المفردات، ليتعرف على دلالة الكلمات، والحدود الدقيقة لمعانيها .(الفهري،2002 : 57)

ويؤكد فتحي يونس(2001) على العلاقة القوية بني درس الأدب والبلاغة والنقد من خلال الإشارة على الاتجاه الحديث في تعليم اللغة وهو التكامل، حيث تدرس البلاغة مع الأدب على أنها مفسرة وموضحة لما فيه من جامل الفكرة وجامل الأسلوب .كام أن مادة الأدب تعد محور الدراسات النقدية ،فالأدب والنقد، بينهما صلة وهما يرتبطان بالبلاغة، لتكوين الذوق الأدبي لدى الطالب،وذلك لأن النصوص الأدبية ، ترمي إلى تربية الذوق الفني ، والبلاغي الذي يحقق للمتعلم القدرة على اختيار الأساليب المناسبة في أثناء عملية التحدث، وتمكنه من الاستماع مما يسمع أو يقرأ من الاداب الراقية ، ودرس الأدب يسهم أيضا في تنمية بعض الأساليب اللغوية لدى الطلاب ، كالأضداد ، والترادف، واقتراح بعض المعاني ، والكلمات الجديدة للارتقاء بمستوى مخزونهم اللفظي، هذا بالإضافة إلى اعتبار مادة الأدب مجالاً خصبا لاسترجاع ، القواعد الإملائية ، والتطبيق عليها، لما تتضمنه من أبيات شعرية، وخطب، ومقالات، وقصص.(إسماعيل ،2011: 148)

ان العلاقة بين مهارات التعلم الشبكي، والتفكير الإبداعي ، علاقة تكاملية ، لان التعلم الشبكي يساعد في تنمية الابداع من خلال ربط المعارف والمعلومات، ويكون دور المتعلم نشطا متفاعلًا، إضافة الى ان التعلم الشبكي يعمل على اكساب المتعلمين، المرونة ، والربط بين الأفكار وتقييمها، كما ان التفكير الإبداعي يعمل على تكامل المعرفة،عن طريق توليد أفكار جديدة، والعمل على ربطها، وهو يتفق مع التعلم الشبكي.

ويرى الباحث ان أهمية البحث الحالي تكمن في:

1. أهمية اللغة العربية لانها لغة القرأن الكريم.

2 –أهمية مادة الأدب والنصوص لدى طلاب المرحلة الإعدادية.

3. أهمية نظريتي القبول التكنولوجي (TAM) والنظرية الترابطية في تنمية مهارات التعلم الشبكي والتفكير الإبداعي في مادة اللغة العربية لدى طلبة الصف الخامس الادبي.

4 –أهمية الاستراتيجية المقترحة المشتقة خطواتها وفق مبادئ واسس النظريتين القبول التكنولوجي والترابطية.

5 –أهمية تعلم الطلبة مهارات التعلم الشبكي والتفكير الإبداعي في تحليل النصوص الأدبية وتذوقها وفق خطوات تراعي الحداثة والتواصل بين الطالب والنص الادبي بصورة تفاعلية تراعي عنصر التشويق.

أهداف البحث: يهدف البحث الحالي الى معرفة:

1. فاعلية الاستراتيجية المقترحة القائمة على نظريتي القبول التكنولوجي (TAM) والنظرية الترابطية في تنمية مهارات التعلم الشبكي والتفكير الإبداعي في مادة اللغة العربية لدى طلبة الصف الخامس الادبي.

اما الفرضيات الصفرية :

1- "لا يوجد فرق ذو دلالة احصائية بين متوسطي درجات المجموعة التجريبية التي وظفت استراتيجية مقترحة قائمة على نظريتي القبول التكنولوجي والنظرية الترابطية) في تدريس مادة اللغة العربية– الادب والنصوص، ومتوسط درجات المجموعة الضابطة ، التي استخدمت الطريقة التقليدية ، في الاختبار القبلي لمهارات التعلم الشبكي والتفكير الابداعي.(

2- "لا يوجد فرق ذو دلالة احصائية بين متوسطي درجات المجموعة التجريبية التي وظفت استراتيجية مقترحة قائمة على نظريتي القبول التكنولوجي والنظرية الترابطية) في تدريس مادة اللغة العربية– الادب والنصوص، ومتوسط درجات المجموعة الضابطة ، التي استخدمت الطريقة التقليدية ، في الاختبار البعدي لمهارات التعلم الشبكي.

3- "لا يوجد فرق ذو دلالة احصائية بين متوسطي درجات المجموعة التجريبية التي وظفت استراتيجية مقترحة قائمة على نظريتي القبول التكنولوجي والنظرية الترابطية) في تدريس مادة اللغة العربية– الادب والنصوص، ومتوسط درجات المجموعة الضابطة ، التي استخدمت الطريقة التقليدية ، في الاختبار البعدي لمهارات التفكير الإبداعي .

حدود البحث:

1- البشرية . طلاب المرحلة الإعدادية وللدراسة الصباحية ـ الصف الخامس الادبي وللعام الدراسي(2024-2025)

2- زمانية ـ الفصل الثاني ـ من العام الدراسي 2024 ـ 2025.

3- المكانية ـ (اعدادية قباء للبنين) ـ التابعة لمديرية تربية الرصافة الثالثة.

4- المعرفي ـ الموضوعات المقررة لمادة الادب والنصوص ، والمخصصة للفصل الثاني وعددها (7) موضوعات. (أبو الطيب المتنبي ـ أبو تمام الطائي ـ النثر في العصر العباسي (بديع الزمان الهمداني) ـ مقدمة للعصر الاندلسي (ابن زيدون ـ الموشحات ـ فنون النثر الاندلسي (المنذر بن سعيد البلوطي ـ الادب في العصور المتأخرة (صفي الدين الحلي.(

تحديد المصطلحات:

اولا: أ – الفاعلية : عرفها

- الفاعليه : عرفها

(زيتون،2005): "بأنها القدره على تحقيق الأهداف ."

- (عبد الكريم ، 2009): "القدرة على عمل شيء أو إحداث تغيير ."

- التعريف الاجرائي للباحث : بأنها التقدم الذي يصل اليه طلاب المجموعة التجريبية في اتقان مهارات التعلم الشبكي والتفكير الابداعي لتعرضهم الى الاستراتيجية المقترحة القائمة على نظريتي القبول التكنلوجي والنظرية الترابطية مقارنة بالمجموعة الضابطة التي يدرس طلابها بالطريقة الاعتيادية في مادة الادب والنصوص .

ثانيا : الاستراتيجية: عرفها

- ماير (1988) "سلوكيات المتعلم والتي تهدف إلى التأثير على كيفية المتعلم وعملياته في معالجة المعلومات.

ثالثاً : نظرية التقبل التكنلوجي: عرفها

- (Warshaw، 1989 ":(وهي من النماذج الاكثر استخدامًا لقياس قبول واستخدام للتقنيات المبتكرة".

رابعاً : النظرية الترابطية :ـ عرفها

- داونز ،(2004)" استخدام التكنولوجيا والتي غيرت طرق تلقينا للمعلومات وتعلمنا لها وهو التعلم الذي يحدث خارج الفرد، مثلا من خلال الشبكات الإلكترونية و قواعد البيانات المعلوماتية، تعتبر سمة الترابط ، وهي من أهم السمات الواصفة للسرد الرقمي ، انها أساسية نظرًا لكونها ترتبط بين مختلف العلامات (مكتوبة . بصرية . سمعية) والتي توظف بطريقة منسجمة وتفاعلية، ويرتبط ظهور النص المترابط بالتطورات التكنلوجية.

التعريف الاجرائي للباحث" اشتقاق خطوات الاستراتيجية المقترحة وفق مبادئ وأسس نظريتي القبول التكنلوجي والترابطية والتي تدرس للمجموعة التجريبة مقارنة بالمجموعة الضابطة وتقاس فاعليها بالاختبار البعدي.

خامساً: مهارات التعلم الشبكي : عرفته

الجلنداني ،(2013)" توظيف تقنيات الاتصال الحديثة والشبكات الالكترونية والوسائط المتعددة المسموعة والمرئية بما يخدم العملية التعليمية."

سادسًا: مهارات التفكير الابداعي: عرفتها

العتوم واخرون، (2014)" أشكال ومواقف متعددة تتمثل في القدرة على توليد عدد كبير من الأفكار في فترة قصيرة من الزمن، وتغيير النهج أو التوجه في التفكير بسهولة رداً على المشكلات الجديدة أو المعلومات المتغيرة، إضافة الى تقديم أفكار فريدة وأصيلة تختلف عن الحلول المعتادة، مع تفصيل الأفكار وتطويرها بشكل معمق، مع التاكيدعلى رؤية المشكلة من زوايا مختلفة وإعادة صياغتها بطرق تفتح الباب أمام حلول جديدة."

الفصل الثاني

اطار نظري ودراسات سابقة

نظرية القبول التكنلوجي:

طورت نظرية القبول التكنولوجي، من قِبَل فريد ديفيس عام ١٩٨٦، ويستند إلى فكرة أنَّ مواقفنا تجاه التكنولوجيا تتشكَّل بعاملين رئيسيين: الفائدة المتصوَّرة وسهولة الاستخدام المتصوَّرة، تُشير الفائدة المتصوَّرة إلى مدى اعتقادنا بأنَّ استخدام التكنولوجيا سيُحسِّن أدائنا ، أو يُحقِّق أهدافنا، بينما تُشير سهولة الاستخدام المتصوَّرة إلى مدى اعتقادنا بأنَّ استخدام التكنولوجيا سيكون سهلاً ومباشرًا.

نظرية القبول التكنولوجي، المعروفة اختصارًا بـTAM ، هي نظرية في مجال نظم المعلومات تصف العوامل التي تؤثر على قبول المستخدمين للتكنولوجيا الجديدة واستخدامهم لها. تفترض النظرية أن الفائدة المتصورة من التكنولوجيا، أي مدى اعتقاد الشخص

بأنها ستحسن أداءه، وسهولة الاستخدام المتصورة، أي اعتقاد الشخص بأن استخدامها سيكون خاليًا من الجهد، هما العاملان الرئيسيان اللذان يشكلان موقف المستخدم الني يتنبأ بنية استخدامه الفعلية للنظام .

العوامل الرئيسية في نظرية:TAM

- الفائدة المدركة :(Perceived Usefulness – PU)

هي إدراك الشخص بأن استخدام تقنية معينة سيحسّن أداءه الوظيفي أو سيساعده في تحقيق أهدافه .

- سهولة الاستخدام المدركة :(Perceived Ease of Use – PEOU)

هي إدراك الشخص بأن استخدام نظام معين سيكون خاليًا من الجهد .

- الموقف :(Attitude)

هو الانطباع العام الذي يكونه المستخدم تجاه التكنولوجيا .

- النية السلوكية :(Behavioral Intention)

هي العامل الذي يدفع الناس إلى استخدام التكنولوجيا، ويتأثر بالبنية السابقة .

- الاستخدام الفعلي :(Actual System Use)

هو الهدف النهائي حيث يبدأ الناس في استخدام التكنولوجيا .

آلية عمل النظرية:

1. تؤثر خصائص النظام التكنولوجي، مثل تصميمه، على سهولة الاستخدام والفائدة المتصورة لدى المستخدمين .
2. هذه الإدراكات (الفائدة وسهولة الاستخدام) بدورها تؤثر على الموقف العام للمستخدم تجاه التكنولوجيا .
3. يؤدي هذا الموقف المتشكل إلى "النية السلوكية" لاستخدام النظام .
4. في النهاية، تحدد النية السلوكية الاستخدام الفعلي للتكنولوجيا .

باختصار، ترى نظرية القبول التكنولوجي (TAM) أن المستخدمين سيتقبلون ويستخدمون تقنية جديدة إذا رأوها مفيدة وسهلة الاستخدام(E.;ISKANDAR Dadang,2024:p199) .

النظرية الترابطية:

النظرية الترابطية هي نظرية تعلم حديثة تركز على أن المعرفة ليست في عقل الفرد بل موزعة في شبكات وعلاقات بين الأفراد والبيانات والتكنولوجيا. تُعرف أيضاً بـ "نظرية التعلم في العصر الرقمي" لأنها تشرح كيف تؤثر التكنولوجيا على التواصل والتعلم، حيث يقوم المتعلمون بإنشاء المعرفة من خلال الاتصال بالآخرين والمحتوى عبر المنصات الرقمية .

ولذا، فإن النظرية الترابطية تعتبر انعكاساً لطبيعة التطور المتسارع للعالم، فهي تصلح كنظرية تعلم تطبق في البيئة الإلكترونية، وذلك للمميزات التالية:

–النظرية الترابطية تبحث في كيفية تعلم الفرد بالمعرفة والإدراك المكتسب من خلال شبكات التعلم الشخصية، والارتباط، والتفاعل مع مختلف مصادر التعلم البشرية منها، والتكنولوجية.

–ظهور فكرة المتعلم الانتقائي والباحث الجيد عن المعلومة في عالم تتزاحم فيه المعرفة بأشكالها المتعددة.

–عدم الاختلاف في تفسير التعلم في نظريات التعلم السابقة، والنظرية الترابطية، مما يمكن فيه إحلال النظرية الترابطية محل النظريات السابقة في عصر التطور الرقمي، مع إمكانية الاستفادة من نظريات التعلم السابقة في تصميم واستخدام بيئة التعلم الرقمي.

- مبادئ وأسس النظرية الترابطية:

- المعرفة موزعة :
- تتواجد المعرفة في شبكات تتكون من الأفراد والبيانات ومصادر المعلومات الرقمية، وليست محصورة في شخص واحد .
- التواصل والاتصال :
- يُنظر إلى التعلم على أنه عملية بناء المعرفة وتوسيعها من خلال التواصل مع مصادر متنوعة وعقد روابط بينها .
- التكنولوجيا كمحور أساسي :
- تُعد التكنولوجيا أساسية في العملية التعليمية، وتستخدم الأدوات الرقمية والمواقع والشبكات الاجتماعية لإنشاء المعرفة والتواصل .
- التعلم النشط والتشاركي :
- يشارك المتعلم في تشكيل بيئته التعليمية، ويقوم بدور نشط في بناء المعرفة والمشاركة في الأنشطة التعاونية .
- التعلم المستمر :
- تركز النظرية على التعلم المستمر والتكيف مع العالم المتغير باستمرار .
- أهميتها في العصر الرقمي:
- الاستعداد للعالم الرقمي :
- تُعد النظرية الترابطية ملائمة للعصر الرقمي لأنها تتوافق مع طريقة اكتساب المعرفة في هذا العصر .
- توسيع آفاق التعلم :
- تساعد المتعلمين على الوصول إلى كميات هائلة من المعلومات والتواصل مع مجتمعات تعلم متنوعة حول العالم .
- تطبيقات في التعليم :

تستخدم النظرية في تصميم مقررات التعلم الإلكتروني، مثل دورات"cMOOCs" ، التي تشجع على التعاون وتبادل الخبرات بين المتعلمين. (بروق ،2021: 11)

التعلم الشبـكي:

التعلم الشبكي هو عملية تطوير، والحفاظ على شبكة من العلاقات مع الأشخاص، ومصادر المعلومات لدعم التعلم المستمر، حيث يتم التعلم من خلال التفاعل ، والتعاون ضمن هذه الشبكة، يعتمد على تقنيات الشبكة ،لخلق بيئات تعلم تعاونية تتجاوز الأساليب التقليدية، ويركز على بناء روابط بين المتعلمين ،والمجتمعات الرقمية ،والمعارف المتنوعة .

- بناء الروابط

يركز التعلم الشبكي على إنشاء شبكات من العلاقات بين المتعلمين والخبراء والمصادر، والتي تشكل مصادر قيمة للمعرفة والتعلم .

- التعلم التفاعلي

يتم التعلم من خلال التفاعل والتواصل بين أعضاء الشبكة، مما يعزز تبادل المعلومات والمهارات .

فوائد التعلم الشبكي:

- توسيع المعرفة
- يتيح الوصول إلى مصادر معرفية متنوعة ومتعددة .
- تطوير المهارات الاجتماعية
- يعزز التعاون والتواصل والتفاعل .
- المرونة

- يسمح بالتعلم في أي وقت ومن أي مكان، مما يجعله مناسبًا للتعلم مدى الحياة .
- الكفاءة(Wilson, M. Eds., 2008).

مهارات التعلم الشبكي الأساسية:

التواصل الفعال: استخدام التقنيات الرقمية مثل المنتديات، والبريد الإلكتروني، ووسائل التواصل الاجتماعي للتواصل وتبادل الأفكار مع الآخرين . .

التفكير النقدي: تقييم موثوقية المصادر والمعلومات المتوفرة عبر الإنترنت، وتجميعها وتوظيفها بشكل فعال لتعزيز الفهم والمعرفة .

المرونة والتعلم الذاتي: القدرة على التعلم بالسرعة التي تناسب المتعلم والوصول إلى المعلومات والموارد وقتما وأينما توفرت .

المعرفة بالتكنولوجيا: فهم واستخدام الأدوات والتقنيات الملائمة لإنشاء نقاشات مترابطة ومشاركة المعلومات بفعالية .

تحديد الأهداف: فهم الأهداف التعليمية للنقاشات والمواضيع، وكيفية ربط هذه الأهداف بالمواد الدراسية .

فهم الأدوار: معرفة دور كل متعلم في العملية التعليمية، وتحديد ما هو متوقع منه ضمن سياق الشبكة.(دريكنك ،2009)

التفكير الابداعي:

اتفق معظم الباحثين في مجال التفكير الإبداعي، على ان التفكير الإبداعي يشمل المهارات الرئيسة الاتية:

- الطلاقة:

وتتضمن الجانب الكمي في التفكير الإبداعي، وتعني انتاج عدد كبير من الأفكار، واكتشاف حلول ،أو التوصل الى بدائل لحل المشكلة، واستخدام المخزون المعرفي في الوقت اللازم.

- المرونة:

وتتضمن الجانب النوعي في التفكير الإبداعي، وهي القدرة على التغييروتوليد الأفكار الغير متوقعة، والتحول من نوع معين من الفكر، الى نوع اخر عند الاستجابة لمثير ما.

- الاصالة:

وهي الفرد والتميز في التفكير ، للتوصل الى ما هو غريب ،وغير شائع ، والتوصل الى أفكار غير مألوفة، فالاصالة لا تتفق مع تكرار الحلول التقليدية، وانما تتجه نحو الأفكار النادرة التكرار.

- التفاصيل:

وتعني قدرة الفرد على تقديم إضافات جديدة ،تعود الى المزيد من المعلومات لموقف ما، يصبح الفرد قادرا على التوسع في المحتوى ،عن طريق وضع الإضافات اللازمة لذلك المحتوى.

- الحساسية للمشكلات:

وهي القدرة علة اكتشاف المشكلات، والصعوبات ، واكتشاف النقص في المعلومات قبل التوصل الى الحل.(حمادنة ، 2013: 33)

أهداف تدريس الأدب:

من الأهداف الخاصة بتدريس الادب العربي في المرحلتين الثانوية والجامعية، في ضوء ما اشارت اليه معظم الكتابات والادبيات التربوية:

- تنمية الثروة اللغوية للطلاب في الالفاظ والمعاني والأساليب، وتمكينهم من محاكاة ما يدرسون من الادب بطريقة غير شعورية.
- الارتقاء بالذوق الادبي عن طريق اكساب مزيد من التعبيرات الأدبية الجميلة المؤثرة.

- تنمية الخيال المتوازن الذي يبعث السور والراحة في النفس.
- تنمية روح البحث لدى الطلاب ، مع تمكين الطلاب من فهم النصوص الأدبية وادراك نواحي الجمال فيها، وعلى تذوقها ، وتحليلها ونقدها.(اسماعيل ،2011: 143)

الدراسات السابقة :

- ندرة الدراسات السابقة، ولم يجد الباحث أي دراسة حول المتغير المستقل
- التعلم الشبكي (المتغير التابع الأول):

أولاً:- دراسة(الزهراني، 2022)":

تهدف الدراسة الحالي الى " توظيف التكنلوجيا في تنمية مهارات اللغة العربية"

هدف البحث الحالي الى رفع الثقافة الحاسوبية، لكل من معلم ومتعلم اللغة العربية ، في خدمة لغتنا الأم ومهاراتها الأربع بشكل حرفي،ومتقن قابل للتطبيق، وليس مجرد التنظير فقط، وتقديم بعض النماذج التطبيقية، يمكن من خلالها فتح المجال للمعلم ، كي يستفيد منها حسب خبرته،واحتياجه، وموقفه التعليمي، وتم اعتماد المنهج الوصفي وذلك لمناسبته لاهداف هذه الدراسة.

- التفكير الابداعي (المتغير التابع الثاني)

أولاً:- دراسة (تويج،2017)

تهدف الدراسة الى معرفة (أثر تدريس اللغة العربية باستخدام التعلم النشط في تنمية مهارات التفكير الإبداعي

الملخص:

يهدف البحث الحالي إلى معرفة أثر تدريس اللغة العربية باستخدام استراتيجيات التعلم النشط في تنمية التفكير الإبداعي ولتحقيق أهداف الدراسة استخدم الباحث المنهج الشبه تجريبي، وطبقت الدراسة :حيث بلغت 50 طالب، بواقع 25 طالب للمجموعة التجريبية و25 طالب للمجموعة الضابطة، وذلك من خلال تدريس الوحدة الرابعة (الوعي الصحي) من منهج لغتي الجميلة ، وتم تطبيق اختبار تورانس للتفكير الإبداعي تعريب وتقنين (الشنطي، 1982)، وأظهرت الدراسة وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطي درجات مجموعتي الدراسة في التطبيق البعدي لاختبار التفكير الإبداعي ومهاراته الثلاث، وكان هذا الفرق لصالح المجموعة التجريبية التي درست باستخدام استراتيجيات التعلم النشط

جوانب الافادة من الدراسات السابقة

1- الاطلاع على الاطار النظري لمتغيرات البحث الحالي والإفادة منها.
2- معرفة مجتمع وعينة الدراسات السابقة ومعرفة طرق اختيارها مقارنة بالدراسة الحالية.
3- الاطلاع على الإجراءات الإحصائية وكيفية استخراج النتائج .
4- معرفة كيفية اشتقاق خطوات واهداف الاستراتيجيات المقترحة العامة.
5- معرفة متغيرات التكافؤ الملائمة لعينة البحث الحالي والتي تتفق مع المتغير المستقل والمتغيرات التابعة.

الفصل الثالث

منهجية البحث واجراءاته

منهجية البحث:

يعد المنهج العلمي تحليل منسق، وتنظيم للمبادئ، والعمليات العقلية، والتجريبية، التي توجه بالضرورة البحث العلمي ، وهو التحليل لمجموعة من المبادئ، والأسس ، التي ينطلق منها أي بحث علمي، على ان يتسم هذا التحليل بصفات منطقية، مثل الاتساق ، والضرورة، والتحليل .(العسكري ، 2004:ص 5)

واتبع الباحث البحث التجريبي ، لانه قادر على التحكم في الظروف والشروط، التي تسمح باجراء تجربة، من خلال الملاحظة المنظمة، والذي يستهدف جمع المعلومات ، وتنظيمها بشكل يؤدي الى القاء الضوء، على مدى صحة فرض،أو مجموعة من الفرضيات.(المشهداني ، 2019: 141) ، وهذا البحث يرمي الى) فاعلية استراتيجية مقترحة قائمة على نظريتي القبول التكنولوجي (TAM) والنظرية الترابطية في تنمية مهارات التعلم الشبكي والتفكير الإبداعي في مادة اللغة العربية لدى طلبة الصف الخامس الادبي).

مجتمع البحث:

ينبغي على الباحث تحديد المجتمع التي تجري عليه الدراسة، ويجب تحديده بدقة ووضوح".(المحمودي ،2019: 105)

وبعد الاطلاع على مجتمع الدراسة المتمثل بمديرية تربية الرصافة الثالثة ، اختار الباحث مدرسة، من المدارس الثانوية ، والاعدادية ، وهي مدرسة (القباء للبنين) ، عشوائيًا ، ليتم تنفيذ تجربة البحث الحالي .

عينه البحث :

ينبغي ان يحدد الباحث نوع العينة ،التي اختارها لبحثه ، عشوائية بسيطة ،أو طبقية ،أو عرضية ، وما حجم تلك العينة، وان يكون الباحث واعيًا لسبب اختياره لهذا النوع من العينات،أوتلك، وميزاتها ،وعيوبها ، والإمكانات المتوفرة له عنها. (المحمودي،2019: ص107)

حيث تألفت عينة البحث الأساسية من (70) طالباً، ولمجموعتين تجريبية ضمت (35) طالبا ، واخرى ضابطة (35) طالبا ، متمثلة باعدادية (القباء للبنين) بغداد ، تربية الرصافة الثالثة .

التصميم التجريبي:

ان البحث الذي يخضع للتصميم التجريبي، موجه للكشف عن علاقات سببية ، بين المتغيرات التابعة ، والمتغيرات المستقلة، ويهتم بضبط المتغيرات الأخرى التي تؤثر في المتغير التابع، وهو عبارة عن خطة تتحدد فيها مجموعة من الإجراءات، لاختبار فرضية، وفق شروط ،أو ضبط معينة.(بركات ، 2019 :ص200).

لجأ الباحث الى اعتماد تصميما مناسبا للبحث الحالي ، وللمجموعتين ، التجريبية والضابطة ، حيث تدرس المجموعة التجريبية ،الاستراتيجة التي صممها واعدها الباحث وكانت بعنوان فاعلية استراتيجية مقترحة قائمة على نظريتي القبول التكنولوجي (TAM)والنظرية الترابطية في تنمية مهارات التعلم الشبكي والتفكير الإبداعي في مادة اللغة العربية لدى طلبة الصف الخامس الادبي)) ، اما المجموعة الضابطة فدرس طلبتها بالطريقة التقليدية .

الشكل(1)

التصميم التجريبي

المجموعة	الاختبار القبلي	المتغير المستقل	المتغير التابع	اداة البحث
التجريبية	اختبار مهارات التعلم الشبكي	استراتيجية مقترحة قاائمة على نظريتي القبول التكنولوجي (TAM) والنظرية الترابطية	تنمية مهارات التعلم الشبكي والتفكير الابداعي	اختبار مهارات التعلم الشبكي البعدي
	اختبار مهارات التفكير الإبداعي			اختبار مهارات التفكير الإبداعي البعدي
الضابطة		ـــــ		

خامسًا : التكافؤات المعتمدة من الباحث للمجموعتين (التجريبية والضابطة) :-

1- اعمار الطلبة بالشهور (ملحق 2).

2- التحصيل الدراسي للوالدين (جدول 1)

3- درجات السنة السابقة (2023 ، 2024) . جدول .(2).

4- اختبار تنمية مهارات التعلم الشبكي . جدول(3)

5- اختبار تنمية مهارات التفكير الابداعي . جدول(3)

سادسًا : المتغيرات الدخيلة :

وتسمى أحيانا بالمتغيرات المصاحبة ، أو المتداخلة، وهي نوع من المتغيرات المستقلة الثانوية، التي يدخل تأثيرها ، على العلاقة بين المتغير المستقل والتابع، دون ان يستطيع الباحث ضبطها ، أو التعامل معها، فهي تدخل في تصميم التجربة، بشكل اجباري ،أو اضطراري. (بركات , 2019 , 194)

تم التشخيص مسبقا، والسيطرة على هذه المتغيرات من قبل الباحث.

1ـ الاندثار التجريبي:-

ونعني به الأثر الذي يحدث نتيجة ترك بعض الطلاب ، من عينة البحث ، خلال مدة تطبيق التجربة ، في الكورس الثاني ، ، ولم تؤثر على سير التجربة واكمالها ، لان العدد قليل جدًا، لا يوجد فيه أي أثر على التجربة.

2. أداتا البحث . :- وللباحث ان يبني أداة بحثه ، ويطورها بنفسه ، بعد ان يقوم باجراء تعديل عليها بحيث يجعلها ، تتلائم وغرض البحث ، أو الظروف المتصلة به .(أبو زايدة ،2012: 122)

وبعد ان شخص الباحث المهارات اللازمة لاعداد اداتي البحث ، وتكونت من اختبار مهارات التعلم الشبكي واختبار مهارات التفكير الابداعي القبلي والبعدي ولكلا المجموعتين ، المجموعة التجريبية التي درست باستراتيجية مقترحة قائمة على نظريتي القبول التكنلوجي والترابطية ،مقارنة بالمجموعة الضابطة التي درست بالطريقة.

3ـ النضج: تم تنفيذ التجربة في الفصل الدراسي الثاني للعام الدراسي 2024 ـ 2025

4ـ الحوادث التي صاحبت تطبيق التجربة: لم تذكر حالة انقطاع ، مما يؤثر على سير التجربة.

متطلبات البحث الحالي:-

1ـ المادة الدراسية : تم جرد موضوعات مادة اللغة العربية (الادب والنصوص) وكانت الموضوعات المقررة لمادة الادب والنصوص ، والمخصصة للفصل الثاني.

سابعا : تطبيق التجربة ومتطلباتها :

1ـ موضوعات مادة قواعد اللغة العربية :

تم تحديد موضوعات الادب والنصوص ، المخصصة للفصل الدراسي الثاني وللسنة الدراسية 2024 ـ 2025.

جدول (3)

ت	الموضوعات
1	أبو الطيب المتنبي

2	أبو تمام الطائي
3	النثر في العصر العباسي (بديع الزمان الهمداني)
4	مقدمة للعصر الاندلسي (ابن زيدون)
5	الموشحات
6	فنون النثر الاندلسي (المنذر بن سعيد البلوطي)
7	الادب في العصور المتأخرة (صفي الدين الحلي)

1ـ الأهداف السلوكيــة

تم تحديد الأهداف السلوكية، وللموضوعات التي يتم تدريسها في التجربة التجربة ، وكانت بواقع (7) موضوعات ، وبمجموع(70) هدفاً سلوكياً، ولجميع مستويات بلوم المعرفية ، ومدى ملائمة الأهداف للاستراتيجية المقترحة، القائمة على نظريتي القبول التكنلوجي والترابطية ، بما يحقق تنمية لدى الطلبة في كلا المهارتين التعلم الشبكي ، والتفكير الإبداعي. ملحق (3)

3 ـ الخطط التدريسية

من خلال مبادئ ، وأسس النظريتين ، كون الباحث خطوات تدريسية لاستراتيجيته المقترحة ، حيث وظفها في تدريس مادة الادب والنصوص ، وللموضوعات الـ (7) ،وبواقع (14) خطة تدريسة ، والتي تمت المباشرة في الفصل الدراسي الثاني ، من العام الدراسي 2024 ـ 2025 ، بعد اطلاع الخبراء عليها واجراء بعض التعديلات . ملحق(4)

4ـ أداة البحث:

أولا: اختبار مهارات التعليم الشبكي القبلي والبعدي.

ثانيا: اختبار مهارات التفكير الإبداعي القبلي والبعدي.

يقوم الباحث هنا بوصف الخطوات التي اتبعها في بناء أدوات بحثه ، من اطلاع على المراجع ، ودراسات سابقة ،وعرض على المحكمين ، واجراء دراسة استطلاعية ، لتحديد مدى صحة وصدق الأدوات، ومدى صعوبة المفردات ، ومدى قدرتها على التمييز. (أبو زايدة، 2019: ص211).

، وبعد ذلك يعرض الباحث اختباره ، مع تعليمات الاجابة ، ونوع الاختبار وبلغة مفهومة.

أولاً:. الصياغة لفقرات الاختبار:

تهدف هذه الدراسة الى معرفة) فاعلية استراتيجية مقترحة قائمة على نظريتي القبول التكنولوجي (TAM) والنظرية الترابطية في تنمية مهارات التعلم الشبكي والتفكير الإبداعي في مادة اللغة العربية لدى طلبة الصف الخامس الادبي).

، وقد تمثلت أداتا القياس في اختبار مهارات التعلم الشبكي واختبار التفكير الابداعي وكان نوع الاختبار (اختيار من متعدد) ولكلا الاختبارين ، وبواقع (20) فقرة اختبارية تقيس مهارات التعلم الشبكي ، و(25) فقرة اختبارية تقيس مهارات التفكير الإبداعي على وفق مستويات بلوم المعرفية، والوجدانية، والنفس حركية. ملحق(5)

ثانياً:. صدق الأختبار

ـ الصدق الظاهري:

يعتبر الصدق الظاهري من أشهر أنواع صدق المحتوى ، وهو صدق المظهر العام للاختبار،أو بعبارة أخرى مدى مناسبة الاختبار للمفحوصين ، ويتحقق ذلك من وضوح تعليماته، ودقتها، فضلا عن انطباق موضوعه الهدف منه ومن الطبيعي ان

يختلف الصدق الظاهري، باختلاف مستويات العمر والتعليم ، ويتم التأكد من صدق الأداة الظاهري عن طريق عرض الأداة على مجموعة من الخبراء والمحكمين لاستجلاء رأيهم.(أبو زايدة ،2012: 152)

وبعد تقديم الاختبارين لمجموعة من الخبراء والمحكمين في القياس والتقويم ، وطرائق التدريس ، تم تعديل بعض فقرات الاختبارين في ضوء مقترحاتهم العلمية.

ـ صدق المحتوى:

ويقصد به ،أن محتوى الأداة يقيس ابعاد ومفاهيم موضوع الدراسة. (الدوسري ،2000: 13)

تم تحديد الموضوعات المخصصة للفصل الدراسي الثاني ، لمادة الادب والنصوص ، وكان عددها (7) موضوعات ، وعرضها الباحث على الخبراء والمحكمين ، ونالت الرضا والاستجابة.

ثالثاً:ـ العينة الاستطلاعية:

لمعرفة مدى دقة فقرات الاختبارين ، وملائمتهما ،ووضوحهما، ومدى كفاية الوقت المخصص لهما، واستخراجه بطريقة إحصائية مناسبة ،لجأ الباحث على تطبيق الاختبارين على عينة استطلاعية من ضمن المجتمع المخصص للدراسة ، وهي اعدادية (ابي الأسود الدؤلي) ، وبلغ حجم العينة(100) طالباً ، للدقة العلمية، وللاستعداد لتحليل الفقرات احصائيًا.

رابعاً : أ. التحليل الاحصائي لفقرات الاختبارين القبلي والبعدي لمهارات التعلم الشبكي والتفكير الابداعي:.

1. التمييز لفقرات الاختبارين (القبلي والبعدي) :
2. معادلة الصعوبة لفقرات الاختبارين (القبلي والبعدي)::
3. فعالية البدائل الخاطئة لفقرات الاختبارين (القبلي والبعدي).

ب ـ التحليل الاحصائي لفقرات الاختبارين (تنمية مهارات التعلم الشبكي ومهارات التفكير الإبداعي):

خامساً:. الثبات

يدل ثبات المقياس ،او ثبات الأختبار ، الى دقة واتساق درجاته، في قياس ما يجب قياسه، وإعطاء نفس النتائج او نتائج مقاربة، عند تكرار عملية القياس على المختبرين انفسهم، وبهذا يعد مؤشرًا على درجة اتساق، في نتائج المقياس او الاختبار ويقصد به ان تعطي لأداة التقويم نتائج ..(حسن،2006:ص34)

لجأ الباحث الى طريقة التجزئة النصفية ، وطريقة الاختبار وإعادة الاختبار، واستدل على معامل الثبات لكلا الاختبارين ، من خلال العينة الاستطلاعية ،وتبين ان معامل الثبات لاختبار مهارات التعلم الشبكي ، (0.85)، اما ثبات اختبار مهارات التفكير الإبداعي فكان، و(0،84) ، وبعد اللجوء الى النسب المقبولة او الجيدة في ثبات الاختبارات ، اتضح ا معامل الثبات لكلا الاختبارين جيد لهكذا نوع من الاختبارات.

تاسعاً : الوسائل الاحصائية : المتبعة من قبل الباحث لاستخراج نتائج البحث بكل متغيراتِهِ

1. المعادلة الإحصائية للأختبار التائي لعينتين مستقلتين.(T-test)
2. المعادلة الإحصائية لبيرسون لايجاد معاملات الارتباط بين المجموعتين.
3. المعادلة الإحصائية لأيجاد ثبات الاختبارين وفق معادلةالاختبار وإعادة الاختبار.
4. المعادلات الإحصائية الخاصة ب(م.الصعوبة، والتميز وفعالية البدائل الخاطئة)
5. القوانين الإحصائية الاتية (قانون الوسط الحسابي وقانون الانحراف المعياري وقانون لايجاد التباين).
6. المعادلة الإحصائية الخاصة بإيجاد التكافؤات متمثلة بـ(مربع كاي).

الفصل الرابع

نتيجة البحث وتفسيرها احصائياً

1- تفسير الفرضية الاولى ("لا يوجد فرق ذو دلالة احصائية بين متوسطي درجات المجموعة التجريبية التي وظفت استراتيجية مقترحة قائمة على نظريتي القبول التكنلوجي والنظرية الترابطية) في تدريس مادة اللغة العربية- الادب والنصوص، ومتوسط درجات المجموعة الضابطة ، التي استخدمت الطريقة التقليدية ، في الاختبار البعدي لمهارات التعلم الشبكي.

جدول(7)

المجموعة	حجم العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	القيمة التائية المحسوبة	القيمة التائية الجدولية	درجة الحرية	مستوى الدلالة 0،05
التجريبية	35	33.52	41.23	2,012	1.99	68	دالة احصائيًا
الضابطه	35	29.13	68.44				

تبن من خلال تفسير النتيجة للفرضية الأولى ، ان المتوسط الحسابي للمجموعة التجريبية بلغ (33،52)، اما متوسط المجموعة الضابطة (29،13) وان متوسط المجموعة التجريبة في اختبار مهارات التعلم الشبكي البعدي ، اكبر من متوسط المجموعة التقليدية ، وهذه إشارة ترجيح كفة الدلالة الإحصائية لصالح المجموعة التجريبية التي درس طلبتها بالاستراتيجية المقترحة ، مقارنة بالمجموعة الضابطة التي درس طلبتها بالطريقة التقليدية او الاعتيادية ،ونود ان ابين هنا ان النظريتين التي وظفت اسسهما ومبادئهما في اعداد استراتيجية تدريسية اثبتت فاعليتها في تنمية المهارات الالكترونية والتعلم الالكتروني ، ومهارات التعلم الشبكي لدى الطلبة من خلال توظيف النصوص الأدبية في خطوات كانت الوسائل الالكترونية حاضرة في الدرس، مما زاد اقبال الطلاب على الدرس والتفاعل معه.

تفسير الفرضية الثانية: (لا يوجد فرق ذو دلالة احصائية بين متوسطي درجات المجموعة التجريبية التي وظفت استراتيجية مقترحة قائمة على نظريتي القبول التكنلوجي والنظرية الترابطية) في تدريس مادة اللغة العربية- الادب والنصوص، ومتوسط درجات المجموعة الضابطة ، التي استخدمت الطريقة التقليدية ، في الاختبار البعدي لمهارات التفكير الإبداعي .

جدول(8)

النتيجة الإحصائية المتعلقة باختبار مهارات التفكير الإبداعي البعدي لمادة الادب والنصوص وللمجموعتين التجريبية والضابطة

المجموعة	حجم العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	القيمة التائية المحسوبة	القيمة التائية الجدولية	درجة الحرية	مستوى الدلالة 0،05
التجريبية	35	24.12	22.40	3.002	2	68	دالة احصائيًا
الضابطة	35	17.46	33.75				

نلاحظ من خلال النتائج التي حصل عليها الباحث ، بعد استعمال الوسائل الاحصئية الملائمة لاستخراج هذه النتائج ، ان المتوسط الحسابي للمجموعة التجريبية التي درس طلابها بالاستراتيجية المقترحة القائمة على نظريتي القبول التكنلوجي والنظرية الترابطية، كان (24،12) ، وهو اكبر من المتوسط الحسابي للمجموعة الضابطة ، التي درس طلابها بالطريقة الاعتيادية ، وكان متوسطها (17،46)، مما يشير الى تفوق المجموعة التجريبية على الضابطة ، وهذا يدل على تنمية مهارات التفكير الإبداعي لدى

الطلبة ، من خلال خطوات تدريسية تراعي الجوانب الإبداعية ، لدى الطلبة ، وتعطي الطلبة دافعا وتشويقا لمادة الادب والنصوص ، وهي عملية تكاملية من تنمية مهارات التعلم الشبكي وصولا الى تنمية مهارات التفكير الابداعي.

الاستنتاجات:

1. لاحظ الباحث ان الاستراتيجيات المقترحة في تدريس اللغة العربية اكثر فاعلية وتاثيرا على مستوى تحصيل الطلبة وتنمية مهاراتهم المختلفة ، لانها مشتقة من مبادئ واسس تربوية قابلة للتطبيق، في مواقف تعليمية ومواد دراسية مختلفة.
2. رغبة الطلاب في خطوات تدريسية تؤكد على دور الطالب التفاعلي والابتعاد عن دور الطالب المستمع فقط.
3. ان النظريات الالكترونية الحديثة عززت من الثقافة الالكترونية للمدرس والطالب ، وزادت من عنصر التشويق وتبادل وجهات النظر، ورسخت مهارات التفكير والتفسير والتحليل ، وصولا الى النقد البناء.

التوصيات:

1- ضرورة توظيف التعليم الالكتروني في درس اللغة العربية عن طريق استعمال الوسائل الالكترونية الملائمة للطلبة وفيها عنصر التشويق.
2- الاستعانة بالنظريات الالكترونية من خلال أسس ومبادئ هذه النظريات وتحويلها الى جوانب تطبيقية بخطوات تدريسية ملائمة للموقف التعليمي.
3- ضرورة الاستعانة بالجانب الالكتروني والمستحدثات التكنلوجية في خلق بيئة صفية لا تعتمد على التلقين من قبل المدرس والاستماع فقط من قبل الطالب، الى بيئة تفاعلية تنمي مهارات التعلم الالكتروني لدى الطلبة وتحفزهم على التفكير الإبداعي.

المقترحات:

1. برنامج تدريبي قائم على استراتيجيات التعلم الالكتروني في تنمية كفايات التعليم الالكتروني لدى أساتذة قسم اللغة العربية.

المصادر:

1 -ارطيع ،نور الدين (2024). رؤية جديدة في تدريس اللغة العربية مقاربات واستراتيجيات مبتكرة ، المركز الد يمقراطي العربي.

2- أبو زايدة ،حاتم(2012). مناهج البحث العلمي، الأردن ،ط2.

3- إسماعيل ، بليغ حمدي (2011). استراتيجيات تدريس اللغة العربية ، مصر، دار المناهج للنشر والتوزيع ،ط1.

4- إسماعيل، بليغ حمدي (2011). تدريس اللغة العربية اطر نظرية وتطبيقات عملية، عمان ، دار المناهج للنشر والتوزيع.

5- بركات ، زياد (2019). تصميم البحث واساليبه الإحصائية، الوراق للنشر والتوزيع،ط1

6- بروق، عماد عواد (2021). النظرية الترابطية ومتطلبات العصر الرقمي ، https://www.new-educ.com

7- تويج، سليمان حسن (2017). أثر تدريس اللغة العربية باستخدام التعلم النشط في تنمية مهارات التفكير الإبداعي، المملكة العربية السعودية.

8- الجلنداني، إبراهيم بن سعيد (2013). معايير الاعتراف بمؤسسات التعليم العالي (التعلم الشبكي ومعايير الاعتراف.

9- حسن، محمد أبو هاشم (2006). الخصائص السيكومترية لادوات القياس في البحوث النفسية والتربوية.

10- حمادنة، برهان محمود (2013). التفكير الإبداعي ، الأردن ، عالم الكتب الحديث ، ط1.

11- داونز ، ستيفن (2004). النظرية الترابطية ، ترجمة

12- الدوسري، إبراهيم بن مبارك (2000). الاطار المرجعي للتقويم التربوي ، الرياض، ط2، مكتب التربية العربي.

13- ديركينك-هولمفيلد، ل.، وجونز، س.، وليندستروم، ب. (2009) تحليل ممارسات التعلم الشبكي في التعليم العالي والتطوير المهني المستمر. روتردام: دار نشر سينس، بي في

14- الزهراني، سعيد سالم عبدالله (2022). توظيف التكنلوجيا في تنمية مهارات اللغة العربية، المملكة العربية السعودية ، مجلة منار الشرق للتربية وتكنلوجيا التعليم.

15- زيتون، كمال عبد الحميد: التدريس نماذجه ومهاراته، ط2، عالم الكتب، القاهرة، 2005م.

16- السيد ، محمود وفلوح فالح (1980).تكنلوجيا التربية والوسائل والمواد التعليمية المعينة في تدريس اللغة العربية ،سوريا.

17- عبد الكريم , منذر (2009).,, فاعلية العصف الذهني في تنمية التفكير الابداعي لدى طالب الصف الخامس العلمي في مادة الكيمياء , مجلة الفتح

18- العتوم، عدنان يوسف ،وعبد الناصر، وموفق بشارة(2014). تنمية مهارات التفكير نماذج نظرية وتطبيقات عملية، الأردن.

19- العسكري، عبود عبدالله (2004). منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية،دمشق، دار النمير للنشر،ط2.

20- الفهري ،عبد القادر الفاسي (2002). تعليم اللغة العربية والتعليم المتعدد ، معهد الدراسات والأبحاث، الرباط.

21- المحمودي، محمد سرحان علي (2019). منهج البحث العلمي ، الجمهورية اليمنية ،دار الكتب، ط1.

22- المشهداني، سعد سلمان (2019). منهجية البحث العلمي ، الأردن ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، ط1.

23- يفيس، ف. د. (1986). "نموذج قبول التكنولوجيا لاختبار أنظمة معلومات المستخدم النهائي الجديدة تجريبيًا: النظرية والنتائج"، أطروحة دكتوراه غير منشورة، معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا

24- Published in:Quality - Access to Success, 2024, v. 25, n. 199, p. 128, doi. 10.47750/QAS/25.199.14By:INDRAYANTO, Adi;Suliyanto;RESTIANTO, Yanuar E.;ISKANDAR, Dadang;KURNIAWAN, Ruly E.Publication type:Article

25- Wilson, M. (Eds.) (2008). Designing globally networked learning environments: Visionary partnerships, policies, and pedagogies. Rotterdam: Sense Publishers.</ref>

النشاط التعليمي والمؤسسات التعليمية في شرق أفريقيا خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي

د. سليمان بن سعيد الكيومي
أستاذ مساعد – جامعة البريمي – سلطنة عمان
kiyumi1977@gmail.com
009689251559

الملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة تطور المؤسسات التعليمية والنشاط التعليمي في شرق أفريقيا خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، مع التركيز على الدور الحضاري العماني والإسلامي في تشكيل المنظومة التعليمية في المجتمع السواحلي. يبرز البحث أن التعليم في شرق أفريقيا ارتبط منذ نشأته بالإسلام، حيث كانت المدارس القرآنية والمساجد وبيوت العلماء هي الركائز الأساسية لنشر المعرفة وغرس القيم الدينية واللغوية والأخلاقية. كما تناول البحث دور المرأة في التعليم، ومشاركة المعلمات في تعليم القرآن الكريم ومبادئ الدين للفتيات، مما يعكس وعي المجتمع بأهمية تعليم الإناث.

تناول البحث كذلك تصنيف المؤسسات التعليمية إلى مدارس قرآنية، ومساجد، ومدارس خاصة بالهنود، ومدارس حديثة ظهرت في عهد السلطان علي بن حمود، إضافة إلى مدارس العلماء التي خرّجت أجيالاً من الأئمة والقضاة والمعلمين. كما أشار إلى تطور المناهج التعليمية وأساليب التدريس، وانتقالها من التلقين التقليدي إلى استخدام أدوات ووسائل أكثر تنظيماً، فضلاً عن التأثيرات الأجنبية التي صاحبت النفوذ البريطاني في زنجبار، ومحاولات فرض اللغة السواحلية بالحروف اللاتينية في التعليم النظامي.

الكلمات المفتاحية: التعليم الإسلامي، شرق أفريقيا، زنجبار، المدارس القرآنية، العمانيون ، النشاط التعليمي، الحضارة السواحلية.

Educational Activity and Institutions in East Africa During the Second Half of the 19th Century

Dr. Sulaiman bin Saeed Al-Kiyumi

Assistant Professor - University of Buraimi - Sultanate of Oman

Abstract

This research aims to study the development of educational institutions and educational activity in East Africa during the second half of the 19th century, focusing on the Omani and Islamic cultural role in shaping the educational system in Swahili society. The research highlights that education in East Africa has been linked to Islam since its inception, with Quranic schools, mosques, and scholars' houses serving as the cornerstones for disseminating knowledge and instilling religious, linguistic, and moral values. The research also examines the role of women in education, including the participation of female teachers in teaching the Quran and the principles of Islam to girls, reflecting the community's awareness of the importance of female education.

Furthermore, the research categorizes educational institutions into Quranic schools, mosques, schools for Indians, and modern schools that emerged during the reign of Sultan Ali bin Hamoud, in addition to the schools of scholars that produced generations of imams, judges, and teachers. It also points to the development of educational curricula and teaching methods, their shift from traditional rote learning to the use of more organized tools and methods, as well as the foreign influences that accompanied British influence in Zanzibar and attempts to impose the Swahili language using the Latin alphabet in formal education.

Keywords: Islamic education, East Africa, Zanzibar, Quranic schools, Omanis, educational activity, Swahili civilization.

مقدمة

يُعد التعليم من أبرز الركائز التي تسهم في بناء الحضارات وتشكيل الهوية الثقافية والاجتماعية للأمم، وقد ارتبط ظهوره وتطوره في شرق أفريقيا بانتشار الإسلام والتأثير العربي العماني في المنطقة. فمنذ بدايات القرن التاسع عشر الميلادي، شهد الساحل الشرقي لأفريقيا نشاطاً تعليمياً متنامياً اتخذ طابعاً دينياً وثقافياً واضحاً، حيث كانت المؤسسات التعليمية التقليدية كالمدارس القرآنية والمساجد وبيوت العلماء هي الحاضنة الأولى للمعرفة والتربية الروحية والأخلاقية.

وقد ساهمت هذه المؤسسات في ترسيخ قيم الإسلام، وتعليم اللغة العربية، ونشر العلوم الشرعية بين مختلف فئات المجتمع السواحلي، مع ما تميزت به من انفتاح اجتماعي شمل الذكور والإناث على حدّ سواء. كما ارتبط هذا النشاط التعليمي بالحركة الحضارية العمانية التي امتدت إلى زنجبار ومباسا ولامو وسواحل تنزانيا وكينيا الحالية، فكان التعليم وسيلة فاعلة للتواصل الثقافي والتكامل بين العرب والأفارقة.

وتأتي أهمية هذا البحث من كونه يتناول مرحلة زمنية حاسمة من تاريخ شرق أفريقيا، شهدت تداخلاً بين التعليم التقليدي الإسلامي والتعليم النظامي الحديث الذي بدأ في ظل التأثير البريطاني. كما يسعى البحث إلى إبراز دور العمانيين في تأسيس مؤسسات التعليم ونشر الثقافة العربية والإسلامية، وتحليل طبيعة المناهج وطرائق التدريس، ومكانة العلماء والمعلمين في المجتمع السواحلي خلال تلك الحقبة.

ارتبطت مراحل التعليم الأولى في المجتمع السواحلي بالإسلام، ولذلك نجد أن التعليم قد اتبع نهجا إسلاميا واضحا في طريقته ومضمونه، وكانت مواضيع الدراسة تتمحور حول دراسة القرآن الكريم والتفسير والفقه ومباديء اللغة العربية وهي دراسة تهدف إلى غرس القيم الإسلامية وتعليم السلوك القويم (صغيرون. 1993، ص201)

وتشير المصادر التاريخية إلى أن بدايات التعليم في شرق أفريقيا تمثل في المدارس القرآنية والحلقات الدراسية في المدارس والمساجد وفي بيوت العلماء (بلقاسمي، 2013، ص160) ، ويذكر الدكتور صغيرون أن النواة الأولى للتعليم وبداياته المبكرة في شرق أفريقيا كانت تتمثل في المدرسة القرآنية (الكتاتيب)، وحلقات الدرس في المساجد، ودور العلماء التي كانت تشكل في مجملها القاعدة الأساسية للتعليم الإسلامي التقليدي في زنجبار والمراكز الإسلامية الأخرى في شرق أفريقيا مثل بمبا " الجزيرة الخضراء " ولامو ومباسة ومالندي وكلوة (صغيرون. 1993، ص201)

فقد كانت هذه هي المؤسسات التربوية التي ارتكز عليها التعليم على امتداد المجتمع السواحلي في شرق أفريقيا والتي ما زالت تؤثر تأثيرا واضحا في صياغة الإنسان الأفريقي المسلم وعلى تكوين الثقافة السواحلية.

ولم تكن تلك المؤسسات التعليمية حصرا على فئة معينة أو مذهب معين وإنما كانت مفتوحة لجميع الطلاب على اختلاف مذاهبهم، بعيدا عن التعصب والمذهبية، وهذا يؤكد روح التسامح الديني التي كانت سائدة في مجتمع شرق أفريقيا (السعدي ، 2008، ص123)، وكانت الدراسة تشمل الجنسين(الذكور والإناث)، ففي زنجبار على سبيل المثال كان يوجد عدد من المعلمات يعلمن النساء القرآن الكريم ومباديء الدين الإسلامي في منازلهن (البرواني،2010،ص12-13) ومعظم المعلمات من النساء القمريات اللاتي هاجرن من جزر القمر إلى زنجبار بصحبة عائلاتهن، ومن الأمثلة على ذلك المعلمة فاطمة فيفوم والمعلمة

مواناعيد (كرهيلا، 2007،ص73) ، وكان يتم تعليم النساء القرآن الكريم والقصائد الخاصة بالمولد النبوي (الأبروي، 2015،ص124-125) وهذا دليل على الوعي الثقافي للمجتمع، حيث تعليم الفتاة مباديء القراءة، وقراءة القرآن الكريم وفروض الصلاة وغيرها من أساسيات التعليم.

ويمكن تقسيم المؤسسات التعليمية الي كانت منتشرة في شرق أفريقيا إلى ما يلي :

1- المدارس القرآنية

تعد المدارس القرآنية من أهم المؤسسات والمراكز العلمية في شرق أفريقيا، ويعود تاريخ تأسيس هذه المدارس إلى القرون الإسلامية الأولى حيث تزامن تأسيسها مع حركة انتشار الإسلام في المنطقة؛ لأنها كانت الوسيلة المناسبة لنقل تعاليم الدين الاسلامي من جيل إلى جيل، وقد حافظت المدارس القرآنية على دورها الفاعل في مجتمع شرق أفريقيا وغيرها من بلاد العرب والمسلمين، وساهمت بشكل كبير في نشر الدين الإسلامي والثقافة الإسلامية، وساهمت كذلك في تخريج القيادات الدينية والاجتماعية من الأئمة والخطباء والوعاظ والمصلحين وأعيان المدن والقرى القادرين على قيادة المجتمع دينيا واجتماعيا (باشا، 2015،ص11)

واعتمدت تلك المدارس في تسيير أمورها على جهود المتطوعين وعلى نفقات أولياء أمور الطلاب، ولاتزال هذه المدارس إلى اليوم تنتشر بالمئات في كل أنحاء شرق أفريقيا رغم الإمكانيات المادية الضعيفة التي تعاني منها ، (سنكر،2016) وتكون هذه المدارس عادة في المسجد أو تحت أحد الأشجار، أو فوق سطوح أحد المباني (أوبورا، 1995،ص32)

كانت مدة الدراسة في المدارس القرآنية بين سنة وثلاث سنوات، وتنتهي بحفظ القرآن الكريم (غنيمي،1986،ص193-194)، ولم تكن هناك أعداد محددة لقبول التلاميذ في هذه المدارس، ولكن في آخر الأمر نجد أن أمام المعلم ثلاثين إلى أربعين تلميذا أو أكثر بقليل، وتبدأ الدراسة من السابعة صباحا إلى منتصف النهار، وتستأنف من الثانية إلى الرابعة أو الخامسة مساء.

في هذه المرحلة من التعليم يبدأ المعلم بتدريس التلاميذ حروف الهجاء أولا(أ-ب-ت—ث-ج-ح..الخ)، ثم ينتقل إلى تعليمهم تكوين الكلام دون فهم معناه، مثل: أسعد، سعاد، رضا، بهدف تعليم التلاميذ كيفية نطق الألف في أول الكلمة ووسطها وآخرها، ثم ينتقلون إلى قراءة القرآن وحفظه، وخاصة الجزء الثلاثون (جزء عم) لقصر سوره، وكثرة ترديدهم لها في صلاتهم (باشا،2015،ص15). وإذا تمكن التلميذ من قراءة القرآن وحفظه كاملا ينتقل للدراسة على يد أحد العلماء البارزين في تلك الفترة، حيث يتعلم قصائد (المولد النبوي)، وكتب الفقه، والنحو، والأخلاق، ويتم ذلك في المسجد أو في دور العلماء

وكانت اللغة السواحلية هي اللغة المستخدمة في التدريس والتي تكتب حروفها بالعربية مع التركيز على اللغة العربية، حيث يقوم المعلم بقراءة النص بالعربية ويفسره باللغة السواحلية، وكان المعلم يبدأ بتدريس الطالب الكلمات السهلة ثم يتدرج حتى يصل به إلى المستوى المطلوب (محمد،2000،ص136)

ويصف أحد الصحفيين في زنجبار النظام التعليمي الذي كان متبعا في المدارس القرآنية التي كانت موجودة في زنجبار وفي شرق أفريقيا عموما بقوله:

"السبورة على الجدار عليها عشرات الكلمات المفردة والجمل، وهناك حوالي 32 طفلا يرددون ما يشير إليه المعلم بعصاه من هذه الكلمات والجمل، وحين يتأكد المعلم من كفاءة أداء تلاميذه في تلك القراءة، يفسح المجال لخمسة أو ستة منهم للوقوف واحدا تلو الآخر أمام نفس اللوحة، مستخدمين نفس العصا لاستعراض مهاراتهم في القراءة، وفي نفس الوقت يتيحون لبقية الطلاب فرصة ترديد ما يقولون، ولم يكن الدرس يخلو من قراءة فردية من هذا الطفل أو ذاك، ثم يتقدم اثنين أو ثلاثة من الطلاب ويقرأون صفحة أو نصف صفحة من القرآن الكريم بإجادة تدعو للدهشة، ويبدو أن المطلوب أن يتميز كل قاريء منهم بدقة المخارج وسلامة النبرة وسلاسة النغم، وإذا أخطأ الطالب في أي موضع من الآية فيجب عليه في هذه الحالة إعادة قراءة الآية كاملة حتى يتيقن المعلم من صحتها" (فريد، 2016)

أما بالنسبة للأدوات المستخدمة في التعليم فقد كانت عبارة عن مصحف وهو – في الغالب –الجزء الثلاثون من القرآن الكريم (جزء عم)، ودواة صغيرة، وقلم مصنوع من القصب، وقطعة قماش للتنظيف، وعظم مصقول نظيف ليسهل الكتابة عليه بالحبر، وعادة ما يكون عظم كتف جمل، أو بقر كبير، أو فيل ، ثم بعد ذلك استخدمت ألواح خشبية تسمى أوبو Ubao يمكن الكتابة عليها بالأقلام المصنوعة من القصب، وكان الحبر المستخدم عبارة عن حجر مرجان مسحوق ومذاب في الماء (ترمنجهام،1980،ص232)

وعلى الرغم من طرق التدريس التقليدية المتبعة في هذه المدارس إلا أنها ساعدت معظم تلاميذها على مواصلة دروسهم في المساجد، وفى بيوت المعلمين، حيث يتم تدريسهم العلوم النقلية ويعطى الطالب في هذه المرحلة حرية اختيار معلمه الذي سيأخذ عنه تلك العلوم (محمد،2000،ص136) وكان للعلماء عدة تخصصات منها النحو والتفسير والعلوم الشرعية وغيرها (العيسى،1993،ص144).

وكان في المدرسة مساعدين أو ثلاثة وهم غالبا ما يكونون من التلاميذ الكبار الذين ختموا القرآن حيث يقومون بتدريس التلاميذ عند غياب المعلم لبعض أعماله، ولا يحصل المعلم على رسوم أو دخل منظم، ولكنه يعطى بعض النقود عند دخول التلميذ الجديد في مدرسته، كما يعطى بعض النقود إذا أتم التلميذ نصف المصحف، أو إذا أكمل القرآن، كذلك يطبخ التلميذ وجبة غذائية تسمى " مديدة الذرة " أو " مأدبة الخبز " ويوزعها لزملائه (باشا،2015،ص15)

وتوجد طرق أخرى تساعد المعلم على رفع دخله منها أن تعد زوجته بعض المطبوخات كالفول السوداني والفطيرة لتبيعها للتلاميذ الذين يشترونها إجلالا لمعلمهم الذي كان كذلك يحصل على بعض الخدمات من قبل طلابه، كأن يعمل التلاميذ عادة كل الأعمال المنزلية لمعلميهم مثل جلب المياه، غسل ملابس المعلم في كل يوم خميس، والطبخ للبنات ،وتنظيف البيت كل صباح، وزراعة بعض المحاصيل في حقل المعلم، وجلب الحطب (سنكر،2016)

2- التعليم في المساجد

يعد المسجد أول مركز دعوي وتربوي وتعليمي في تاريخ الإسلام ومسار انتشاره في أرجاء الأرض، وله أهمية كبيرة من الناحية الروحية والتربوية والاجتماعية، ومن هذا المنطلق فقد رافق انتشار الإسلام في شرق أفريقيا بناء الكثير من المساجد في معظم أنحاء تلك المنطقة، حتى أصبح لكل مجموعة مكونة من ستة منازل مسجدا (ترمنجهام،1980،ص156) كما تم تحويل الكنيسة

الموجودة في قلعة المسيح في ممباسا إلى مسجد، حيث يدل على ذلك وجود بعض الأعمدة المنقوش عليها آيات قرآنية (الهنائي، 1994،ص19) وقد استمرت حركة بناء المساجد في شرق أفريقيا إلى الآن.

ولم يقتصر دور المساجد على الصلاة والعبادة فقط، وإنما كانت بمثابة مراكز تعليمية يرتادها الكثير من العلماء والطلاب من كل الأجناس (البطراني،2010،ص96) عرب وأفارقة وهنود وغيرهم، وتلقى فيها الدروس العلمية في مجال اللغة العربية وفي مجال علوم الدين المختلفة (مجموعة باحثين،2016،ص257)

ويشير ترمنجهام إلى مصطلح Darasas وهو اسم محلي بمعنى حلقات دراسية تلقى فيها محاضرات لتدريس اللغة العربية وتفسير القرآن الكريم والفقه لعامة الناس، ويقوم بذلك المشايخ بعد صلاة المغرب، سواء في المساجد أو منازلهم الخاصة (ترمنجهام،1980،ص160-162)

وكانت الحلقات العلمية تقام في هذه المساجد بحيث يخصص لها زاوية من المسجد أو غرفة ملاصقة له، ولهذا نجد كثير من الناس يسارعون إلى بناء المساجد وذلك للحاجة إليها، ولكثرة المصلين، ونذكر منها المساجد التالية:

أ- مساجد ممباسا:

1- مسجد مكادرا : يقع في حي كيبوكوني في ممباسا وبناه الوالي الشيخ مبارك بن سالم بن أحمد المزروعي , (Farsy) 1989, P18

2- مسجد المزروعي: بناه المزارعة في ممباسا ولايزال قائما إلى اليوم ، وكان من أبرز العلماء الذين قاموا بالتدريس فيه الشيخ الأمين بن علي المزروعي (الغيثي، 2010 ، ص120)

ب- مساجد لامو:

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي بنيت العديد من المساجد في مدينة لامو ومن تلك المساجد: (سنكر،2016)

1- مسجد الأزهر: يعرف بمسجد موان مشام أو عبدالله حامد ، وهما إسمان لمن ساهما في عمارته، ويعود تاريخ بناء هذا المسجد إلى العام 1272هـ/1855م.

2- مسجد باجوري: بني عام 1282هـ/1865م

3- مسجد الشيخ محمد بن علي: تم بناؤه عام 1293هـ/1876م

4- مسجد بموان: يعود تاريخ بناءه إلى عام 1298هـ/1880م

ج- مساجد زنجبار (اللمكي، 2006، ص167-168)

أما في زنجبار فتوجد الكثير من المساجد كذلك مثل مسجد المنارة ومسجد جوفو في منطقة كاشفيني، الذي تم بناؤه في القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي من قبل عشيرة جمل الليل الحضرمية، وكان هذا المسجد من أشهر مراكز العلم في شرق

أفريقيا، حيث كانت تعقد فيه حلقات العلم على يد نخبة من العلماء منهم الشيخ أحمد بن سميط، والشيخ عبدالله بن محمد باكثير، والشيخ عبدالعزيز الأموي وغيرهم.

ومن أبرز المساجد التي بنيت في زنجبار في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي وكانت تقام فيها حلقات العلم:

1- مسجد المزاحم : يقع في حي مالندي، وأقامه الشيخ أحمد بن أبي بكر بن سميط سنة 1278هـ/1861م، وسمي بهذا الاسم نسبة إلى السيد حمد بن مزاحم من حضرموت وهو الذي قام بتمويل بناء المسجد.

2- مسجد علي ودادي : يقع في حارة كجفشيني ويرجع تاريخ بناءه إلى حوالي عام 1870م

3- مسجد الحمداني وبونا صادق : في حي مكونازيني، وتم بناءه حوالي عام 1885م، وقد بناها صادق بن عمر الحمداني بتشجيع من أمه فاطمة بنت أبي بكر الحمدانية والتي أوقفت للمسجدين سبعة أوقاف عقارية يصرف ريعها على خدمة المسجدين .

4- مسجد السيد حمود بن أحمد البوسعيدي في بوبوبو شمال زنجبار، وقد أسسه السيد حمود في عهد السلطان برغش بن سعيد .

5- مسجد بنت جمعة: بني على نفقة عائشة بنت جمعة بن علي المغيري عام 1297هـ/1880م في منطقة كجفشني بزنجبار (السيفي،2015،ص47)

6- مسجد المسروري : أنشأه الشيخ سعيد بن عامر المسروري عام 1872م.

7- مسجد فرضاني : وهو أول مسجد في زنجبار أقيمت فيه صلاة الجمعة .

10-مسجد جبريل نور : يقع في زنجبار بمنطقة ماكونازيني ، وقد أسسه السيد سليمان بن حمد البوسعيدي عام 1874م.

11- مسجد المنارة : يوجد في منطقة مالندي بزنجبار، وقد بناه القمريون الذين هاجروا من جزر القمر حوالي عام 1250هـ.(كرهيلا،2007، ص154)

12-مسجد بيرزا : يقع في حارة كجفشني وكان مركزا للعلم والتعليم.(عبدالله،2001،ص87)

وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي قام الهنود السنة ببناء عدد من المساجد في زنجبار ومن تلك المساجد:

1- مسجد اللوجان : بني في عهد السلطان ماجد بن سعيد (1856-1870م)، وقد أنشأه السيد عبدالرحمن أحمد اللوجان ، وقد أوقف ابنه محمد بن أحمد اللوجان خمسة عقارات للإنفاق على شؤون المسجد.

2- مسجد رجب : أنشأه السيد رجب بن عبدالرازق لوجان قبل عام 1314هـ/1896م، ويعد من أكبر مساجد الهنود السنة في زنجبار (عبدالله،2001،ص88-89)

3- مدرسة مسجد الرياض في لامو

يرجع الفضل في تأسيس هذه المدرسة إلى الحبيب صالح بن علوي بن عبدالله جمل الليل، الذي هاجر من جزر القمر إلى لامو عام 1287هـ/1870م، وكانت لامو في تلك الفترة مركزا من مراكز العلم في شرق أفريقيا.

شرع الحبيب صالح في بناء مسجد الرياض عام 1310هـ/1892م ، حيث بنى أولا كوخا للصلاة وللتعليم، على مساحة من الأرض كان قد منحه إياها الحبيب منصب أبوبكر الحسيني(أحد علماء لامو)، وبعد مدة بنى الحبيب صالح في المكان نفسه مسجدا باستخدام الأخشاب والطين والسعف، ثم بناه بالحجارة والنورة عام 1310هـ/1892م (بدوي،1989،ص21)

وكان لهذا المسجد دور واضح في مجال التعليم، فقد كانت تقام فيه الحلقات العلمية، وكان يقصده الكثيرون من طلاب العلم من شتى بلدان شرق أفريقيا، وهو يعد أول مسجد قام بإيواء وإعاشة الطلاب الوافدين إليه، كما يعد المدرسة الأم والأقدم في كينيا وفي شرق أفريقيا كلها (بدوي،1989،ص20)، وقد تخرج منه علماء وقضاة كانت لهم مكانتهم العالية في مجال القضاء والإفتاء والوعظ والإرشاد (بدوي،1989،ص22)، ولا يزال هذا المسجد صرحا من صروح العلم في منطقة ساحل شرق أفريقيا.

4- مدرسة باكثير في زنجبار

تعد مدرسة باكثير في زنجبار نموذجا للمؤسسات التعليمية التي أنشأها الحضارمة في شرق أفريقيا، ويعود تأسيسها إلى عام 1309هـ/1892م على يد الشيخ عبدالله باكثير الذي قدم من لامو واستقر في زنجبار ابتداء من ذلك العام (باكثير،1405هـ، المقدمة)

وقد بدأ الشيخ عبدالله باكثير في عقد حلقاته العلمية في مسجد جوفو بزنجبار، فقصده الكثير من الطلاب، ومع تزايد أعداد الطلاب قام الشيخ باكثير بتصنيف طلابه إلى مستويات علمية، فكان يقوم بتدريس الطلاب المبتدئين في مسجد البرزة في زنجبار خلال الفترة الصباحية(Bang,2003,p174) ، أما الطلاب في المرحلة العليا فيقوم بتدريسهم في مسجد جوفو أو في بيته خلال الفترة المسائية، وغالبا ما تكون بين صلاتي المغرب والعشاء

(Farsy,1989,p89)

كان لمدرسة الشيخ عبدالله باكثير دورا مهما في تخريج طلاب مؤهلين للعمل في مجال القضاء وتدريس علوم القرآن والتفسير في شرق أفريقيا(Bang,2003,p174)

5- بيوت العلماء

بعد أن يتلقى الطلاب تعليمهم في المساجد ينتقل بعض الطلاب إلى المرحلة الثالثة في التعليم، وهؤلاء الطلاب هم من المتميزين في الأغلب، حيث يواصلون الدراسة في بيوت العلماء، وكانت هذه الطريقة منتشرة في معظم المراكز الإسلامية في شرق أفريقيا، مثل: زنجبار، وممباسا، وبمبا، ولامو، وسفالة، وكلوة، وكان الاهتمام الأكبر موجها نحو تدريس اللغة العربية والشريعة الإسلامية (مجموعة باحثين،2016،ص251)، وفي الغالب يتولى هؤلاء الطلاب بعد ذلك مناصبا كبيرة في الدولة مثل القضاء.

ومن أهم الكتب التي كانت تدرس القرآن الكريم وتفسير الجلالين للسيوطي، أما في مجال اللغة العربية فكان الطلاب يدرسون ألفية ابن مالك، ولامية الأفعال لابن مالك، بينما في مجال الدين كان يدرس كتاب منهاج الطالبين للنووي (سنكر،2016، مقابلة)

وكانت تلك الكتب يتم نسخها كتابة باليد قبل وصول الطباعة، وفي منتصف القرن التاسع عشر الميلادي بدأت الكتب العربية المطبوعة ترد إلى زنجبار، حيث بدأت تصل بعض الكتب المطبوعة من مصر فسهلت عملية تبادل الكتب وزاد انتشارها وذلك بعد عام 1860م.(العيسى،1993،ص145)

ويمكن القول أن التعليم في شرق أفريقيا كان يمر بثلاث مراحل هي:

1- المرحلة الأولى : كان هذا التعليم يتم في الكتاتيب أو الزوايا، ويتعلم الطالب في هذه المرحلة حروف الهجاء العربية، بالإضافة إلى تعليمه الكتابة، وقراءة قصار السور القرآنية، كما يتعلم الطالب بعض الفروض الدينية كالوضوء والصلاة وغيرها.(الجابري، 2011،ص143-145، الحارثي،2006،ص26-27)

2- المرحلة الثانية: التعليم في المساجد، حيث يتلقى الطالب دروسا في اللغة العربية كالنحو والصرف والعروض، إلى جانب تلقيه دروسا في الفقه والعقيدة (الحارثي، 2006،ص26-27)

3- المرحلة الثالثة : وتسمى مرحلة حلقات الدرس أو الخلوة ، وتتم في المسجد أو في بيوت العلماء ، وتقدم فيها الدروس بشكل معمق في مجال اللغة العربية والتفسير والفقه وعلم الحديث الشريف (الحارثي،2006،ص26-27)

وكان الطالب يمنح بعد إكمال الدراسة وتحقيق المستوى المطلوب ترخيصا أو إجازة علمية من أحد العلماء المشهورين تؤهله للتدريس في موطنه أو مدينته التي قدم منها (محمد،2000، 136)

من هنا يمكن أن نقول بأن التعليم الإسلامي في زنجبار وشرق أفريقيا كان يمر بثلاث حلقات حتى يتمكن الطالب النجيب من الحصول على شهادة أو إجازة في التدريس، وبعد ذلك عليه أن يتبحر في العلم وخصوصا في الفقه للحصول على مرتبة القضاء، وأن الجهود التي بذلها المدرسين كانت كبيرة، وتشجيع الحكومة والأهالي لتلاميذهم كانت دافعا من دوافع انتشار العلم والثقافة.

6- مدارس الهنود

نظرا لوجود أعداد كبيرة من الجاليات الهندية (المسلمون والهندوس) في شرق أفريقيا والذين كانوا يمارسون النشاط التجاري بشكل خاص كما ورد ذكر ذلك في الفصل الأول من هذه الدراسة، فقد ظهرت الحاجة إلى إنشاء مدارس خاصة بهم لتعليم أبنائهم.

كان الهنود مدركين أهمية التعليم، لذا كانوا يرسلون أبنائهم إلى الهند للدراسة، كما كان البعض منهم يحرصون على تعليم أبنائهم في البيت من خلال استقدام مدرسين من الهند، إلا أنهم كانوا دائما يواجهون مشكلة في استقدام المدرسين، ويعود ذلك إلى أن الشباب الهنود يفضلون ممارسة التجارة بدلا من مهنة التدريس، وحتى أولئك الذين يمارسون مهنة التدريس سرعان ما يتركونها عندما يحصلون على عمل آخر في ميدان التجارة (هولنجزوورث،1961،ص121-122)

وقد حاول الهنود الحصول على موافقة الحكومة البريطانية بالسماح لهم بإنشاء مستشفى ومدرسة خاصة بهم في زنجبار وعلى نفقة التجار الهنود، وجاء ذلك على لسان أحد التجار يدعى " تاريان توبان " حيث اقترح عام 1881م على القنصل البريطاني في زنجبار جون كيرك فكرة إقامة مستشفى ومدرسة خاصة بالهنود، إلا أن الحكومة البريطانية في لندن رفضت الفكرة، وسمحت للهنود

بإقامة مستشفى فقط، فتم بناء المستشفى في زنجبار وافتتح عام 1887م، أما بالنسبة للمدارس فلم يتم افتتاح أي مدرسة إلا بعد إعلان الحماية البريطانية على زنجبار عام 1890م (تركي،2003،ص178)

في عام 1890م عقد زعماء الطوائف الهندية في زنجبار اجتماعا ناقشوا فيه ضرورة انشاء مدرسة خاصة بالهنود في زنجبار ، وكان الدافع إلى ذلك شعور الهنود بالحاجة إلى وجود مدرسة خاصة بهم لأن العرب والمسلمين كانوا يدرسون أبنائهم في المساجد والمنازل ، ولم تكن هناك مدرسة عامة للجميع، وقد دعي للاجتماع القنصل البريطاني في زنجبار السير إيوان سميث يسوروذلك لكي يكون مطلعا على الموضوع ولمساعدتهم في إتمام هذا المشروع ، وتم خلال الاجتماع الموافقة على بناء المدرسة بتمويل من التجار الهنود (تركي،2003،ص124)

ويذكر البروفيسور عبد الشريف (عبدالشريف، 20016، مقابلة) أن المدرسة افتتحت عام 1891م، وكانت خاصة بالهنود المقيمين في زنجبار وأطلق عليها " مدرسة سميث Smith School " ، ولم تكن حكرا على الهنود المسلمين بل كانت عامة لجميع الهنود سواء من المسلمين أو الهندوس، وقد بلغ عدد طلابها عند افتتاحها حوالي مائتين، وتم إحضار عدد من المدرسين من الهند، ولم تكن تدرس فيها العلوم الإسلامية بل تدرس اللغة الهندية (كوجرات) والحساب واللغة الإنجليزية، وكان طلاب تلك المدرسة يتعلمون اللغة الإنجليزية بشكل مبسط ابتداء من الصف الأول إلى الصف الرابع (عبدالشريف، 2016، مقابلة) ، كذلك أنشأ الهنود في ممباسا مدرسة صغيرة عام 1894م، وقدم سمح للطلاب العرب بارتيادها، ثم تطورت هذه المدرسة فيما بعد وعرفت باسم " مدرسة بوكستون الثانوية". (سنكر، 2016، مقابلة)

7- ظهور المدارس الحديثة في زنجبار

لقد بدأ التعليم النظامي في زنجبار في عهد السلطان على بن حمود(1320هـ/1902م-1329هـ/1911م) حيث تم افتتاح أول مدرسة حكومية عام 1322هـ/ 1904م) أرشيف زنجبار، وثيقة رقم (AA5/11-109 ولم تأت فكرة إنشاء إدارة للتعليم إلا في عام 1325هـ/ 1907م، حينما أرسلت الحكومة شخص يدعى سيد كاف إلى مصر ليدرس نظام التعليم المصري، وفي نهاية عام 1907 تم تعيين ريفار سميث الذى عمل خبيرا في إدارة التعليم المصري، ليضع الخطط التعليمية تمهيدا لتأسيس إدارة التعليم في زنجبار، وقد افتتحت هذه الإدارة رسميا عام 1326هـ/1908م وذلك في عهد السلطان علي بن حمود (المغيري،2001،ص422، مجموعة باحثين،2016،ص253) ثم تبع ذلك إنشاء المدارس الابتدائية الحكومية للبنين ثم البنات، كما تم لاحقا اعتماد اللغة السواحلية المكتوبة بالحروف اللاتينية كوسيلة للتعليم في جميع المدارس الحكومية وذلك بضغط من الإدارة البريطانية على الرغم من معارضة شريحة كبيرة من سكان زنجبار لهذا القرار، وطالبوا الإدارة بضرورة تدريس اللغة العربية بشكل أوسع، إلا أن هذا الطلب قوبل بالرفض بحجة أن اللغة العربية ليس لها دور في حياة المواطنين اليومية، وأن جميع السكان العربي منهم والعجمي كانوا ولا يزالون يستعملون اللغة السواحلية في معاملاتهم اليومية (حريز،د.ت، ص95-96)

كانت اللغة العربية من المواد التي تدرس في تلك المدارس ولكن تدريسها كان مقتصرا على تعلم حروف الهجاء، وقراءة بعض الكلمات والجمل تمهيدا لقراءة القرآن الكريم، الأمر الذي أغضب العرب وجعل الكثير منهم لا يرسلون أولادهم إلى هذه المدارس إلا بعد أن يختموا القرآن في المدارس القرآنية مما أثبت عدم اهتمام المجتمع بالتعليم العلماني اللاديني كما كانوا يعتقدون، ولهذا

السبب وغيره أدخلت مادة التربية الإسلامية واللغة العربية في المناهج والمقررات الدراسية، وجعلت السنة الدراسية الأولى خاصة للقرآن الكريم، ومن خلال هذه الإجراءات تمكنت الحكومة من إقناع أولياء الأمور بأهمية إرسال أبنائهم لتلك المدارس الحكومية .

(حريز،د.ت، ص95-96 ، عبدالشريف،2016، مقابلة)

خاتمة

أظهرت هذه الدراسة أن المؤسسات التعليمية في شرق أفريقيا خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي كانت ركيزة أساسية في بناء المجتمع السواحلي وتشكيل هويته الثقافية والدينية. فقد مثّلت المدارس القرآنية والمساجد وبيوت العلماء المنظومة التعليمية الأولى التي اعتمد عليها السكان في تحصيل العلوم الدينية واللغوية، وأسهمت في نشر القيم الإسلامية وترسيخ اللغة العربية كلغة علم وثقافة. كما بينت الدراسة أن الدور العُماني في هذا المجال لم يقتصر على الجانب السياسي أو التجاري، بل امتد ليشمل النشاط العلمي والتربوي الذي انعكس أثره في بناء أجيال متعلمة وواعية بدينها وتراثها.

وأوضحت النتائج أن التعليم في شرق أفريقيا اتسم بالمرونة والتدرج، حيث مر بثلاث مراحل أساسية شملت التعليم الأولي في الكتاتيب، ثم الدراسة في المساجد وبيوت العلماء، وصولاً إلى التعليم النظامي الذي بدأ مع النفوذ البريطاني في زنجبار. كما أظهرت الدراسة أن التعليم الإسلامي التقليدي كان شاملاً للجنسين، وأسهم في ترسيخ مبادئ التسامح والانفتاح الثقافي بين مكونات المجتمع.

وتؤكد هذه النتائج أن التعليم في شرق أفريقيا كان عاملاً محورياً في استمرار التواصل الحضاري بين العمانيين والسواحليين، ومظهراً من مظاهر التفاعل الثقافي العربي الأفريقي، الذي حافظ على طابعه الإسلامي رغم التحديات الاستعمارية. ومن ثمّ، فإن دراسة هذا التراث التعليمي تسهم في فهم أعمق للعلاقات التاريخية بين عمان وشرق أفريقيا، وتبرز إسهام العرب في تشكيل البنية الثقافية والتعليمية لتلك المنطقة.

المصادر والمراجع

الوثائق

- أرشيف زنجبار (ZA) ، وثيقة رقم109-AA5/11 ، عبارة عن مرسوم أصدره السلطان علي بن حمود إلى كافة رعاياه عن افتتاح مدرسة لتعليم الأولاد في منطقة شويني بزنجبار، ويناشد رعاياه بضرورة إلحاق ابنائهم بالمدرسة ، ومؤرخة في 17 رجب 1322هـ/27 سبتمبر 1904م

المصادر

- -الأبروي، جمعة بن علي. روابط دائمة . تر: الصبحي بن حسين، ط1 ، بيت الغشام للنشر والترجمة ، مسقط:2015م
- البرواني ، محمد بن علي بن خميس . رحلة أبي الحارث .ط1 ، وزارة التراث والثقافة ، مسقط : 1431هـ/2010م

- باكثير، عبدالله بن محمد بن سالم . رحلة الأشواق القوية إلى مواطن السادة العلوية . مكتبة الإسكندرية ، مصر : 1405هـ

- المغيري ، سعيد بن علي . جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار .ط4 ، تحقيق : محمد علي الصليبي ، وزارة التراث والثقافة، مسقط : 2001م

المراجع

- أوبورا، آنا. الخلوة في زنجبار. تر: عمر بابكر، مجلة التوثيق التربوي، ع 104، السنة 28، الخرطوم: يوليو 1995م

- باشا، نور الدين محمد. الكتاتيب القرآنية في أفريقيا وأثرها في تشكيل الهوية الوطنية بجزر القمر. مجلة قراءات أفريقية، العدد25، السنة: 2015م

- بلقاسمي ، بوعلام . الوجود العماني في شرق أفريقيا من خلال مذكرات بعض الرحالة والقناصل الأوروبيين خلال القرن التاسع عشر الميلادي . المؤتمر الدولي : الدور العماني في الشرق الإفريقي 11-13 ديسمبر2012م ، المجلد الأول ، جامعة السلطان قابوس ، مسقط : 2013م

- بدوي، صالح محمد علي. الرياض بين ماضيه وحاضره. ط1، المطبعة الخيرية، زنجبار:1989م

- البطراني ، جمعة بن خلفان بن صالح . أثر العمانيين في نشر الثقافة الإسلامية في شرقي أفريقيا خلال عصر دولة البوسعيد(1744- 1964م). رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الأزهر ، مصر : 1431هـ/2010م

- تركي، بنيان سعود. الجالية الهندية في شرق أفريقية في عهد السيد برغش بن سعيد ، 1870 – 1888م. مجلة دراسات تاريخية، مج 24 , العدد 81,82 ، دمشق: 2003م

- ترمنجهام، سبنسر. الإسلام في شرق أفريقيا. ترجمة : محمد عاطف النواري ، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة: 1980م

- الجابري ، سعد رزق الله . الحضارم في شرق أفريقيا . ط1 ، دار حضرموت للدراسات والنشر ، المكلا : 2011م

- الحارثي. عبدالله بن ناصر. دور البوسعيد في تنشيط الحركة الثقافية في عمان وشرق أفريقيا. ط1، وزارة التراث والثقافة، مسقط : 2006م

- حريز، سيد حامد . المؤثرات العربية في الثقافة السواحلية في شرق أفريقيا. دار الجيل، بيروت : د.ت

- السعدي ، كوثر بنت محمد . دور الحضارم في شرقي أفريقيا في ظل الدولة البوسعيدية (1219هـ/1804م-1384هـ/1964م . رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة السلطان قابوس ، مسقط : 2008م

- السيفي ، محمد بن عبدالله بن سعيد . النمير روايات وحكايات . ط1 ، ج7 ، د.ن : 1436هـ/2015م ،

- صغيرون ، ابراهيم الزين . الإسهام العُماني في المجالات الثقافية والفكرية والكشف عن مجاهل القارة الإفريقية في العهد البوسعيدي، المنتدى الأدبي ، حصاد ندوة 1991 . 1992م، وزارة التراث القومي، مسقط : 1993م

- العيسى، الجوهرة عبداللطيف. الحياة الاقتصادية والاجتماعية في سلطنة زنجبار خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر (1859-1893م). وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط : 1993م

- عبدالله ، حسن محمد . الحركة المعمارية في زنجبار (1832-1888م) . المجمع الثقافي ، أبوظبي: 1422هـ/2001م

- غنيمي ، رأفت . دور عمان في بناء شرقي أفريقيا . حصاد ندوة الدراسات العمانية (1980م) ، ط2 ، المجلد 3 ، وزارة التراث القومي والثقافة ، مسقط : 1406هـ/1986م

- الغيثي ، عبدالله بن سليمان . ولاية ممباسا في عهد دولة اليعاربة العمانية 1696-1749م دراسة تاريخية حضارية . رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة السلطان قابوس ، مسقط : 2010م

- كرهيلا، حامد. العلاقات التاريخية بين الدولة البوسعيدية وجزر القمر(1219هـ-1383هـ/1806م-1964م) . بيبلوس كونسالتينغ للطباعة والنشر والتوزيع ، موسكو : 1428هـ/2007م

- اللمكي ، ليلى بنت سعيد . التاريخ السياسي والحضاري لزنجبار في عهد السلطان برغش بن سعيد 1870-1888م . رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة السلطان قابوس ، مسقط : 2006م

- محمد ، سميحة إبراهيم . دولة نجبار الحديثة في عهد السلطان سعيد بن سلطان 1806-1856م . مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، طرابلس : 2000م

- مجموعة باحثين . الحضارة والثقافة الإسلامية والدور العماني في التفاعل اللغوي والأدبي والحضاري في دول شرق أفريقيا والبحيرات العظمى . ط1 ، ج2 ، هيئة الوثائق والمحفوظات الوطنية ، مسقط : 2016م

- هولنجزوورث ، ل. و. الآسيويون في شرق أفريقيا. ط1 ، ترجمة: عبدالرحمن صالح . دارالفكر العالمي :1961م

- الهنائي، مبارك بن علي. العمانيون وقلعة ممباسا. ترجمة محمد أمين عبدالله، ط ، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط: 1415هـ/1994م

المراجع الأجنبية

- Farsy, Abdallah Salih.The Shafei Ulama of East Africa, ca. 1830-1970. Translated by : Randall L. Pouwels , African Studies Program , University of Wisconsin , Madison:1989

-Bang, Ann K, Sofis and Scholars of Sea. Routledge Curzon, London, 2003, p. 174

المقابلات

- مقابلة مع البروفيسور عبد الشريف في فندق Palm Beach في دار السلام (تنزانيا) بتاريخ 2016/1/16م
- مقابلة مع الدكتور علي سعيد سنكر بجامعة عبدالرحمن السميط في زنجبار بتاريخ 2016/1/15م
- مقابلة مع الصحفي فريد حميد باوزير، زنجبار، بتاريخ 2016/1/17م

الدبلوماسية الثقافية والقوة الناعمة في العلاقات الدولية

تنامي قوة الدبلوماسية الناعمة في العلاقات الدولية

م. د هناء رحيم زيدان
كلية العلوم السياسية/ جامعة النهرين/ العراق
07759685066
Hanaa.rahim@nahrainuniv.edu.iq
009647759685066

المخلص

شهدت السياسة الدولية خلال العقود الأخيرة تحولات كبيرة في طبيعة أدوات النفوذ والصراع فلم تعد القوة الصلبة وحدها كافية لتحقيق الأهداف الخارجية للدول المتمثلة في القوة الاقتصادية والعسكرية فقد برز مفهوم القوة الناعمة في التسعينات كأحد أبرز أدوات التأثير الجديدة المتمثلة في الجذب والإقناع، وعليه يهدف بحثنا إلى دراسة صعود القوة الناعمة من حيث الجذور النظرية وأدواتها ومجالات تطبيقها مع تحليل تجارب عدد من الدول التي تبنت هذا النمط من القوة والتأثير .

الكلمات المفتاحية: القوة الناعمة، الدبلوماسية الناعمة، الادوات التقليدية، الادوات الحديثة ، الصين، جنوب افريقيا .

Cultural Diplomacy and Soft Power in International Relations

The Rise of Soft Power in International Relations: Theory and Practice

Dr. Hana Rahim Zidane

College of Political Science, Al-Nahrain University, Iraq

Abstract

In recent decades, international politics has witnessed major transformations in the tools of influence and conflict. Hard power alone is no longer sufficient to achieve the external goals of states, as economic and military power are increasingly important. The concept of soft power emerged in the 1990s as one of the most prominent new tools of influence, represented by attraction and persuasion. Accordingly, our research aims to examine the rise of soft power, including its theoretical roots, tools, and areas of application, while analyzing the experiences of several countries that have adopted this form of power and influence.

Keywords: soft power, Soft diplomacy, Tradtitional tools, Modern tools, China, South Africa .

■ المقدمة

لقد شهد النظام الدولي خلال العقود الأخيرة تحولات عميقة أفرزت أنماطًا جديدة من القوة والتأثير، لم تعد فيها الموارد الاقتصادية والقدرات العسكرية وحدها محددات أساسية لفاعلية الدولة في بيئتها الخارجية، فقد برزت مفاهيم حديثة تُعنى بتفسير قدرة الدول على تحقيق أهدافها من دون استخدام الإكراه، وفي مقدمتها القوة الناعمة التي صاغها (جوزيف ناي) بوصفها قدرة الدولة على الجذب والإقناع بدلًا من الضغط والإجبار، وفي ظل التنافس المتزايد على المكانة والنفوذ، أخذت الدبلوماسية الدولية تتجه نحو توظيف أدوات غير مادية (التقليدية والحديثة) تقوم على الثقافة والقيم والرموز والاتصال والإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي والدبلوماسية الرقمية، مما أعاد تشكيل خارطة النفوذ العالمي بطرق أكثر مرونة واستدامة، كما ولم يعد نجاح السياسة الخارجية مرهونًا بامتلاك القوة الصلبة فحسب، بل بمدى قدرة الدول على بناء صورة إيجابية لدى الشعوب والنخب الأجنبية، وعلى إبراز نموذجها الحضاري والثقافي والسياسي كخيار جاذب ومقبول، وعليه أصبحت الدبلوماسية الناعمة ركيزة مركزية في إدارة العلاقات الدولية، لاسيما مع توسّع دور الفاعلين غير الحكوميين، وتطور وسائل التواصل الاجتماعي، واشتداد المنافسة على التأثير الرمزي والثقافي، ويتناول هذا البحث الأساليب المعاصرة لتوظيف القوة الناعمة في العلاقات الدولية عبر دراسة أدواتها، ومسارات تأثيرها، فضلًا عن إبراز تجارب عدد من الدول (الصين وجنوب افريقيا) في استخدامها كوسيلة لبناء النفوذ وتعزيز مكانتها العالمية .

■ اشكالية البحث

تكمن اشكالية الدراسة من ان قوة الدبلوماسية الناعمة رغم ما تحمله من ادوات معرفية وثقافية قادرة على تعزيز المكانة الدولية للدول، تواجه جملة من التحديات التي تحد من فاعليتها كالفجوة بين الخطاب والممارسة، والتنافس الحاد بين القوى الكبرى على صياغة السرديات والتأثير في الرأي العام، وهنا نطرح تساؤلا رئيسا (إلى اي مدى تواجه الدبلوماسية الناعمة تحديات تحد من قدرتها على تحقيق اهدافها في تعزيز المكانة الدولية للدول ؟)، وتندرج مجموعة من اسئلة الفرعية تتمثل بالاتي:

– ما هو مفهوم الدبلوماسية القوة الناعمة ؟

–ماهي ادوات الدبلوماسية الناعمة ومجالات التأثير؟

–ما هي ابراز النماذج التطبيقية للقوة الناعمة؟

■ أهمية البحث

تأتي اهمية البحث في كونه موضوعا حديثا وحيويا يساهم في فهم تحولات النظام الدولي وأدوات التأثير في عالم متعدد القوى، كما تنبع اهمية البحث من كونه يقدم معالجة معمقة لمفهوم الدبلوماسية الناعمة في حقل العلاقات الدولية، كما تكمن اهمية البحث كونه يسلط الضوء على التجارب التطبيقية لاسيما الصين والتجربة الجنوب الافريقي.

■ اهداف البحث

- تهدف الدراسة الى التعرف الى مفهوم دبلوماسية القوة الناعمة وتنامي قوتها وتأثيرها على تنفيذ السياسة الخارجية كعامل مؤثر في المشهد السياسي، عبر تقديم اطار نظري يوضح ابعادها المفاهيمية .

- تهدف الدراسة إلى تحليل الادوات العملية التي تعتمدها الدول في بناء نفوذها الناعم، كالتعليم والثقافة والرياضة

- تهدف الدراسة إلى توضيح التحديات التي تقيد فاعلية الدبلوماسية الناعمة.

- ابراز النماذج التطبيقية المستخدمة في البحث .

■ حدود البحث

١ – الحدود الموضوعية: يتحدد البحث في دراسة آليات صعود القوة الناعمة في العلاقات الدولية مع التركيز على أدوات التقليدية والحديثة، وكيف يمكن للدول توظيف القوة الناعمة في تعزيز مكنتها الدولية وتحقيق أهداف سياستها الخارجية والاقتصادية والثقافية .

٢ – الحدود المكانية: يتناول البحث توظيف القوى الدبلوماسية الناعمة ضمن نطاق النماذج الدولية بارزة كان النموذج الصيني والنموذج الجنوب الأفريقي مع الإشارة إلى تطبيق الدروس المستفادة على البيئة العربية .

3–الحدود الزمنية: يوصل البحث الضوء على التطورات المرتبطة الدبلوماسية النائمة خلال مدة القرن الحادي والعشرين مع تسليط الضوء على الفترة الممتدة من 2000 إلى 2025 التي شهدت التوسع كبيرا ومحو في استخدام الأدوات الرقمية هو وسائل التواصل الاجتماعي .

■ فروض البحث

1- يفترض البحث ان فاعلية قوة الدبلوماسية الناعمة لا تتوقف على امتلاك الدولة لأدوات معرفية وثقافية فحسب، بل تعتمد على مدى قدرتها على توظيف ادواتها بشكل متكامل ومؤسسي لتحقيق اهدافها الاستراتيجية، فكلما انسجم الخطاب الرسمي مع الممارسة الواقعية واتسعت دوائر التأثير عبر التعليم والرياضة والاعلام والثقافة، زادت فرص الدولة في تعزيز مكانتها الدولية والتأثير في الرأي العام العالمي، وبالعكس فان استمرار الفجوة بين الخطاب والممارسة يضعف من جدوى القوة الناعمة ويقلل من مردودها في بناء صورة ايجابية للدولة وتحقيق موقع مؤثر في النظام الدولي .

2- يفترض البحث ان القوة الناعمة استخدامها لادوات الاعلامية التقليدية على الرغم من اهميتها وحضورها، لم تعد قادرة على تحقيق التأثير المرجو مقارنة بالادوات الرقمية الحديثة التي اصبحت تشكل محورا فاعلا في الدبلوماسية المعاصرة .

3- يفترض البحث ان الدول التي تهمل تحديث ادواتها الناعمة لا سيما الادوات الرقمية، تتراجع قدرتها التأثيرية في النظام العالمي لصالح الدول الاكثر قدرة على استثمار الوسائط الحديثة .

4- يفترض البحث ان التحولات الاتصالية الراهنة، ولا سيما الانتشار الواسع والكبير للتكنولوجيا الرقمية لا سيما وسائل التواصل الاجتماعي، قد اعادت تشكيل بيئة التاثير العالمي، إذ ترتقي الادوات الناعمة إلى مستوى اكثر مركزية وفاعلية مقارنة بالمراحل السابقة .

5- يفترض البحث ان التجارب الدولية الناجحة، كالتجربة الصينية والتجربة الجنوب الافريقي، تعود فعالية قوتها الدبلوماسية الناعمة فيها إلى قدرتها على المواءمة بين المشروعات التنموية والانفتاح الثقافي الخارجي وبين الهوية الوطنية .

- **الدراسات السابقة**

تركز الباحثة على أهم الدراسات السابقة التي تناولت الجوانب المختلفة لعنوان البحث صعود القوة الناعمة في العلاقات الدولية وفق ما يأتي:

1. **ناي، جوزيف. (2007). القوة الناعمة: وسيلة النجاح في السياسة الدولية (ترجمة محمد توفيق البجيرمي). دار العبيكان.**

يمثّل كتاب جوزيف ناي أحد أهم المراجع التأسيسية في الأدبيات الحديثة التي تناولت مفهوم القوة الناعمة، إذ يقدم ناي إطاراً تحليلياً يربط بين الجذب الثقافي والقيم السياسية وفاعلية السياسات العامة في تعزيز مكانة الدولة خارجيًا، ويرى الكاتب أن التحولات العولمة والتكنولوجية جعلت القدرة على التأثير غير القسري أكثر أهمية من أدوات القوة التقليدية، كما يميّز ناي بين القوة الناعمة والقوة الصلبة، ويطرح مقاربة «القوة الذكية» التي تدمج بينهما لتحقيق تأثير فعّال، ويُعدّ هذا الكتاب مرتكزاً نظرياً أساسياً اعتمدت عليه معظم الدراسات اللاحقة التي بحثت في الدبلوماسية الناعمة وصناعة الصورة الدولية للدول.

2. **وزاني، خوري. (2024). أنياب التنين الناعمة: الصعود الناعم للقوة الصينية في السياسة الدولية. الشمس للنشر والإعلام.**

يقدّم خوري بوزاني في كتابه معالجة معمّقة لكيفية توظيف الصين لآليات الجذب والتأثير الثقافي في سياستها الخارجية، يركّز بوزاني على الأدوات التي اعتمدتها الصين، كالتبادل الثقافي، والدبلوماسية التعليمية، ومبادرة الحزام والطريق بوصفها منصّة لتكريس نفوذها الناعم. كما يناقش الكاتب التحوّل من النموذج الغربي الذي قدّمه ناي إلى نموذج صيني أكثر ارتباطاً بالهوية الحضارية، محاججاً بأن القوة الناعمة الصينية تقوم على مزيج من الإرث التاريخي والثقل الاقتصادي، وكذلك يضيف بوزاني بعداً نقدياً عبر الإشارة إلى أن فعالية القوة الناعمة ترتبط بمدى قبول الجمهور الدولي لرواية الصين وصورتها السياسية، وهو ما يجعله مرجعاً تطبيقياً مهماً في فهم مقاربات غير غربية لاستخدام القوة الناعمة.

3. لي، مينغ–الدبلوماسية العامة والاتصال في بناء والاتصال في بناء القوة الناعمة الصينية (2009)

تناول الكاتب لي مينغ كفي كتابه كيفية توظيف الصين لآليات الاتصال والدبلوماسية العامة لتعزيز قوتها الناعمة على المستوى الدولي. تعتمد الدراسة على إطار منهجي يجمع بين الاتصال السياسي والسياسة الخارجية، وتبحث في المؤسسات التي أسهمت في تشكيل صورة الصين، مثل معاهد كونفوشيوس، والإعلام الدولي، والسياسات الثقافية العابرة للحدود. وتُعدّ هذه الدراسة من الأعمال الأكاديمية الرصينة لأنها تصدر عن دار نشر علمية متخصصة (Palgrave Macmillan)، وتقدّم منظوراً تحليلياً داعماً لفهم الأدوات الاتصالية والإعلامية التي ترتكز عليها الدول في بناء نفوذها الناعم. وتوفّر الدراسة أساساً مهماً يمكن الإفادة منه في مقارنة التجارب الدولية وتطوير فهم أعمق للمسارات الاتصالية للدبلوماسية الناعمة.

4. غراهام – الدبلوماسية الثقافية في جنوب أفريقيا: أسس وممارسات (2016)

يقدّم الكاتب في دراسته تحليلاً معمقاً لكيفية بناء جنوب أفريقيا لدبلوماسيتها الثقافية بعد التحولات السياسية الداخلية، إذ تركز الدراسة على المقومات الأساسية للدبلوماسية الثقافية، كتنشيط التراث الوطني، وتعزيز الفنون، وتوظيف الهوية المتعددة الثقافات، فضلا عن تطوير سياسات التبادل الثقافي، وتبين الدراسة كيف يمكن للدول الصاعدة أن تتبنى نموذجاً عملياً للدبلوماسية الثقابية عبر «ممارسات أفضل » ، بما يشمل دمج المؤسسات الحكومية مع الفاعلين غير الحكوميين، وتعدّ هذه الدراسة نموذجاً مهماً لتجارب الدول المتوسطة الحجم التي تعتمد على القوة الناعمة لبناء نفوذ خارجي مستدام .

■ منهجية البحث

اعتمد البحث على ثلاثة مناهج تكاملية هي: المنهج الاتصالي، المنهج التحليلي، والمنهج النظمي، وذلك لتحقيق رؤية شاملة ومعمقة للموضوع، **فالمنهج الاتصالي** :يقوم هذا المنهج على دراسة الدبلوماسية الناعمة باعتبارها عملية اتصال إستراتيجي، وقد جرى استخدامه في البحث لتحليل الأدوات التي تعتمدها الدول في بناء قوتها الناعمة، مثل الإعلام، الثقافة، التعليم، والدبلوماسية الرقمية، بوصفها قنوات للتواصل والإقناع وكسب الشرعية.

المنهج التحليلي: وقد استُخدم في البحث لتحليل مقومات القوة الناعمة (الثقافة، القيم السياسية، السياسات الخارجية) ودورها في تشكيل الدبلوماسية الناعمة، إضافة إلى إبراز حدود فاعليتها وإمكانية قياس نتائجها، بما يسمح بالمقارنة بين الجانب النظري والتجارب التطبيقية المختلفة.

المنهج النظمي: يركز هذا المنهج على دراسة الظواهر في إطارها الكلي من خلال النظر إليها كجزء من منظومة أوسع. وقد وُظف في البحث لفهم الدبلوماسية الناعمة باعتبارها أحد مكونات السياسة الخارجية التي تتحرك ضمن النظام الدولي وتخضع لتوازناته وتفاعلاته. ويساعد هذا المنهج على توضيح كيف ترتبط مقومات القوة الناعمة بالبنية الدولية وكيف تؤثر فيها وتُستَأثر بها ضمن التفاعلات بين القوى الكبرى والتحولات الجيوسياسية .

المحور الاول: الاطار النظري للدبلوماسية الناعمة

تعد الدبلوماسية الناعمة من المفاهيم الحديثة التي نالت اهمية كبيرة في العلاقات الدولية المعاصرة، لا سيما في ظل التحولات العميقة التي يشهدها النظام الدولي، إذ كانت غالبا ما يتم فهمها في إطار المعنى التقليدي للقوة الصلبة لكن مع تطور في البيئة الدولية وتعاظم أثرها السلبية وزيادة التكلفة المادية والبشرية للقوة العسكرية فضلا عن الاعتماد الاقتصادي المتبادل بين الدول في الفترات السابقة كان أقل كثير الذي كان بمثابة الدافع الذي أدى للتحول في مفهوم القوة وظهور مصطلح القوة الناعمة، التي ارتبطت بالمستوى الفكري بتحولات اوسع من نظريات العلاقات الدولية، بينما ركزت النظرية الواقعية تقليديا على القوة المادية والعسكرية والاقتصادية، ظهرت النظرية الليبرالية والنظرية البنائية اللذان شددا على اهمية الموارد غير المادية والمؤسسات والقيم والثقافة، كعوامل تفسر قدرة الدول على احتواء الخلافات وتحقيق اهدافها من دون اكراه، وفي التستعينات القرن العشرين وتفكك نظام الحرب الباردة وتسارع العولمة وثورة الاتصالات والمعلومات، برزت حاجة نظرية وعملية لاعادة طرق تقييم التأثير الدولي، التي صاغها جوزي ناي (القوة الناعمة)، كما وساهمت الخبرات العلمية خلال القرن العشرين لاسيما برامج التبادل الاكاديمي والثقافي اثناء زما بعد الحرب العالميتين الاولى والثانية، وبرامج الاذاعة الدولية والانتاج السينمائي، والتعاون الاقتصادي والتنموي في ترسيخ فكرة ان التأثير الثقافي والتعليمي والاعلامي ذات التاثير الفعالة في السياسة الخارجية، وظهور العديد من المفاهيم المجاورة ك"الدبلوماسية الثقافية" و"الدبلوماسية العامة" و"الدبلوماسية الرقمية" التي وسعت نطاق التطبيق العلمي للقوة الدبلوماسية الناعمة في القرن الحادي والعشرين .

وعليه سنتطرق مفاهيم القوة الناعمة إذ تعددت تعريفات الدبلوماسية بتعدد الباحثين وما يحملون من أفكار علمية وفكرية كلا في مجال اختصاصه ، إذ تم استخدام مفهوم الدبلوماسية أول مرة عام (ادموند غوليين) بأنها فن وحديثا بانها علم فهي "مجموعة القواعد والأعراف الدولية والإجراءات المراسيم الشكلية التي تهتم بتنظيم العلاقات بين أشخاص القانون الدولي أي الدول والمنظمات والممثلين الدبلوماسيين" (الاشعل، 2001)

إذا عرفها هنري كنسجر هو "تكييف في الاختلافات من خلال المفاوضات" (Nicolson، 1963)

ويعرف هارولد نيكلسون الدبلوماسية "بأنها توجه علم العلاقات القائمة بين مختلف الدول الناتجة عن المصالح المتبادلة وعن مبادئ القانون الدولي العام ونصوص المعاهدات والاتفاقيات" .(Kissinger، 1994)

كما عرفها المفكر العربي علي حسين الشامي هي "علم وفن إدارة العلاقات بين أشخاص الدوليين، وهي مهنة الممثلين الدبلوماسيين أو الوظيفة التي يمارسها الدبلوماسيون، وميدان هذه الوظيفة هي العلاقات الخارجية للدول والأمم والشعوب " كما واضاف الشامي بان "الوظيفة الدبلوماسية وممارستها لا تقتصر على الدول فقط ، بل هناك اطراف اخرى تمارس العمل الدبلوماسي كالمنظمات الدولية والاحزاب السياسية والشركات" .(الشامي،2011)

وترتبط الدبلوماسية الناعمة بكافة المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية ودينية والاجتماعية ولها أدوار منها :-(وهبان،2012)

1. تعد الأداة الأولى من أدوات تنفيذ السياسة الخارجية للدول .
2. سهم في تسهيب اقامة العلاقات الودية وبنائها .

3. الدبلوماسية هي الشخص المعني بممارسة التفاوض والتمثيل الدبلوماسي لبلاده يستخدمها لتقريب وجهات النظر والتوافق بين مصالح الدول

4. تستخدم كوسيلة لصناعة القرار السياسي وترويج المواقف والسياسات على الساحة الدولية .

5. تعد وسيلة لإثبات الذات الوطنية للدول المستقلة حديثاعبر الممارسات الدبلوماسية المختلفة كالتمثيل الدبلوماسي والإعلام والتفاوض وعقد المعاهدات الدولية .

واشار(هانس مورغنثاو) في كتاباته إلى ان القوة ليست عسكرية فقط، بل تتضمن المبادئ الاخلاقية والقيم التي تمكن الدولة من حشد الدعم الدولي .

كما وقد عرفتها أستاذة مادة التحليل الدفاعي في كلية الدراسات العليا البحرية الأمريكية (**آنا سيمون**) بأنها "الجيل ونمط الرابع من الحروب المستقبل بالنظر إلى تبديل موازين الحروب العسكرية والتقليديه وفشل نمط حرب المدن ونمط مكافحة التمرن وتتميز بأنها تستهدف السيطرة على الناس من خلال الدبلوماسية العامة والاتصالات استراتيجية وعمليات المعلومات وتلاعب بالمفاهيم والمشاعر بعيدا عن احتلال وتدمير المدن ومواجهة المواقع والقواعد العسكرية واستخدام سلاح الجو وغيرها من الأسلحة" .(سيمون،2004)

تقوم دبلوماسية القوة الناعمة على مجموعة من العناصر النظرية التي تشكل إطارها المفاهيم والمعرفة وتشمل الآتي :-(ناي، 2004)

1. البعد المفاهيمي: يقوم على تحديد موقع الدبلوماسية النائمة داخل منظومة القوة الناعمة ويقوم هذا البعد على التميز بين القوة الصلبة الدبلوماسية التقليدية الناعمة

2. البعد القيمي: يركز على الأساس الاخلاقي والمعياري الذي يمنح الدبلوماسية الناعمة مشروعيتها كالعدالة المصداقية والشرعية الدولية .

3. البعد البنيوي: ينظر إلى الدبلوماسية الناعمة في سياقها ألأوسع داخل النظام الدولي، تتأثر بنية العلاقات الدولية وتعكس على التفاعلات الدول مع الرأي العام العالمي .

اما اهم منظرين القوة الناعمة المفكر والبرفسور الامريكي **(جوزيف ناي)** مفهوم القوة الناعمة)soft Powe(في كتابه (حتمية القيادة) عام 1990 ثم طورها أكثر في كتابه (القوة الناعمة وسيلة للنجاح في السياسة الدولية) عام 2006، إذ يرى أن القوة الناعمة هي "القدرة على الحصول على ما تريده من الآخرين عبر الجاذبية والإقناع بدلا من الإكراه ودفع الثمن" كما بين أن القوة الصلبة لم تعد الكافية لوحدها لإدارة الهيمنة والقيادة العالمية عبر نشر الثقافة والقيام وحقوق الإنسان، كذلك أكد على عنصر الجاذبية الذي تعتمد عليه القوة الناعمة، وتعني الأخيرة القدرة على تحقيق الأهداف معينة عن طريق الترغيب والجاذبية لا الإكراه والترهيب، وتعتمد القوة الناعمة على عنصرين أساسيين هما المصداقية الشرعية كقاعدة لها .(ناي،2004)

وتتمثل احدى النقاط المهمة في مفهوم (ناي) هو التأكيد على ان ال(لقوة الناعمة) تعتمد جزئيا فقط على دور الدول عكس (القوة الصلبة) تعتمد على الجهات الفاعلة غير الحكومية والفاعلة في المجتمع المدني، بالمعنى سيكون الفاعل الرئيسي هو القوة الناعمة،

فهي سيكون مسؤولا عنها بصورة مشتركة ولا يمكن للقوة الناعمة ان تتم بدونها فضلا عن مواجهتها، لذا تعتمد القوة الناعمة بشكل كبير على دور المجتمع المدني التي من خلالها يمكن نشرها بشكل اكثر فعالية فأنها قوة غير مباشرة وغير موجهة، قوة لا تسيطر عليها، إذ يستحضر (ناي) (القوة المتقبلة للقوة الناعمة) مما يبين ويؤكد صعوبة توجيهها بطريقة استبدادية .(بوزاني، 2024)

اما مايتعلق بمكانة الثقافة عند ناي الذي يوضح ما يقصده (بالثقافة) ليس من المستغرب انه يركز على الثقافة الشعبية الامريكية من هوليود الى برودواي والموسيقى والسينما والرياضة فهي قلب القوة الناعمة . (بوزاني، 2024)

وتكمن اهمية قوة الدبلوماسية الناعمة على الفاعلية والتأثير ثقافيا الذي لا يملك سلطة سياسية ايضا، ويمكن توضيح اهمية قوة الدبلوماسية الناعمة عبر مدى استفادة بلد ما ممارستها ايضا، كما وضح (جوزيف ناي) الى حد افتراض ان قوة الدبلوماسية الناعمة يمكن ان تكون وسيلة للنجاح في السياسة العالمية ((لقد اصبح العالم معلوم بشكل تزايد مع انخراط بلدان مختلفة في مزيد من التفاعل مع الآخرين، فأن الانترنيت نجعل نشر المعلومات أسهل مما يزيد من مساهمتها في العولمة الجارية، وهذا يمهد الطرف امام البلدان للاستفادة من القوة الناعمة، حيث يمكن للحكومة والمنظمات غير الحكومية على حد سواء، استخدام المنصة للتوسيع الوطني والدبلوماسية العامة، وصياغة صورة معينة تثير الاستجابات على امل اكتساب الاحترام والتأثير الاكثر الاهمية"، فضلا عن ان "القوة الناعمة اصبحت اكثر اهمية في عصر المعلومات، فهي في جزء منها منتج ثانوي اجتماعي واقتصادي وليس مجرد للعمل الحكومي الرسمي)). (بوزاني، 2024)

وعليه نستنتج ان العالم يزداد تعقيد وتشابك اذ لم تعد أدوات الصراع والتأثير في السياسة دولية مختصرة على القوة العسكرية والاقتصادية، بل بروز مفهوم القوة الناعمة التي صاغها الباحث الأمريكي (جوزيف ناي) قدرة الدول على التأثير في سلوك الدول الأخرى عبر الجاذبية الثقافية الدبلوماسية العامة لاسيما بعد الحرب الباردة وانتشار وسائل الإعلام والاتصال وتراجع فاعلية القوة الصلبة وصعود فواعل غير حكوميين، إذا أصبح بالإمكان التأثير على الرأي العام العالمي عبر الصورة والنموذج الثقافي، مما جعل القوة الناعمة تتبوا مكانة متقدمة ضمن استراتيجيات السياسة الخارجية للدول ولم يكن هذا الصعود نظريا فحسب بل تجسيد سلوك الدول الكبرى، ولكن هذا لا يعني إلغاء القوة الصلبة أو نهايتها بل يعكس تحولا في طبيعة النفوذ والتأثير فدوى باتت تحتاج إلى جمع ما بين الأداتين الناعمة والصلبة وما يسمى اليوم بالقوة الذكية توازن ما بين الإقناع والردع، وما بين الثقافة والسلاح .

المحور الثاني: ادوات الدبلوماسية الناعمة وآليات التأثير

تعد أدوات التأثير الركيزة الأساس في ممارسة القوة الدبلوماسية الناعمة، إذ تعبّر عن الوسائل والآليات التي تمكّن الدول من توظيف مواردها المعنوية والثقافية لتحقيق أهداف سياستها الخارجية دون اللجوء إلى القوة أو الإكراه، فمع التحولات المتسارعة في النظام العالمي لم تعد أدوات التأثير مقتصرة على الوسائل التقليدية المرتبطة بالإعلام والتعليم والتبادل الفكري والثقافة، بل شهدت تطوراً نوعياً تمثّل في بروز وسائل حديثة فرضتها الثورة الرقمية والتطور التكنولوجي كالدبلوماسية الرقمية ومنصات التواصل الاجتماعي، التي أصبحت اليوم جزءاً أساسياً من أدوات القوة الناعمة للدول.

ويمثل الانتقال لهذه الأدوات منالتقليدية إلى الأدوات الحديثة تحوّلاً بنيوياً يعكس طبيعة التغير في بنية العلاقات الدولية، إذ لم يعد التأثير المعرفي والثقافي حكراً على قنوات رسمية محددة، بل باتت الدبلوماسية الرقمية ومجالات التواصل الشبكي ساحة رئيسة لتشكيل الرأي العام العالمي وتوجيهه، ومن هنا تتضح أهمية فهم أدوات الدبلوماسية الناعمة باعتبارها منظومة متكاملة من

الوسائل التقليدية والحديثة التي تمكّن الدول من تعزيز مصالحها وصورتها على الساحة الدولية عبر التأثير والإقناع بدلاً من الإكراه أو استخدام القوة الصلبة

أولًا: الأدوات التقليدية في التأثير الدبلوماسي الناعم

1. **الإعلام والدعاية:** تعد من الأبرز الأدوات التقليدية بمختلف وسائطه من صحافة واذاعة وتلفزيون للقوة المستخدمة للرموز الإعلامية كاداوات اتصالية لمساندة القرار السياسي وتحقيق أهداف الدولة وسياستها الخارجية وتستخدم هذه الأعداد لخلق مناخ فكري ونفسي في البيئة الخارجية وخلق قناعات مسبقة وتغيير القناعات عبر التأثير بالأفكار وتوجيهات الآخرين حول القضية أو موضوع ما كما تستخدم هذه الوسيلة لمواجهة البيئة الخارجية والرأي العامة الذي يكون موجه إلى بيئة أخرى للتأثير على الجمهور كنوع من الدعاية وأن الدعاية هي نشاط اتصالي تقوم به الدولة لأجل تبني هدف تر تغيب تسويق أو الترويج سياسة ترغب بتنفيذها لتحقيق أهداف الدولة والسياسة الخارجية، إذ ذكر (هارلد لاسويل) "أن الهدف من الدعايه هي تعبئة الكراهية ضد العدو والحفاظ على تحالف الأصدقاء والمحافظة على صداقة الدول المجاورة والتعاون لكسر وتحطيم الروح المعنوية للعدو وخل رأيي عام مخالف ومجير للرأي العام الداخلي يعمل لخدمته" (العال، 2017)، فعلى سبيل المثال تمارس الولايات المتحدة الأمريكية الوسائل الإعلامية دورا مهما في تحقيق سياسة الخارجية كأداة وسيلة لنشر القيم والمفاهيم الأمريكية وترويج المعلومات، كما هو أن تطور الإعلام وشبكات التواصل في البيت الأبيض له صدى واسع لتوظيف الدعاية في سياسة الخارجية والتأثير القوي في عقول وأفكار الجماهير لما يحمله من تاثير في عواطفهم . (فهمي،2009)

2. **الثقافة والفنون:** تعد الثقافة والفنون من اكثر ادوات الدبلوماسية الناعمة تاثيرا في العلاقات الدولية، إذ تسهم في تشكيل صورة الدولة عبر ما تحمله من قيم جمالية ومعرفية تعبّر عن هوية المجتمع وتاريخه وحضارته، فالثقافة ليست مجرد مظهر من مظاهر الإبداع، بل تمثل وسيلة استراتيجية لتقريب الشعوب وتعزيز التفاهم المتبادل وتبادل الخبرات الإنسانية بين الأمم، وقد أدركت العديد من الدول أهمية الدور الثقافي في تشكّل لغة إنسانية مشتركة تتجاوز الحدود الجغرافية والسياسية، كما وتيح للدول التعبير عن هويتها الحضارية بطريقة جاذبة وغير صدامية، إذ اعتمدت على الأدوات الثقافية كالافلام والأدب والفن والموسيقى والمهرجانات والمعارض والمراكز الثقافية والفنية غيرها، لتكون وسائط فاعلة في تعزيز الحوار بين الثقافات وإعادة صياغة الصورة الذهنية للدولة على نحو إيجابي، وتكمن قوة الدبلوماسية الثقافية في قدرتها على التأثير غير المباشر في الشعوب عبر الإقناع والاقتراب الوجداني بعيداً عن أدوات الضغط أو الإكراه السياسي، وكذلك الفنون التي تحضى بأهمية كبيرة من خلال قدرتها على اختراق الحواجز النفسية والسياسية، وإعادة تعريف صورة الدولة بعيدًا عن الصور النمطية أو الحملات السلبية، لتصبح الثقافة بمثابة جسر ناعم يمكّن الدولة من ممارسة نفوذها بوسائل غير مباشرة وفعّالة. (الخالدي، 2019)

أما المؤسسات والمراكز الثقافية تعد من ابرز الكيانات التي تسهم في ترسيخ منظومة الدبلوماسية الثقافية الناعمة،، إذ تمثل حضورًا رسميًا ناعمًا للدولة في المجال العام للدول، فهذه المؤسسات (كمعاهد غوته الألمانية، والمجلس الثقافي البريطاني، والمعهد الفرنسي، لا تكتفي بتدريس اللغة، بل تسعى إلى نقل منظومة القيم الثقافية والحضارية المرتبطة بها، وتعمل هذه المراكز عبر الأنشطة الثقافية والمعارض والمحاضرات على خلق بيئة تفاعلية تُشعر المتلقي بقرب ثقافي وإنساني من الدولة المرسلة، وبهذا تمارس هذه المؤسسات تأثيرها من خلال التراكم البطيء للعلاقات الثقافية والرمزية التي تبني الثقة والمودة بين الشعوب، وهو تأثير قد يفوق في استدامته تأثير الحملات الإعلامية السريعة. (عبد المجيد، 2021)

وعليه ان نجاح الدول في توظيف قوتها الناعمة الثقافية يعتمد على مدى قدرتها على بناء نموذج ثقافي جذّاب يستند إلى الأصالة والتجدد في آنٍ واحد، كما يعكس في الوقت ذاته قيمها الوطنية ورؤيتها الإنسانية عبر الثقافة لتصبح وسيلة لتعزيز مكانة الدولة وصورتها الإيجابية في النظام الدولي في ظل تزايد التنافس الدولي على التأثير في المجال الثقافي والإعلامي، وكذلك يلاحظ عند استخدام الفنون كأداة للدبلوماسية لتعزيز العلاقات الدولية التي تشتمل الدبلوماسية الثقافية على التبادل الثقافي للعروض الفنية والأنشطة الثقافية المختلفة، وقد تكون قوة بعض البلدان نتاجاً لثقافتها ورموزها الفنية وتراثها العريق، التي تجعل منها مزاراً سياحيّاً ووجهة اقتصادية واستثمارية، فإن مصر بما تحويه من معالم أثرية تاريخية ضاربة في القِدم، ومناطق وفنون تراثية عريقة، قد نجحت أن تصبح واجهة سياحية معروفة على مستوى العالم، كذلك برزت قوة كوريا الجنوبية الناعمة نتيجة لبروز فنونها الأدائية المعاصرة وانتشار الكي بوب عالميّاً بما حفز لتجربة الثقافة الكورية الفريدة من نوعها والتعرف عليها .(الامر،2025)

3. **التعليم والتبادل الفكري:** يحتل التعليم والتبادل الفكري موقعًا متميزًا بين أدوات القوة الناعمة، لما يمثله من استثمار بعيد المدى في بناء رأس مال بشري وفكري يربط الدولة المضيفة بالعقول الأجنبية، فبرامج المنح الدراسية، والتبادل الطلابي، والزمالات، تتيح للدول توسيع دوائر نفوذها عبر تكوين نخب فكرية وسياسية وثقافية تتأثر بقيمها ونظامها المعرفي، إنّ هذه العملية لا تقتصر على نقل المعرفة، بل تُحدث نوعًا من التماهي الثقافي والإدراكي الذي يجعل الخريجين سفراء غير رسميين لتلك الدول في مجتمعاتهم الأصلية، كما يسهم التعليم في نشر اللغة الوطنية وتعميم أنماط التفكير المرتبطة بها، وهو ما يعزز المكانة الثقافية والسياسية للدولة في المدى الطويل. وغالبًا ما تُقاس فعالية هذا النوع من الدبلوماسية عبر استمرارية العلاقات الأكاديمية، وتحوّل الخريجين إلى قنوات تواصل دائمة بين المجتمعات، مما يجعل التعليم أداة استراتيجية لبناء النفوذ الهادئ والمستدام.

4. **الدبلوماسية العامة والمساعدات الإنسانية:** تعد الدبلوماسية العامة والمساعدات الإنسانية شكلين متكاملين من أدوات القوة الناعمة، إذ تمكّنان الدولة من التواصل المباشر مع المجتمعات الأجنبية وإظهار عملها الإنساني، فالمبادرات التنموية، وبرامج الإغاثة، والمساعدات الطبية والتعليمية، تخلق بيئة من التعاطف والتعاون تُترجم سياسيًا في زيادة القبول الشعبي وتحسين السمعة الدولية، كما تتيح الدبلوماسية العامة للدول عرض مواقفها وسياساتها بطريقة شفافة ومقنعة، بعيدًا عن الوساطة الإعلامية أو التشويه، ما يعزز قدرتها على بناء الثقة والتفاهم المتبادل وتتحول هذه الجهود إلى رأس مال رمزي يُسهم في ترسيخ النفوذ المعنوي للدولة في مناطق مختلفة من العالم.

ثانيًا: الأدوات الحديثة في التأثير الدبلوماسي الناعم

1- **الدبلوماسية الرقمية:** تعد الدبلوماسية الرقمية شكلا من أشكال الدبلوماسية الحديثة التي ظهرت في عصر التكنولوجيا والابتكارات المعرفية القائمة على تواصل الدبلوماسية عبر شبكات المعلومات الدولية (مجيد، 2014)، فـالدبلوماسية الرقمية امتدادًا حديثًا للدبلوماسية التقليدية، لكنها تعمل في بيئة رقمية مفتوحة ومتغيرة باستمرار، فقد باتت السفارات والبعثات الدبلوماسية تعتمد المنصات الإلكترونية كقنوات اتصال أساسية للتواصل مع الجمهور وتوضيح المواقف الرسمية، بل وإدارة الأزمات الإعلامية وتمكّن هذه الأداة الدول من بناء حضور نشط ومباشر في الفضاء الافتراضي، مما يعزز الشفافية ويكسر الطابع المغلق الذي طغى على العمل الدبلوماسي سابقا، كما وتتميز الدبلوماسية الرقمية بقدرتها على الوصول إلى فئات كانت سابقًا بعيدة عن دوائر الاتصال الدبلوماسي، مثل الشباب والمجتمع المدني، مما يمنحها بعدًا ديمقراطيًا وتفاعليًا يضاعف من قوتها الناعمة، ومع ذلك، تبقى فعاليتها مشروطة بالحسّ المهني، وحماية الأمن السيبراني، وضبط الخطاب بما يوازن بين الرسمية والجاذبية، كذلك استخدام الاعلام الرقمي مع تزايد التأثير الثقافي والإعلامي، فـأصبحت الدول تدرك أهمية إنتاج محتوى رقمي بلغات متعددة

للوصول إلى جماهير جديدة، كإطلاق قنوات ومواقع إلكترونية بعدة لغات يُعد أحد أساليب تعزيز الحضور الدولي للدولة وتوسيع نفوذها الإعلامي، (عنان، 2024) فعلى سبيل المثال تبث شبكة "روسيا اليوم (RT)" و"الجزيرة" محتواها بلغات متعددة، ما يجعلها قادرة على التأثير في الرأي العام في افريقيا وأوروبا وأمريكا اللاتينية، كما اعتمدت الصين إستراتيجية إعلامية مشابهة عبر شبكة CGTN لتقديم روايتها عن الأحداث العالمية بأسلوب يجمع بين المهنية والترويج السياسي.

2- **الدبلوماسية الشبكية والتبادل الافتراضي**: فقد وظفت الدبلوماسية الشبكية والتبادل الافتراضي في اعادة صياغة مفهوم التواصل العالمي عبر إنشاء فضاءات افتراضية تجمع الأفراد والمؤسسات عبر الإنترنت لتبادل الأفكار والخبرات، فالمؤتمرات الرقمية والندوات الافتراضية ومشاريع التبادل الأكاديمي الإلكتروني أصبحت اليوم منصات لبناء التفاهم وتعزيز الروابط بين الشعوب دون الحاجة إلى التنقل المادي، وتبرز أهميتها في قدرتها على تجاوز القيود الجغرافية والبيروقراطية، وتوسيع دوائر المشاركة، وتمكين الحوار بين الثقافات بطريقة أكثر شمولية ومرونة، وعليه أصبحت العلاقات الدولية اليوم لا تُبنى فقط عبر القنوات الرسمية، بل أيضًا عبر الشبكات الافتراضية التي تشكل بيئة جديدة لتفعيل التأثير الناعم وتوسيع نطاقه .

3- وسائل التواصل الاجتماعي: تمثل وسائل التواصل الاجتماعي أحد أبرز الأدوات الحديثة التي أحدثت نقلة نوعية في مجال الاتصال والتأثير في العالم المعاصر، إذ غيرت من موازين التأثير في النظام العالمي عبر قدرتها على الوصول السريع إلى الجمهور، وتجاوز القيود المكانية والزمنية، مما جعلها منصات فعالة للدبلوماسية الرقمية التي تمارسها الدول والمؤسسات دون وسطاء، وعبر الحملات الرقمية والمحتوى الإعلامي الموجَّه، أصبحت هذه الوسائل قادرة على تشكيل الرأي العام العالمي وصياغة التصورات الذهنية للأفراد عبر تفاعل دائم مع الأحداث المحلية والعالمية، لقد مكّنت المنصات الرقمية الدول من استهداف شرائح محددة من الجمهور وفق خصائصهم الفكرية والاجتماعية، إلا أنّ هذا الفضاء الرقمي يحمل في طياته تهديدات متزايدة من أبرزها: التضليل المعلوماتي والادمان اليومي للساعات طويلة مما يؤدي لانسلاخ الفرد عن محيطه، والتعدي على الحق في الخصوصية لمستخدميها ببيع معطياتهم ذات الطابع الشخصي، وتشويه الصورة العامة عبر المحتوى الزائف أو الحملات الموجهة، التي تجمع بين سرعة الانتشار وجاذبية الصورة وفقدان المصداقية، لذلك، فإنّ إدارة هذا الفضاء تتطلب وعيًا استراتيجيًا قادرًا على التمييز بين المعلومة الموثوقة والدعاية المقنّعة، لما له من تأثير وعي المجتمعات وصياغة مواقفها، إنّ وسائل التواصل الاجتماعي(الفيس بوك، والتيك توك، والانستغرام، ..) لم تعد مجرّد أدوات ترفيه أو تفاعل اجتماعي، بل تحولت إلى قنوات للتأثير السياسي والثقافي والفكري وتسهم في نشر الأفكار والرموز والقيم التي تعبّر عن مصالح الدول وأيديولوجياتها، وتؤثر بعمق في البنية الفكرية للمجتمعات المستهدفة . (العيسوي،2020)

2- **الذكاء الاصطناعي**: يعد الذكاء الاصطناعي وتحليل البيانات احد أبرز التحولات الحديثة في أدوات الدبلوماسية الناعمة، إذ أصبحت الدول توظف تقنيات معالجة المعلومات الضخمة لفهم توجهات الرأي العام العالمي ورصد الاتجاهات الفكرية والسلوكية للمجتمعات المستهدفة، إذ انها تتيح للدول صياغة رسائلها الإعلامية والثقافية بدقة عالية عبر تحليل المنشورات والتفاعلات الرقمية لتحديد أكثر القضايا حساسية وتأثيرًا في الجماهير، وعليه لم يعد الخطاب الدبلوماسي يُوجَّه عشوائيًا، بل أصبح يعتمد على الاستهداف الذكي الذي يربط بين طبيعة الجمهور ومضمون الرسالة، وقد بدأت دول كبرى كالولايات المتحدة والمملكة المتحدة، في توظيف الذكاء الاصطناعي ضمن وزارات الخارجية لتحليل أنماط التواصل والتفاعل مع منشوراتها الرسمية على المنصات الرقمية، فضلًا عن تطوير أدوات لتقييم "درجة الثقة" في الرسائل الدبلوماسية، كما استخدمت الصين هذه التكنولوجيا ضمن ما يُعرف بـ "الدبلوماسية الخوارزمية"، عبر تحليل المزاج العالمي تجاه سياساتها

الثقافية والاقتصادية وإعادة صياغة محتواها الإعلامي بما يتلاءم مع ردود الفعل الدولية، إنّ هذا النوع من الأدوات لا يقتصر على الرصد والتحليل فحسب، بل يمتد إلى توليد المحتوى الدبلوماسي ذاته نصًا وصورةً وفيديو بما يعزّز كفاءة الخطاب الناعم ويزيد من قدرته على التفاعل مع مجتمعات مختلفة ثقافيًا، ومع ذلك، تطرح هذه الأداة تحديات أخلاقية معقّدة تتعلق بالخصوصية والمصداقية واحتمال التلاعب بالمعلومات، مما يستدعي وضع أطر قانونية وأخلاقية توازن بين الابتكار التقني والحفاظ على القيم الإنسانية في الممارسة الدبلوماسية. (ابو فرحة، 2024)

3- **الأمن السيبراني**:، يعد الأمن السيبراني ومكافحة التضليل المعلوماتي جزء أساسي من منظومة الدبلوماسية الناعمة الحديثة، إذ ان الحفاظ على مصداقية الخطاب الرسمي وحماية الصورة الوطنية من الأخبار الكاذبة أو الحملات الموجهة أصبح من أولويات السياسة الخارجية للدول، إذ إنّ السيطرة على الفضاء المعلوماتي لم تعد مسألة تقنية فحسب، بل هي مسألة تتعلق بالهيبة الدولية والقدرة على إدارة الرأي العام، إذ أطلقت استراليا وكندا برامج وطنية للتربية الإعلامية تهدف إلى تعزيز الوعي الجماهيري بمخاطر الأخبار المزيفة التي قد تستغلها جهات أجنبية لتشويه صورة الدولة، وفي المقابل أصبحت بعض القوى الكبرى، مثل الصين وروسيا توظف الأمن السيبراني كأداة مزدوجة: دفاعية لحماية صورتها، وهجومية لإدارة حملات إعلامية موجهة نحو خصومها، وعليه تحولت السيطرة على الفضاء المعلوماتي إلى بعد استراتيجي في القوة الناعمة، إذ إن حماية الخطاب الموثوق وصيانته من التشويه أصبح شكلًا جديدًا من الدبلوماسية الوقائية التي تحمي سمعة الدولة وتضمن استمرار نفوذها الرمزي.

4- **الدبلوماسية الرياضية**: في العقود الأخيرة اصبحت الرياضية ساحة خصبة لتفعيل الدبلوماسية الناعمة الحديثة، لما تمتلكه من قدرة على الجمع بين الشعوب وتعزيز التواصل الثقافي بعيدًا عن السياسة المباشرة. فاستضافة البطولات العالمية مثل كأس العالم أو الألعاب الأولمبية لم تعد مجرد حدث رياضي، بل أصبحت منصة لعرض القوة التنظيمية والاقتصادية والثقافية للدول أمام الرأي العام العالمي، فعلى سبيل المثال استخدمت اليابان أولمبياد طوكيو عام 2021 لتأكيد التزامها بالتنمية المستدامة والابتكار، وقد مثّل تنظيم دولة قطر لكأس العالم عام 2022 نموذجًا واضحًا لتوظيف الرياضة كأداة دبلوماسية ناعمة التي نجحت في تقديم صورة حضارية عن العالم العربي، والترويج لقيم التسامح والانفتاح الثقافي عبر حدث رياضي عالمي، كذلك توظف بريطانيا وفرنسا الرياضة كأساس للتواصل الثقافي عبر برامج تبادل شبابي ورياضي، وعليه فإنّ قوة الدبلوماسية الرياضية تكمن في طبيعتها الشعبية والوجدانية، فهي تخاطب العاطفة الجماعية وتبني روابط قائمة على الاحترام المتبادل، لكنها في الوقت نفسه تتطلب إدارة دقيقة للرسائل المصاحبة حتى لا تنقلب المناسبة إلى ساحة توتر أو جدل سياسي .(ابو فرحة، 2024)

وعليه، يتضح من خلال استعراض الأدوات التقليدية والحديثة أنّ الدبلوماسية الناعمة لم تعد مقتصرة على الوسائل الثقافية والإعلامية الكلاسيكية، بل أصبحت منظومة متكاملة تجمع بين التكنولوجيا والثقافة، والمعلومات في شبكة من التأثيرات المتبادلة، فالتحول من الإعلام الموجّه إلى التواصل التفاعلي، ومن التعليم الحضوري إلى الشبكات الافتراضية، ومن الصورة الرسمية إلى الرموز الرقمية، يعكس انتقال القوة الناعمة من المجال المؤسسي إلى المجال المجتمعي والشبكي، وعليه فإنّ نجاح أي دولة في هذا المجال يعتمد على قدرتها على الدمج الذكي بين الأدوات التقليدية والحديثة، وتوظيفها في إطار سردية موحّدة تعزز من حضورها الإقناعي والرمزي في النظام الدولي المعاصر.

المحور الثالث: التجارب التطبيقية للدبلوماسية الناعمة: نماذج مختارة

يشهد النظام الدولي المعاصر تزايداً في اهمية ادوات قوة الدبلوماسية الناعمة باعتبارها ركيزة مكملة للقوة الصلبة، ومجالاً رئيساً تتنافس الدول لتعزيز حضورها على الساحة الدولية، وقد بزرت في هذا السياق نماذج متعددة لكيفية توظيف هذه الادوات في سياقات مختلفة، ومنها النموذج الصيني والنموذج الجنوب الافريقي على المستويين الاقليمي والدولي مثالين بارزين في توظيف ادوات القوة الدبلوماسية الناعمة بطريقة مختلفة، فالصين قد اعتمدت على ادواتها التنموية عبر مبادرات استراتيجية عابرة للحدود مثل "الحزام والطريق" إلى جانب تعزيز وجودها وحضورها الحضاري والثقافي عبر معاهد (كونفوشيوس)، اما جنوب افريقيا قدمت نموذجا مختلفا يسند إلى فلسفة "الاوبونتو"، وتوظيفها في بناء مكانة اقليمية ودولية، وعليه سيتم تناول هذين النموذجين بشكل مفصل وتوضيح كيفية توظيف الموارد الثقافية والتاريخية لتحقيق مكاسب استراتيجية في العلاقات الدولية كالاتي:-

اولا:- الصين

تعد الصين من اقدم الحضارات الانسانية واكثرها تأثيرا، حيث تمتد جذورها التاريخية لما يزيد عن خمسة الآف عام، إذ شكل هذا الارث العريق مصدراً مهما لهويتها الثقافية، واحياء مكانتها الدولية منذ اواخر السبعينيات القرن العشرين في ظل سياسة الاصلاح والانفتاح التي قادها الرئيس "دينغ شياو بينغ"، وعليه شهدت الصين صعودا متسارعا جعلها ثاني اكبر قوة اقتصادية دولية التي لا يمكن تجاهلها في صياغة موازين القوى والنظام العالمي، لكن هذا الصعود لم يقتصر على القوة الصلبة المتمثلة بالقوة الاقتصاد والجيش، بل ادراك لأهمية القوة الناعمة باعتبارها اداة استراتيجية لتوسيع نفوذ الصين عالميا .

ويقوم النموذج الصيني في دبلوماسيته الناعمة على الدمج بين البعد التاريخي والحضاري من جهة، وبين التجربة التنموية والاقتصادية من جهة اخرى، اذ تسعى الصين إلى ابراز ثقافتها وحضارتها كرافعة لهويتها العالمية، وفي الوقت ذاته تستثمر في نجاحها التنموي والاقتصادي لتقديم نفسها كبديل للنموذج الغربي، ويظهر هذا التوجه بوضوح في المبادئ التي تروج لها السياسة الخارجية الصينية المتضمنة "عدم التدخل في الشؤون الداخلية" و "المنفعة المتبادلة" وهي مبادى تجعلها اكثر قبولا لدى العديد من دول الجنوب العالمي مقارنة بالقوى الامريكية والاوروبية . (Li، 2009)

كما تتجلي خصوصية النموذج الصيني في القوة الناعمة في كونه لا يركز على تصدير منظومة إيديولوجية عالمية كما فعل الاتحاد السبع سابقا أو كما تفعل الولايات المتحدة عبر القيم الليبرالية بل يقدم نفسه كقوة ناعمة تنموية ثقافية تستند إلى نجاح اقتصادي متسارع وارث حضاري طويل هذا المسج بين الحداثة والتنمية من جهة وبين جذور الثقافية والتاريخية من جهة أخرى جعل من التجربة الصينية حالة متميزة في دراسة القوة الناعمة المعاصرة، ومع ذلك يواجه هذا النموذج مجموعة من التحديات التي قد تحد من فاعليته مثل الانتقادات الغربية المستمرة لملفات حقوق الإنسان في الداخل الصيني، والتنافس الجيوسياسي مع الولايات المتحدة يجعل أدوات الصين الناعمة محل تشكيك دائم في بعض البيئات الدولية، لكن رغم هذه التحديات يبقى النموذج الصيني في القوة الناعمة تجربة ذات دلالات عميقة لأنه يكشف عن مسعى الصين إلى تقديم بديل عملي للنظام الدولي المتركز حول الغرب عبر خطاب قوامه تنمية مشتركة والتكامل الحضاري ومن هنا فإنه فهم هذا النموذج ضروري لتحليل طبيعة التحولات الجارية في النظام الدولي ودور القوة الناعمة في رسم ملامح القرن الحادي والعشرين . (بوراني، 2009)

واصبحت الدبلوماسية الصينية على المستوى الدولي نقطة ساخنة تحظى دائما باهتمام كبيرا من المجتمع الدولي، إذ زادت رغبة وطلب المجتمع الدولي لمعرفة السياسات الدبلوماسية الصينية بشكل عميق، كما ارتفعت حماسة المواطنين الصينيين لمتابعة الشؤون

الدبلوماسية والمشاركة فيها باستمرار مع تطبيق مفهوم التنمية الذي طرحه حزب الشيوع الصيني، إذا تتجسد نظرية الدبلوماسية من أجل الشعب ووضع الإنسان في المقام الأول عبر الأعمال الدبلوماسية على نحو أوضح، كما وأن الدبلوماسية الناعمة تعني أن تقدم الحكومة بمشاركة بمختلف الأوسط الاجتماعية الحالة الوطنية وطرق التنمية الشاملة والسياسات الخارجية إلى الشعوب الأجنبية عبر وسائل الإعلام والنشاطات التي تقوم بها السفارات والقنصليات وغيرها من أدوات السياسة الخارجية الصيني إذ أنها تطبيق الدبلوماسية العامة في الولايات المتحدة والدول الغربية ومع تعمق اتصالات الصين مع العالم الخارجي في السنوات الاخيرة أصبحت موضوعا جديدا من الابتكار وبناء دبلوماسية صينية عامة فاعلة مؤثرة .

ووفقا لجوزيف ناي الصين ومن أجل أن تتحقق أهداف الدبلوماسية العامة لابد التركيز على مصادر قوتها الناعمة والتي أوجها الإجماع الوطن الصيني وتنمية سياسية والطبع السلمي لسياسة الخارجية الحضارة الصينية، فضلا عن الاستثمارات الخارجية العملاقة في مختلف قارات العالم والمساعدات الإنسانية ودعم جهود الأمم المتحدة في المجالات الإنسانية و الإغاثة والتي تمثل جزءا فعالا من قوتها الناعمة فضلا عن مشاركتها في المنظمات الإقليمية وتطبيقها جيد لسياسات حسن الجوار، كذلك تحرص الصين على خطب ود الحكومات في آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية عبر منحها القروض وتقديم المساعدات، إذ قامت في هذا الصدد بتخصيص مبلغ $20,000,000,000 من المساعدات لتمويل مشروعات في البلدان الأفريقية وفي هذا سياق عملت على رسم صورة ذهنية محبب لها في الخارج تسعة ملامح أنها دولة محب للسلام وضحي للبري اشتراكية الهيمنة من العالم الثالث مساندة لحركات التحرر مستقلة وقويه متعاونة .(بوزاني، 2009)

وعليه فقد اعتمدت الصين على مجموعة من الآليات لتوظيف الدبلوماسية الناعمة التي تتسم بالعدد والتكامل لأنها لا تقتصر على بو ثقافي أو إعلامي بل تمتد لتشمل التنمية والاقتصاد والتعليم والسياسة ويمكن توضيحها كالآتي: (Lu & Lai، 2012)

1- **الآلية الثقافية والتعليمية** التي تتجسد في نشر اللغة والثقافة الصينية عبر معاهد الكونفوشيوس التي تحولت إلى منصة التبادل الحضاري وتعريف المجتمعات الأخرى بالفكر Confusionوالفنون الصينية التقليدية والمعاصرة هذه المعاهد أسست يشبه جسور ثقافية جعلت من الثقافة الصينية عنصرا جذب متنامي عالميا، كما وتمثلت في سياسة المنح الدراسية التي تقدمها الصين لآلاف الطلاب الأجانب سنويا، فضلا عن توقيع اتفاقيات للتعاون الجامعي والبحث مع مؤسسات أكاديمية عالمية وهذا يعكس إدراك الصين بأن النخب الأكاديمية والطلاب الأجانب الذين يدرسون في الجامعات يشكلون لاحقا أدوات لنشر رؤيتها وتعزيز صورتها في بلدانهم

2- **الآلية الإعلامية والدبلوماسية العامة** إذ استثمرت الصين في مؤسسات إعلامية دولية مثل وكالة شينخوا وقناة CGTN وصحف بعدة لغات بغية تقديم رؤية صينية مغايرة عن القضايا الدولية لاسيما في مواجهة السردية الغربية وقد اعتمدت ذلك بحملات دبلوماسية عامة تنظمها السفارات الصينية عبر الفعاليات الثقافية والفنية والمعارض، تشكل وسائل الإعلام الصينية واحدة من الأدوات الرئيسية لترويج الصين لنفسها العالم الخارجي وتوجد هنالك أربع وسائل الإعلام رئيسية في الصين هي china Radio international، china central Television , the xinhua china Daily xinhua, news Agency أكبر مؤسسة إعلامية في الصين ولها أكثر من 40 مكتب رئيسي ومئة وثلاثين مكتب فرعي حول العالم بدأت هذه المؤسسة الإعلامية بخدمات الوسائط المتعددة في عام 2008 وفي عام 2009 بدأت البيت باللغة الإنجليزية فضلا عن ذلك بدأت China. Xinhua News وبث الإعلامي في عام 2010 لتشمل كل قارات العالم بهدف التعريف بالصين ثقافيا وسياسي واقتصاديا كذلك اخذ التلفزيون المركزي الصيني التحول من البث الوطني إلى البث العالمي المعروفccTv-9 والتي

تبث على مدار 24 ساعة باللغة الإنجليزية تبلغ عدد متابعين اكثر من 85,000,000 مشاهد في اكثر من 100 دولة وبعد ذلك اخذ البث باللغة الروسية والإسبانية والعربية بثتها مناطق الشرق الأوسط وآسيا الباسفيك .

3- **الآلية الاقتصادية والتنموية** اعتمدت بكين على الاقتصاد والتنمية كأداة رئيسية لتوسيع نطاق نفوذها الناعم يتشكل مبادرة الحزام والطريق نقطة تحول في الدبلوماسية الصينية الناعمة فالمبادرة لا تقدم استثمارات فقط، بل تخلق شبكات من الاعتماد المتبادل والعلاقات طويلة الأمد وهو ما يعزز صورة الصين كشريك تنموي موثوق . تبنت الصين عددا من عناصر القوة الناعمة في سياسة الخارجية تصعد السلمي والتنمية الاقتصادية والتي مثلت أهم أوجه خطابها السياسي الخارجي إذا أصبحت قوة صاعد في وقت قصير وقد مثل ذلك استياء من قبل جوارها لتقوية نفسها على حسابهم مما ساهم في إجبار حكومات الدول على الاستفادة من تجربة التنمية السلمية الصينية التي تحولت فيما بعد إلى نظرية تتمتع جذب واقتصادي مؤثر وفحو هذه النظرية هي أولا أن التنمية السلمية هي الطريقة الاكيد لتحديث الصين اثنين أن استمرار تحديث الصيني يساهم في تطوير السلام العالمي عبر خلق بيئة عالمية سنية ثلاثة تستند الصين في تنميتها على قدرته ذاتية وتطوير التكنولوجيا أربعة تسعة الصين إلى التكيف مع العولمة الاقتصادية من أجل خلق المنفعة المتبادلة والتنمية المشتركة مع الدول الأخرى خمسة التمسك بمبادئ التعاون والسلامة والتنمية وسعي بناء علم متناغ Çeşme يسود الرخاء والسلام الدائم ستة تسعة الصين في سها الخارجية إلى خلق بيئة آمنة وتجنب الصراعات والنزاعات والانفتاح على العالم، تسعى إلى لعب دورا إيجابيا في آسيا من أجل تجنب النظر إليها باعتبارها تهديدا فضلا عن إقامة شركات دولية مع الولايات المتحدة الأمريكية على المستوى العالمي وإنشاء إلى قاص استراتيجية ومع روسيا والاتحاد الأوروبي واليابان والسي Epic ومنظمة شنغهاي للتعاون الاقتصادي فضلا عن التعاون مع المنظمات الإقليمية لحل مشاكل وإيجاد الحلول ل خلق تصور إيجابي عن سياسة الخارجية الطابع السلمي الفاعل .

4- **الآلية السياسية القيمية** لا يمكن اغفال هذه الآلية التي تقوم على الترويج لمبادئ السياسة الخارجية الصينية كاحترام سيادة الوطنية، والتعاون القائم على المنفعة المتبادلة، وعدم التدخل في شؤون الداخلية، هذه المبادئ جعلت العديد من الدول النامية تنظر إلى الصين بوصفها بديلا أكثر تقبل من القوة الغربية التي غالبا ما تقرأ المساعدات وشركات بشروط سياسية واقتصادية، كما قامت الصين بعلاقات شراكة مع دول الكبرى الرئيسية باشكال مختلفة تعمل على توسيع قواسم المصالح المشتركة ومعالجة الخلافات بصورة سلمية بما يصون ويدعم السلام والاستقرار في العالم وإنها العلاقات الأمريكية في في الحالة المستقرة والمتطورة يحافظ الجانبان على الحوار والتواصل المكثف على مختلف المستويات من ما يزيد التفاهم وثقة المتبادلة كما بيتنا الحوار والتعاون بين البلدين في مجال الاقتصاد والعلوم والتكنولوجيا ومكافحة الإرهاب ومنع الانتشار والأمن القومي الأمر الذي يصف في خانة المصالح المشتركة الجانبين وكذلك علاقة اشتراك وتعاون مع ك مع روسيا في صد التعمق المستمر تحافظ قيادتها البلدين على الاتصالات المكثفة وهنالك ثقة متبادلة واحترام وتعاون على أساس المنفعة المتبادلة في المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية والط كذلك يقوم الطرفان بالتنسيق والتعاون بصورة وثيقة في القضايا الدولية والاقتصادية الإقليمية ويعملون على تدعيم وتعدد الأطراف الديمقراطية العلاقات الدولية .

5- **الآلية التكنولوجية والعلمية** برزت هذه الآلية كأداة جديدة للقوة الناعمة الصينية حيث ماتت الصين تقدم نفسها كقوة رائدة في مجالات الذكاء الاصطناعي وشبكات الجيل الخامس G5وال الابتكارات التكنولوجية وهذا يعزز صورتها كقوة حديثة قادرة على قيادة المستقبل التكنولوجي مما يزيد من جاذبيتها الدولية.

ثانيا: جنوب افريقيا

تعد القارة الافريقية واحدة من أكثر المناطق تعقيدًا وتنوعًا في المشهد العالمي للقوة الناعمة، إذ جمعت بين إمكانات ثقافية واقتصادية كبيرة من جهة، وتحديات سياسية وأمنية واجتماعية من جهة أخرى، إذ يتضح أن دول المنطقة لم تتمكن بعد من ترجمة مواردها الثقافية والرمزية إلى نفوذ عالمي متماسك، على الرغم من تزايد الاهتمام الدولي بها سواء في مجالات الطاقة أو الاستثمار ، وعليه فأن الفجوة بين الموارد الكامنة وصورة المنطقة عالميًا لا تزال قائمة، وهو ما يستدعي استراتيجيات أكثر وضوحًا في الدبلوماسية العامة والترويج الثقافي والإعلامي لكي تتمكن هذه الدول من تحسين موقعها في المؤشر، لكن هذا لا يعني لا توجد دول حققت تناميا وضوحا في توظيف القوة الناعمة ومن ابرز النماذج في القارة الافريقية هي **جنوب افريقيا** إذ مثلت نموذجًا مهمًا في كيفية توظيف الإرث التاريخي والمعاناة السابقة كأداة قوة ناعمة، إذ عملت على إبراز جنوب افريقيا كدولة تجاوزت الانقسام الداخلي ليصبح رمزًا للتعايش السلمي والديمقراطية الناشئة، كما انتقلت من نظام الفصل العنصري (الأبارتهايد) الذي عزلها سياسيًا واقتصاديًا عن المجتمع الدولي، إلى دولة ديمقراطية تحاول ترسيخ مكانتها كقوة إقليمية مؤثرة في القارة الإفريقية وفي العالم، فقد اعتمدت جنوب أفريقيا بعد عام 1994 على إعادة صياغة هويتها الوطنية وبناء صورتها الخارجية استنادًا إلى قيم المصالحة والعدالة الاجتماعية والتنوع الثقافي، وهو ما منحها قاعدة صلبة لتوظيف أدوات الدبلوماسية الناعمة في علاقاتها الدولية، فهي صاحبة الحضور الأقوى في المنطقة، حيث تتصدر جنوب إفريقيا المرتبة الأولى إفريقيًا و43 عالميًا، محققة درجة 44.9، وهو ما يعكس مزيجًا من الثقل الاقتصادي النسبي، ودورها في الاتحاد الإفريقي، وحضورها الثقافي عبر الرياضة والفنون، إذ اظهرت نتائج مؤشر القوة الناعمة العالمي 2025 أن جنوب إفريقيا ما تزال تحتفظ بموقعها المتقدم نسبيًا على مستوى القارة، إذ جاءت في المرتبة 43 عالميًا والأولى إفريقيًا، وهو ما يعكس حضورها المميز في محيطها الإقليمي. (العلوي، 2018)

وعليه اعتمدت جنوب أفريقيا، منذ نهاية نظام الفصل العنصري، على ادوات متعددة للدبلوماسية الناعمة في جنوب أفريقيا من أجل تعزيز مكانتها الدولية وصياغة صورة جديدة تعكس هويتها الديمقراطية وتنوعها الثقافي، ومن أبرز هذه الادوات : (بوعزة، 2020)

1- **فلسفة الأوبونتو: (Ubuntu)**: تقوم هذه الفلسفة على مبدأ "أنا موجود لأننا موجودون"، أي بمعنى أن هوية الفرد تتحدد عبر علاقته بالآخرين، وقد وظفت جنوب أفريقيا هذا الفلسفة كأداة دبلوماسية ناعمة تعكس انفتاحها على العالم، وتُبرز التزامها بالقيم الإنسانية والمشترك الأخلاقي، ما جعلها تحظى بصورة إيجابية على الساحة الاقليمية والدولية كدولة تعزز التسامح والعدالة.

2- **(الدبلوماسية الثقافية)**: استطاعت جنوب أفريقيا أن تُحول تنوعها العرقي والثقافي إلى مصدر قوة دبلوماسية ناعمة، إذ روجت لتراثها الموسيقي والفني والأدبي، وجعلت من الفنون وسيلة للتقارب مع الشعوب، وقد ساهمت شخصيات بارزة مثل نيلسون مانديلا في ترسيخ هذه الصورة، حيث أصبحت رمزًا عالميًا للنضال السلمي والحرية، كتنظيم (مهرجان كيب تاون الدولي) الذي لعب دورا بارزا في استقطاب فنانين عالميين لتعزيز صورة البلاد كمركز للإبداع الفني والثقافي . (Louise، 2016)

3- **الرياضة**: لعبت الرياضة دورًا محوريًا في تعزيز القوة الناعمة لجنوب أفريقيا لا سيما بعد استضافتها لكأس العالم لكرة القدم عام 2010، وهو الحدث الأول من نوعه في القارة الإفريقية. فقد وظّفت جنوب افريقيا هذا الحدث لإبراز قدرتها على التنظيم، وتقديم صورة جديدة للعالم عن إفريقيا، باعتبارها قادرة على أن تكون شريكًا في الفعاليات الكبرى، فعلى سبيل المثال دعم نيلسون مانديلا المنتخب الوطني ليصبح رمزا للمصالحة بين البيض والسود .(Jonathan & Donna ، 2013)

4- **الوساطة وفض النزاعات الاقليمية والدولية** : برز الجنوب الافريقي كفاعل رئيسي في مجال الوساطة وفض النزاعات الإفريقية كالوساطة في النزاع الاثيوبي وتيغراي عام 2022 الذي استضافت بموجبه جنوب افريقيا محادثات السلام بين الحكومة الاثيوبية وقوات تيغراي عام 2022 باستجابة الطرفين لدعوة الاتحاد الافريقي قبل الانعقاد بمشاركة وسيط الجنوب الافريقي من خلال النائب السابق (فومزملي ملمبو-نجوكا) إلى جانب عدد من مسؤولين دوليين، فضلا عن مبادرات الوساطة في النزاع الكونغو ورواندا في عام 2025 .

5- **المشاركة في المنظمات الإقليمية والدولية**: انخرطت جنوب أفريقيا بفاعلية في مؤسسات اقليمية ودلية كالاتحاد الإفريقي، ومجموعة البريكس، ومجموعة التنمية للجنوب الافريقي وهي الاكثر تأثيراً، لتقديم نفسها كصوت للجنوب العالمي، وقد ساعدها هذا الانخراط على توسيع مجال تأثيرها وتوظيف دبلوماسيتها الناعمة لدعم مصالحها الاقتصادية والسياسية كقوة اقليمية ودولية مؤثرة، (Carla، 2020)، فعلى سبيل المثال دورها في تعزيز قدرات التدريب العملياتي عبر SADC عام 2025 اذ استضافت جنوب افريقيا دورة تقييم لمناهج التدريب في مركز التدريب على عمليات دعم السلام في جوهانسبرغ، ومشاركتها في قيادة حملات دولية لدعم سيادة القضاء الدولي عام 2025، لحماية قرارات القضاء الدولي (المحكمة الجنائية الدولية ومحكمة العدل الدولية) لتطبيق القانون الدولي .

وبذلك يمكن القول إن الدبلوماسية الناعمة لم تكن مجرد أداة مكملة لسياسة الخارجية لجنوب الافريقي، بل أصبحت ركيزة أساسية في صياغة نفوذها الإقليمي، مما يجعل نموذجاً ناجحاً في تحقيق الدبلوماسية الناعمة، لكنها تظل رهينة بقدرتها على المعالجة التحديات الداخلية والاستقرار السياسي وتبني رؤية شاملة تجعل من القوة الناعمة ركيزة اساسية في سياستها الخارجية على الرغم ما تمتلكه من تاريخ نضالي ملهم إمكانات بشرية وثروات طبيعية، مؤهلة لتحقيق قفزة نوعية في هذا المجال .

■ الخاتمة

أنّ التحول الجاري في بنية النظام الدولي لم تعد تعتمدعلى موازين القوى الصلبة فحسب، بل اتجه نحو إدماج أدوات غير مادية تقوم على الجاذبية والاقناع والتأثير القيمي والثقافي، إذ أصبحت الدول تدرك أن تحقيق أهداف سياستها الخارجية يتطلّب بناء صورة دولية إيجابية وتعزيز مكانتها عبر الثقافة والتعليم والتبادل الفكري مع بروز الفاعلين غير الرسميين كالمؤسسات الإعلامية والشركات متعددة الجنسيات والمنظمات غير الحكومية الذي اتّسع نطاق الدبلوماسية الناعمة ليصبح مجالاً متعدد المستويات، يتجاوز الإطار الحكومي التقليدي إلى دائرة المجتمع والدولة معاً، كما أظهر البحث أنّ تطور اداوات الحديثة وسائل الاتصال الحديثة لعبت دوراً حاسماً في إعادة تشكيل مفهوم الدبلوماسية الناعمة؛ إذ جعل تدفق المعلومات أسرع وأكثر قدرة على التأثير، مما رفع من أهمية الصورة والرسالة والرمزية في المنافسة العالمية. وإزاء هذا التحول، باتت الدول تُعيد صياغة أدواتها الدبلوماسية بما يضمن التكيف مع بيئة عالمية متغيرة تتزايد فيها أهمية السمعة والشرعية والأفكار، وعليه تبرز الدبلوماسية الناعمة اليوم كأحد أهم عناصر القوة الوطنية الشاملة، وعنصراً لا غنى عنه في إدارة العلاقات الدولية المعاصرة، لكونها تمنح الدول القدرة على بناء النفوذ بأقل التكاليف وأكثر الأساليب استدامة.

■ الاستنتاجات

1. تحوّلت قوة الدبلوماسية لناعمة من مفهوم نظري إلى أداة استراتيجية تسعى الدول عبرها إلى تحقيق مصالحها دون اللجوء إلى الضغوط الاقتصادية او الاكراه العسكري .

2. تعاظم دور الثقافة والتعليم والإعلام بوصفها اداوت تقليدية ذات اهمية كبير وروافع رئيسة لتشكيل الانطباع الخارجي وبناء صورة الدولة الذهنية لدى الشعوب الأجنبية.

3. وسائل التواصل الاجتماعي أصبحت منصة مركزية لصناعة النفوذ الناعم، إذ ساهمت في تعزيز حضور الدول وخطابها واستراتيجياتها الرمزية في الفضاء الدولي.

4. تعد الدبلوماسية الرقمية شكلا من أشكال الادوات الحديثة التي ظهرت في عصر التكنولوجيا والابتكارات المعرفية القائمة على تواصل الدبلوماسية عبر شبكات المعلومات الدولية .

5. التنافس الدولي بات يقوم على "الجاذبية" بقدر ما يقوم على الردع والقدرات الصلبة؛ مما دفع القوى الكبرى كالولايات المتحدة وروسيا والصين إلى الاستثمار في برامج القوة الناعمة بشكل منهجي.

6. تنويع أدوات القوة الناعمة يرفع من كفاءة السياسة الخارجية لاسيما الدول ذات الموارد المحدودة، لما توفره من أدوات تأثير منخفضة التكلفة وواسعة النطاق.

7. نجاح الدبلوماسية الناعمة يتطلب استراتيجية وطنية شاملة تشمل الهوية الثقافية، والجهاز الدبلوماسي، والسياسات الإعلامية، والتعليم الدولي، وتنظيم المحتوى الرقمي ، والامن السيبراني .

■ التوصيات

1- تبني استراتيجية رقمية عربية موحدة للقوة الناعمة عبر استراتيجية إقليمية وتنسيق الجهود الدول العربية في مجال الدبلوماسية الرقمية مع توحيد الرسائل الإعلامية الموجهة للجمهور العالمي عبر المنصات الرقمية ويزيد من فعالية التأثير العربي في النظام العالمي .

2- توسيع برامج التبادل الثقافي والعلمي عبر توسيع مبادرات التبادل الاكاديمي، والتعاون البحثي، والمنح الدراسية، وانشاء مراكز ثقافية عربية في العواصم العالمية من اجل تعزيز الروابط الانسانية والعلمية مع الشعوب الاخرى .

3- تعزيز حضور المؤسسات الحكومية على وسائل تواصل الاجتماعي من خلال تطوير منصات رسمية و فعاله واحتراق بكافة الوزارات والهيئات الدبلوماسية والثقافية تعتمد على التواصل المستمر الشفافية واللغة الملائمة للجمهور العالمي .

4- تطوير محتوى إعلامي عربي موجه للشباب العالمي من خلال الاستثمار في إنتاج فيديوهات قصيرة و وثائقيات رقمية تتناول التاريخ، والثقافة، والفنون العربية، والابتكار، لاسيما عبر منصات التواصل ل الاجتماعي كل (Facebook، Instagram، TikTok ، YouTube) .

5- تفعيل دور المؤثرين وصناع المحتوى العرب عبر بناء شركات رسمية مع المؤثرين الرقميين العرب لجعلهم سراء رقمين غير رسميا قادرين على إيصال القيمية والثقافية إلى الجمهور الدولي بأسلوب أكثر الجاذبية .

6- استخدام التقنيات الحديثة الذكاء الاصطناعي والتحويلات الرقمية عبر اعتماد تقنيات تحليل البيانات لرصد اتجاهات الرأي العام العالمي ومعرفة تاثير المحتوى العربي وتصميم حملات مستهدف تحسن صورة الدول العربية عالميا .

■ قائمة المصادر

اولا: المصادر العربية

5. آنا، سيمون. (2004). فهم حروب الجيل الرابع. كلية الدراسات العليا البحرية الأمريكية، قسم التحليل الدفاعي.

6. أبو فرحة، علي. (2024). دور الذكاء الاصطناعي في التنبؤ بالاستقرار السياسي: دراسة مسحية. ترينذز للبحوث والاستشارات.

7. ازهار هادي، مجيد. (2014). دبلوماسية القوة الناعمة. مجلة حمورابي، (52).

8. الأشعل، عبدالله. (2001). علم الدبلوماسية (نظريًا وتطبيقًا). دار المستقبل العربي.

9. العيسوي، أشرف. (2020). وسائل التواصل الاجتماعي: تأثيرات متنامية وأدوار شائكة في العالم العربي. ترينذز للبحوث والاستشارات.

10. العلوي، عز الدين. (2018). الناعمة في السياسة الخارجية لجنوب إفريقيا بعد 1994. المركز الديمقراطي العربي.

11. بو عزة، محمد. (2020). فلسفة أوبونتو وامتداداتها في نموذج إفريقيا الأخلاقي والسياسي. مجلة رؤى فكرية، (12).

12. بوزاني، خوري. (2024). أنياب التنين الناعمة: الصعود الناعم للقوة الصينية في السياسة الدولية. الشمس للنشر والإعلام.

13. جواهر بن الأمير. (2023، 24 ديسمبر). استخدام الثقافة كقوة ناعمة وأداة للدبلوماسية. Abouna. تم الاطلاع عليه في 1 نوفمبر 2025 من

https://abouna.org/content/استخدام-الثقافة-كقوة-ناعمة-وأداة-للدبلوماسية

14. حسين الشامي، علي. (2011). الدبلوماسية: نشأتها وتطورها وقواعدها ونظام الحصانات والامتيازات الدبلوماسية (ط1). دار الثقافة للنشر والتوزيع.

15. عبد القادر، محمد فهمي. (2009). نظرية السياسة الخارجية. مكتبة سعد.

16. عبد المجيد، فاطمة الزهراء. (2021). القوة الناعمة والدبلوماسية الثقافية: نحو مقاربة جديدة في العلاقات الدولية. مجلة البحوث السياسية والدولية، (8).

17. الخالدي، عبدالله محمد. (2019). الدبلوماسية الثقافية كأداة من أدوات القوة الناعمة: دراسة في المفهوم والتطبيق. مجلة العلوم السياسية والقانون، (16).

18. عدنان، آية محمود. (2024). طبيعة دور الدبلوماسية الرقمية في السياسة العالمية. مجلة العلوم الاجتماعية، (1).

19. فخري علي تركمان، هبة. (2024). الدبلوماسية الرياضية قوة ناعمة في العلاقات الدولية: كأس العالم فيفا قطر 2022 أنموذجًا (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة النجاح الوطنية.

20. هالة محمود، عبد العال. (2017). تقييم الدعاية السياسية في الانتخابات البرلمانية. المركز العربي للنشر والتوزيع.

21. وهبان، أحمد. (2012). العلاقات الدولية والسياسة الخارجية. دار الجامعة الجديدة.

22. ناي، جوزيف. (2007). القوة الناعمة: وسيلة النجاح في السياسة الدولية (ترجمة محمد توفيق البجيرمي). دار العبيكان.

ثانيا: المصادر الانكليزية

1- Graham, L. (2016). Towards a Cultural Diplomacy for South Africa: Building Blocks and Best Practices (p. 55). University of Pretoria.
2- Grix, J., & Lee, D. (2013). Soft Power, Sports Mega-Events and Emerging States: The Lure of the Politics of Attraction. Global Society, 27(4). Routledge.
3- Kissinger, H. (1994). Diplomacy. Simon & Schuster.
4- Leibrandt-Loxton, C.(2020). Soft Power in South Africa's Foreign Policy: Potentials and Challenges. Strategic Review for Southern Africa, 42(2).
5- Li, M. (2009). Soft Power in China: Public Diplomacy Through Communication Palgrave Macmillan.
6- Lu, Y., & Lia, H. (2012). China Soft Power and International Relations Routledge
7- Nicolson, H. (1963). Diplomacy. Oxford University Press.

التطور الدلالي للألفاظ العربية في عصر العولمة

مبروكة الصادق الامجد الفقي

جامعة صبراتة

وزارة التعليم العالي – ليبيا

Mabroukah Al-Sadiq Al-Amjad Al-Faqqi

mabroukahalfaqqi@gmail.com

00218945783884

الملخص

يهدف هذا البحث إلى تحليل أثر العولمة التقنية والاقتصادية والثقافية في التطور الدلالي للألفاظ العربية المعاصرة، من خلال: بيان مفهوم التطور الدلالي وأنماطه في التراث العربي والدرس اللساني الحديث، مع رصد نماذج تطبيقية للتغير الدلالي في العصر الرقمي، تتجلى أهمية هذا البحث في أنَّه: يرصد مظاهر التغيّر الدلالي في العربية في عصر العولمة، بما يعكس واقع اللغة ومستقبلها، ويدمج بين التراث الدلالي العربي والنظريات اللسانية الحديثة في السوسيولغويات والدلالة، ويكشف أثر العولمة التقنية والثقافية والاقتصادية في معجم العربية واستعمالاتها اليومية والرقمية، كما تكمن أهميته في أنّه يوضح الصلة بين التطور الدلالي والهوية اللغوية العربية تحت ضغط النماذج اللغوية العالمية، واعتمد البحث أساسًا على المنهج الوصفي التحليلي، مستعينًا بعدة أدوات، من أهمها: التحليل المعجمي، التحليل الدلالي...

الكلمات المفتاحية: التطور الدلالي– العولمة– الهوية اللغوية العربية– البيئة الرقمية– الألفاظ العربية المعاصرة...

The Semantic Evolution of Arabic Words in the Age of Globalization

Mabrouka Al-Sadiq Al-Amjad Al-Faqi

University of Sabratha

Ministry of Higher Education – Libya

Abstract

This research aims to analyze the impact of technological, economic, and cultural globalization on the semantic evolution of contemporary Arabic words. It does so by: clarifying the concept of semantic evolution and its patterns in classical Arabic literature and modern linguistic studies; and examining applied models of semantic change in the digital age. The significance of this research lies in its ability to: observe manifestations of semantic change in Arabic in the era of globalization, reflecting the language's current state and future; integrate classical Arabic semantic heritage with modern linguistic theories in sociolinguistics and semantics; and reveal the impact of technological, cultural, and economic globalization on the Arabic lexicon and its everyday and digital uses. Furthermore, its importance stems from its clarification of the relationship between semantic evolution and Arabic linguistic identity under the pressure of global linguistic models. The research primarily employs a descriptive-analytical approach, utilizing several tools, most notably lexical analysis and semantic analysis.

Keywords: Semantic evolution, globalization, Arabic linguistic identity, digital environment, contemporary Arabic words

مقدمة البحث

مرت اللغة العربية عبر تاريخها الطويل مسارًا واسعًا من التحوّلات الدلالية التي عكست تفاعلها العميق مع محيطها الحضاري والثقافي، غير أنّ وتيرة هذا التغيّر تسارعت بصورة غير مسبوقة في العقود الأخيرة، بفعل التحوّلات العالمية المتلاحقة، وفي مقدّمتها العولمة التقنية والثقافية والاقتصادية. فلم يعد التطور الدلالي نتاجاً طبيعيًا لتغير البيئات الاجتماعية فحسب، بل أصبح ظاهرة مركبة تتداخل فيها العوامل اللغوية مع المؤثرات الرقمية، والعوامل الاجتماعية مع ضغوط المنظومات الاقتصادية والإعلامية العابرة للحدود.

وإذا كان علماء العربية القدامى قد تناولوا ظواهر تغيّر المعنى من خلال مباحث التخصيص والتعميم والمجاز والاستعارة، فإن المشهد اللغوي الحديث يفرض تحديات جديدة على الدلالة العربية، مع بروز ما يمكن تسميته بـ"السيولة الدلالية" الناتجة عن اتساع دائرة التواصل عبر الوسائط الرقمية، ودخول مصطلحات عالمية إلى فضاء العربية، وتغيّر السياقات التي تتحرك فيها الألفاظ. فألفاظ عربية أصيلة مثل *متابعة، منصة، محتوى، مجتمع* قد انتقلت من دلالاتها التراثية إلى دلالات رقمية جديدة فرضها الفضاء التكنولوجي المعولم.

ومن هنا تتجلى إشكالية هذا البحث في محاولة الإجابة عن السؤال الآتي:

كيف أثّرت العولمة –بأبعادها التقنية والاقتصادية والثقافية– في التطور الدلالي للألفاظ العربية، وما حدود هذا التأثير ومظاهره؟ وتتفرع عن هذه الإشكالية أسئلة حول طبيعة التغيّر الدلالي، وأسبابه اللغوية والاجتماعية والنفسية، ومدى قدرة العربية على التكيّف مع المتغيرات العالمية دون أن تفقد جوهرها أو هويتها.

وتكمن أهمية هذا البحث في كونه يتناول ظاهرة لغوية متجدّدة تتصل اتصالاً مباشرًا بواقع اللغة العربية ومستقبلها، كما يهدف إلى تقديم تحليل علمي متوازن يجمع بين التراث اللغوي العربي وما قدّمه العلماء من أُسسٍ لفهم تغيّر المعنى، وبين المعطيات الحديثة في مجالات السوسيولغويات والدراسات الدلالية والاتصال اللغوي في عصر العولمة.

وانطلاقًا من ذلك، يتناول البحث عدة محاور تشمل: مفهوم التطور الدلالي في التراث العربي والدرس اللساني الحديث، مفهوم العولمة وأبعادها المؤثرة في اللغة، العوامل اللغوية والاجتماعية والنفسية التي تُسهم في تغيّر الدلالة، إضافة إلى رصد نماذج تطبيقية توضّح أثر العولمة الرقمية والاقتصادية في نقل الدلالات وتوسيعها أو تضييقها، وصولاً إلى تحليل الآثار السوسيولغوية لهذا التطور وانعكاساته على الهوية اللغوية العربية.

وبذلك يسعى هذا البحث إلى تقديم رؤية علمية عميقة حول التطور الدلالي للألفاظ العربية في عصر العولمة، باعتباره ظاهرة لغوية وثقافية مشتركة تمثل في جوهرها استجابة لغوية لمتغيرات عالمية متسارعة، وفرصة لإبراز مرونة العربية وقدرتها على الاستيعاب والإبداع والتجدد.

مشكلة البحث:

تواجه اللغة العربية في عصر العولمة تحدّيات دلالية غير مسبوقة، نتيجة للتحوّلات التقنية والثقافية والاقتصادية المتسارعة التي أعادت تشكيل أنماط التواصل والمعرفة والاستهلاك. فقد أدّت هذه التحوّلات إلى انتقال العديد من الألفاظ العربية من دلالاتها الأصيلة إلى دلالات جديدة مرتبطة بالفضاء الرقمي والإعلامي والاقتصادي العالمي، مما أوجد حالة من السيولة الدلالية واتساع الفجوة بين الدلالة التقليدية والدلالة المستحدثة.

وتكمن مشكلة البحث في أنّ هذا التطور الدلالي، رغم ضرورته وحتميته، يثير أسئلة جوهرية حول: **مدى قدرة اللغة العربية على التكيّف مع ضغوط العولمة دون أن تفقد هويتها، وما طبيعة مظاهر التغير الدلالي وأسبابه، وكيف تتفاعل الألفاظ العربية مع السياقات الجديدة التي فرضتها العولمة الرقمية والثقافية؟**

وتتجسد المشكلة البحثية في السؤال الرئيس الآتي:

كيف أثّرت العولمة –بأبعادها التقنية والاقتصادية والثقافية– في التطور الدلالي للألفاظ العربية، وما أبرز مظاهر هذا التطور ونتائجه على الهوية اللغوية العربية؟

ويمكن تفريع السؤال الرئيس إلى الأسئلة الآتية:

1. ما المفهوم اللغوي للتطور الدلالي، وما أنماطه في التراث العربي والدرس اللساني الحديث؟
2. ما مفهوم العولمة وما أبعادها المؤثرة في اللغة العربية؟
3. ما العوامل اللغوية والاجتماعية والنفسية التي تُسهم في تغيّر دلالة الألفاظ العربية؟
4. ما أبرز مظاهر التطور الدلالي في عصر العولمة، خاصة في ضوء التحولات الرقمية والاقتصادية؟
5. كيف انعكس هذا التطور الدلالي على الهوية اللغوية العربية واستخدامات الفصحى؟

أهمية البحث:

1. رصد مظاهر التغيّر الدلالي في اللغة العربية في عصر العولمة.
2. تعزيز الدراسات الدلالية بدمج التراث اللغوي مع النظريات اللسانية الحديثة.
3. كشف أثر العولمة التقنية والثقافية على معجم العربية واستعمالاتها.
4. بيان العلاقة بين التطور الدلالي والهوية اللغوية العربية في ظل التحولات العالمية.
5. تقديم معرفة تطبيقية تفيد المعجميين والمترجمين والمؤسسات التعليمية في التعامل مع الدلالات المستحدثة.

أهداف البحث:

1. بيان مفهوم التطور الدلالي وأنماطه في اللغة العربية.
2. تحليل تأثير العولمة على دلالات الألفاظ العربية المعاصرة.
3. رصد نماذج تطبيقية للتغير الدلالي في سياق العصر الرقمي.
4. تحديد العوامل المؤثرة في التطور الدلالي (لغوية، اجتماعية، نفسية).
5. توضيح أثر هذا التطور على الهوية اللغوية العربية.

حدود البحث:

يقتصر هذا البحث على دراسة التطور الدلالي للألفاظ العربية في سياق العولمة، من خلال تحليل نماذج مختارة من المفردات التي شهدت تحوّلات دلالية في العصر الرقمي والثقافي الحديث، وذلك ضمن الإطار الزمني الممتد من بداية القرن الحادي والعشرين حتى الوقت الراهن، وهي المرحلة الأكثر تأثرًا بظواهر العولمة التقنية والإعلامية. ويركّز البحث على البيئة اللغوية العربية بشكل عام، دون تخصيص دولة أو منطقة بعينها، مع الاعتماد أساسًا على مفردات الفصحى التي اكتسبت دلالات جديدة، وعدم التوسع في

العاميات إلا في حدود ما يخدم توضيح الظاهرة المدروسة. كما يستند البحث إلى المنهج الوصفي–التحليلي والسياقي في تناول المادة العلمية، دون التوسع في مناهج لغوية أخرى لا تخدم الهدف الرئيس للدراسة.

فروض البحث:

1. تفترض الدراسة أن العولمة بكافة أبعادها تُعدّ عاملًا رئيسًا في حدوث تطور دلالي ملحوظ في الألفاظ العربية.
2. تفترض أن التغير الدلالي للألفاظ العربية يخضع لعوامل لغوية واجتماعية ونفسية محددة يمكن تحليلها علميًا.
3. تفترض أن اللغة العربية تمتلك قدرة ذاتية على التكيّف مع المستحدثات الدلالية دون أن تفقد هويتها الأساسية.

الدراسات السابقة:

شهد موضوع التطور الدلالي للألفاظ العربية اهتمامًا ملحوظًا في عدد من الدراسات اللغوية القديمة والحديثة، سواء في إطار الدرس الدلالي التقليدي أو في سياق العولمة والتغيرات الاجتماعية الحديثة. وفيما يأتي عرض موجز لأبرز هذه الدراسات، مع بيان طبيعة إسهام كل منها:

الدراسات التراثية في الدلالة وتغير المعنى:

تناول علماء اللغة الأوائل ظواهر التطور الدلالي في إطار مباحث التخصيص والتعميم والمجاز والاستعارة، كما ظهر في أعمال ابن جني، والجاحظ، وابن قتيبة، والسيوطي، وقد ركزت هذه الدراسات على آليات تغيّر المعنى في اللغة العربية، وأسهَمَت في تأسيس الإطار النظري للتطور الدلالي، لكنها لم تتناول تأثير العولمة المعاصرة.

1. **دراسة إبراهيم أنيس (دلالة الألفاظ، 1980):**

قدّم أنيس تحليلاً مهمًا للتغير الدلالي باعتباره ظاهرة لغوية طبيعية تنشأ من الاستعمال والحاجة. وأسهمت دراسته في وضع منهج حديث لفهم تحولات المعنى، لكنه لم يتناول أثر التحولات العالمية الرقمية المعاصرة، إذ سبق عصر العولمة التقنية.

2. **دراسة سامر يوسف (السوسيولغويات الحديثة، 2021):**

تناولت أثر العوامل الاجتماعية في تشكيل الدلالة، وأبرزت دور البيئة الرقمية الحديثة في تغيير المعاني تُعد هذه الدراسة من الأعمال التي تلامس موضوع البحث، لكنها ركزت على البعد الاجتماعي أكثر من البعد الدلالي التحليلي.

3. **دراسة سعد المانع (اللغة والتحولات الرقمية، 2020):**

بيّن المانع أثر الوسائط الرقمية في تشكيل طبقة دلالية جديدة داخل اللغة العربية، وربط بين الفضاء الإلكتروني وتوليد معاني جديدة. وهذه الدراسة تُعد من أقرب الدراسات إلى موضوع البحث لأنها تؤكد دور العولمة التقنية في تطور الدلالة .

4. **دراسة عبد الهادي الشهري (الانزياح في الدرس اللغوي، 2012):**

ركّز الشهري على ظاهرة انزياح المعنى بوصفها أحد أهم أشكال التغير الدلالي، وقدّم إطارًا لقراءة تطور المعنى في ضوء العلاقات السياقية. وتفيد هذه الدراسة في فهم واحد من مسارات التطور الدلالي في عصر العولمة.

5. **دراسة رائد أبو زيد (العولمة والاقتصاد اللغوي، 2018):**

تناولت العلاقة بين اللغة والاقتصاد العالمي، موضحةً كيف تؤثر العولمة الاقتصادية في تغيير دلالات الألفاظ العربية. وتبرز أهمية هذه الدراسة في ربطها بين الاقتصاد اللغوي والتحولات الدلالية في المفردات العربية.

تكشف مراجعة الدراسات السابقة ما يأتي:

1. الدراسات التراثية وضعت الأسس النظرية لفهم تغير المعنى، لكنها لا تتناول تأثير العولمة الحديثة.
2. الدراسات اللسانية الحديثة ركزت على التغير الدلالي بوصفه ظاهرة لغوية واجتماعية، مع قلة الدراسات المتخصصة في أثر العولمة الرقمية تحديدًا.

3. الدراسات المعاصرة حول العولمة أبرزت العلاقة بين اللغة والهوية، لكنها لم تدمج التحليل الدلالي تفصيليًا.
4. توجد فجوة بحثية واضحة تتمثل في الحاجة إلى دراسة شاملة ترصد التطور الدلالي للألفاظ العربية في ظل العولمة الرقمية، وتجمع بين الجانب النظري والتطبيقي.

وبذلك يأتي هذا البحث ليسدّ جانبًا من هذه الفجوة عبر تحليل التطور الدلالي في ضوء العولمة.

أدوات البحث:

اعتمدت الدراسة على مجموعة من الأدوات العلمية التي أسهمت في جمع البيانات وتحليلها ورصد الظاهرة اللغوية محلّ البحث، وذلك على النحو الآتي:

1. المنهج الوصفي التحليلي:

وهو المنهج الرئيس لهذه الدراسة، إذ تم من خلاله وصف ظاهرة التطور الدلالي كما تتجلى في الواقع اللغوي، ثم تحليلها في ضوء المعطيات الاجتماعية والثقافية المرتبطة بالعولمة.

2. التحليل المعجمي:

تم الرجوع إلى المعاجم التراثية والحديثة للوقوف على الدلالات الأصلية للألفاظ، ومن ثمّ مقارنتها بالدلالات المستجدة في العصر الحديث، مما يسمح بتحديد طبيعة التحوّل الذي طرأ على كل لفظ.

3. التحليل الدلالي:

سعت الدراسة من خلاله إلى تتبّع مسارات التطور في المعنى، وتحديد أنماطه الأساسية مثل: التوسع، التضييق، الانزياح، ونقل المعنى، وذلك بالاعتماد على شواهد سياقية متنوعة.

4. تحليل المحتوى الرقمي:

تم رصد الألفاظ المدروسة في البيئة الرقمية، بما في ذلك مواقع التواصل الاجتماعي والمنصات الإعلامية الحديثة، للكشف عن الدلالات الجديدة التي اكتسبتها بفعل التحوّل التقني والثقافي.

5. الموازنة اللغوية:

استخدمت هذه الأداة لعقد مقارنات بين دلالات الألفاظ في نصوص الماضي وحضورها في الخطاب المعاصر، وبين الفصحى والعاميات، وكذلك بين العربية واللغات الأخرى التي كان لها تأثير مباشر في التطور الدلالي.

أولاً: التطور الدلالي:

مفهوم التطور:

أولى علماء اللغة العربية اهتماماً بالغاً بالتطور الدلالي، فلم يكن في الذكر فحسب، بل كان دراسةً واقعية شاملة وثابتة انطلقت من الفكر والبديهة والبلاغة، فذكر ابن منظور في لسان العرب عن معنى (التطوّر) قوله: "الطور: التارة، يقال: طوراً بعد طور، أي: تارة بعد تارة، وجمع الطور أطوار، والناس أطوار، أي: أخياف على حالات شتى، والطور: الحال، والجمع: أطوار، والأطوار: الحالات المختلفة والتارات والحدود، واحدها طور، والطور الحد بين الشيئين" (**ابن منظور، 1987، ص157**)

وعند الرجوع إلى علماء اللغة المحدثين نجدهم يستخدمون لفظة (التطور) يعنون بها مرادف كلمة (التغير)، فهم يقصدون بالتطور: (التغيير، التحول، الانتقال) من طور إلى آخر ومن حالة إلى أخرى، ولا يعني (التطور) في مفهومهم التقدم من حالة إلى

وضع أفضل، بعكس ما ذهب إليه بعض الباحثين اللغويين بأن التطور الدلالي يسري باللغة نحو الأفضل في التهذيب والكمال ليسد ما بها من نقصان(**عبد التواب، 1997، ص09**).

يُعَدُّ مُصطلح (التطوّر) من المصطلحات التي أَثَارَتْ جَدَلًا واسعًا في الأوساط الأكاديميّة واللّغويّة الحديثة، حيث يُشتَقُّ المصدر (تَطَوُّر) من الفعل "تَطَوَّرَ" الذي تحمل بنيته الدلالية معنى الانتقال والتحوّل من حالٍ إلى حال، وقد شاع استعمال هذا اللفظ بين المحْدَثين، لاسيما في أعقاب ظهور النظريات والدراسات التي اهتمّت برصد التحوّلات الاجتماعية والسياسية، أو تلك التي تناولت مسيرة الإنسان وتحوّلاته، مثل: نظرية التطوّر التي ارتبطت باسم (تشارلز داروين).

غير أنّ هذا اللّفظ –فعلًا ومصدرًا– لم تَرِدْ عنه شواهدُ تُثبِتُ استعماله في عصر الفصاحة الأولى، وهو ما دفع بعض اللّغويين المحدثين إلى رفض إجرائه ومُنَاعَة استعماله، احتجاجًا بِخُرُوجِه عمّا نُقِلَ وَسُمِعَ من كلام العرب، ولوجود ما يُؤدّي معناه من الألفاظ المتَدَاوَلَة ك(تَحَوَّلَ) و(تَغَيَّرَ) و(تَبَدَّلَ)، ويعد ذلك الموقف النافي لاستعماله لا يعني انعدامَ سندٍ له في التراث اللغوي العربي كليةً، بل إنّ التاريخ لظهور الكلمة –كما يرى بعض الباحثين– يُثبت أنّها وردت في نصوص عددٍ من متأخّري العلماء القدامى، ويمكن الجزم بأنّها كانت مُستعمَلة ومُستقِرّة قبل ما يقارب ثمانية قرون على الأقل، حيث أشار البقاعي في كتابه: (نظم الدر في تناسب الآيات والسور) أنّه قد ذُكر في كتاب (المفتاح) لأبي الحسن الحَرَالي (ت 638هـ)، قوله: "الباب الرابع في رُتَب البيان عن تَطَوُّر الإنسان بِتَرَقِّيه في دَرَج الإيمان وتَرَدِّيه في دَرَك الكفران.." (**البقاعي، 1995، ص810**)

ووقعت أيضاً في كلام أبي حيّان الأندلسيّ (ت 745 هـ)، وابن عرفة (ت 803 هـ) وابن خلدون (ت 808هـ)، ونصوصُ هؤلاء الأئمّة دالّةٌ على أنّ مصطلحَ (التطوُّر) لم يغادرِ المعنى اللغويَّ الذي تنبئ عنه صيغة الفعل والمصدر من التحوّل والانتقال من حال إلى حال، ومن طور إلى طور، دون أن تلابسَه أحكامٌ قيمة فهو بعبارة أخرى: مصطلحٌ محايد، خالٍ في ذاته وأصله من معنى الحُسْن والرقيّ، وعلى هذا جرى مجمع اللغة العربيّة في القاهرة إذ أقرّه وأثبته في المعجم الوسيط، بعد الوثوق من صحته. (**الأندلسي، 1987، ص460**)

مفهوم الدلالة:

جاء في معجم (مقاييس اللغة) لابن فارس في مادة: " (دلّ) الدال واللام أصلان: أحدهما إبانة الشيء بأمارة تتعلمها، والآخر اضطراب في الشيء، فالأول قولهم: دللت فلاناً على الطريق، والدليل: الأمارة في الشيء، وهو بين الدَّلَالَةِ وَالدِّلَالَةِ"(**ابن فارس، 1972، ص260**).

عرّف الشريف الجرجاني في كتابه (التعريفات) الدلالة قائلاً: "كون الشيء بحالة يلزم العلم به العلم بشيء آخر، والأول: الدال، والثاني: المدلول" (**الجرجاني، 1983، ص139**).

أمّا الراغب الأصفهاني فعرّف الدلالة بأنّها: "ما يتوصل به إلى معرفة الشيء كدلالة الألفاظ على المعنى، ودلالة الإشارات والرموز والكتابة والعقود في الحساب، وسواءً ذلك بقصد ممن يجعله دلاله أو لم يكن بقصد، كمن يرى حركة إنسان فيعلم أنّه حي" (**الأصفهاني، 1992، ص117**)

لا خلاف على أنَّ اللغة ليست جامدةً ولا ثابتة، بل هي كائن حي متطور متجدد، وهذا التطور –وإن كان بطيئاً في كثير من الأحيان– يشمل الأصوات والتراكيب ودلالات الكلمات وصيغها، وهو أدلة دامغة على حيوية اللغة ومرونتها، وفي هذا الصدد يؤكد (أولمان) أنَّ: "هذه الحقيقة ذاتها تؤدي إلى المرونة في الاستعمال اللغوي وعدم ثبات الظواهر اللغوية" (**أولمان، 1977، ص156**).

ويضيف إبراهيم أنيس أنَّ الدافع لهذا التطور يكمن في حاجة الناس للتعبير، قائلاً: "ينحرف الناس عادةً باللّفظ من مجاله المألوف إلى آخر غير مألوف حين تعوزهم الحاجة في التعبير، وتتزاحم المعاني في أذهانهم أو التجارب في حياتهم، ثم لا يسعفهم ما ادخروه من ألفاظ، وما تعلموه من كلمات، فهنا قد يلجؤون إلى تلك الذخيرة اللفظية المألوفة، مستعينين بها على التعبير عن تجاربهم الجديدة لأدنى ملابسة أو مشابهة أو علاقة بين القديم والجديد (**أنيس، 1980، ص130**).

يُقصد بالتطور الدلالي: "التحولات التي تطرأ على مدلول اللفظ (المعنى) عبر الزمن، نتيجة لعوامل لغوية وغير لغوية، مما يؤدي إلى اختلاف دلالته الحالية عن دلالته السابقة" (**المسدي، 2004، ص45**).

أنماط التطور الدلالي الرئيسية: (بشر، **2000، ص223**)

توسع الدلالة: انتقال اللّفظ من الدلالة على الجزء إلى الدلالة على الكل، أو من المعنى الخاص إلى المعنى العام، مثلاً: (دابة) كانت تطلق على ما يدب على الأرض من الحيوانات، ثم توسعت لتدل على أي آلة متحركة(**إبراهيم، 2005، ص120**).

تضييق الدلالة: انتقال اللَّفظ من الدلالة على المعنى العام إلى الدلالة على معنى خاص ومحدد. مثال: (لحم) كانت تدل على كل ما يؤكل، ثم ضاقت لتدل على جزء محدد من الطعام(**المرجع نفسه، ص122**)

انزياح الدلالة: تحول المعنى الأصلي للفظة إلى معنى جديد مختلف، قد يكون مرتبطاً به أو منفصلاً عنه. وهو الأكثر شيوعاً في عصر العولمة، مثال: (سحابة) من الظاهرة الطبيعية إلى التخزين الافتراضي. (**أولمان،1977، ص168**).

الانتقال المجازي: وهو أساس الانزياح الدلالي في كثير من الأحيان، حيث تستخدم اللفظة مجَّازاً بناء على تشابه بين المعنى الأصلي والمعنى الجديد، مثلاً: (غيمة) للحزن، (نور) للمعرفة (**الشهري، 2012، ص68**).

أسباب التطور الدلالي:

تشعّبت أسباب وعوامل التطور الدلالي، فيصعب الإلمام بجميع جوانبها، وهذا ما جعل كثير من الباحثين يستبعدون إمكانية وضع قوانين وأسس تحكم هذه القضية، فذكر علي عبد الواحد في هذا الجانب: "أمّا في الشعبة الخاصة بالدلالة فكثير مما كشفوه لم يصل بعد في دقته وضبطه وعمومه إلى المستوى الذي يتحقق فيه اسم القوانين"(**عبد الواحد، 1998، ص23**).

وذلك لأن التطور الدلالي ذو صلة قوية بالمجتمع وثقافته وتاريخه، وهذه جوانب متشعبة، تختلف من مجتمع لآخر، ومن لغة لأخرى فيصعب تحديدها، لذا وجدنا الباحثين يتباينون في حصر أسباب ذلك التطور الدلالي، كما فعل إبراهيم أنيس إذ أعادها إلى عاملين هما: "الاستعمال والحاجة" (**أنيس، ص153**)، وهو في ذلك يقتفي خطى ابن جني حين قال: "وما يَكْثُر استعماله غيَر ما يقل استعماله، وإنما غُيِّر لأمرين: أحدهما المعرفة بموضعه، والآخر الميل إلى تخفيفه"(**ابن جني، 1988، ص121**).

وسار على نهج ابن جني المحدثون من عربٍ وغربيين فهذا جوزيف فندريس يقول: "كثرة الاستعمال تُبلي في معانيها الألفاظ(**فندريس، 1980، ص247**).

أولاً. الأسباب اللغوية:

وهي نابعةٌ من اللّغة ذاتها، تتمثل في حدوث تماسٍّ وتقارب بين الألفاظ، فتؤثر إحداها في الأخرى وهذا ما يسمى (بالعدوى الدلالية)، ومن الأسباب اللغوية كذلك: (القياس الخاطئ أو التوهم)، وهذا يحدث عند من ليس لديهم ثقافة لغوية فيصوغون مواد لغوية يتوهمون أنّها موافقة لقواعد اللغة، ثم أخذت طريقها للاستعمال، وكثيراً ما نلحظ ذلك في لغة الأطفال، كما يحدث أيضاً في لغة الكبار.، ومن أمثلة ذلك: تأنيث ما هو مذكر مثل: الرأس والبطن(**حسّان، 1998، ص178**).

ثانياً. الأسباب الاجتماعية والحضارية:

يمكن معالجة الأسباب الاجتماعية والحضارية في الجوانب الآتية:

- نتيجة للتطور العلمي والتقني في العصر الحديث ظهرت كثير من الدلالات الجديدة للألفاظ، ومن الوسائل المتبعة لمواكبة هذا التطور، فقد أشار أحمد مختار بقوله: "...النظر في الألفاظ القديمة ذات الدلالات المندثرة فيحيون بعضها ويطلقونه على المستحدثات عند وجود أدنى مُلابسة، مثال: الحقيبة: الرفادة في مؤخرة القتب، والجمع الحقائب(**عمر، 2008، ص238**).

- عندما تنتقل اللغة من جيل إلى جيل ينتج عن ذلك تغير في المفردات، وظهور دلالات جديدة، وقديما عرفت العربية ألفاظ (حضريه) مولدة، ثم استخدمت بعد عصور الاحتجاج في دلالات جديدة مثل: (المبلغ، الحصة، السلفة)، فاختلاف الطبقات الاجتماعية داخل الجيل الواحد والعصر الواحد يكون عاملاً من عوامل التطور الدلالي(**شاهين، 1986، ص350**).

- تطور المجتمعات العربية وتقدمها أدى إلى اتصالها بالغرب وحضارته، وهذا الاتصال أدّى إلى دخول كثير من الألفاظ الأجنبية إلى ميدان العربية بصورة أكبر من أي عصر مضى حتى العباسي، فكان لزاماً الوقوف أمام هذا التيار من الألفاظ الأجنبية عن طريق استحداث كلمات جديدة، أو إشراب الكلمات العربية القديمة والمعاصرة . معنى الكلمات الأجنبية دون تغيير صيغتها حيناً، وربما يلحقها تغيير حيناً آخر(**قدور، 2003، ص30**).

ثالثاً. الأسباب النفسية:

مما لا شك فيه أنّ الألفاظ لها أثر نفسي في الإنسان، ولولا ذاك لما قلنا : (كلام حار، فقأ مرارتي، حرق قلبي) وهكذا كثيراً ما نصوغ عباراتنا محملة بانفعالاتنا، ومعبرة عن حالتنا النفسية، وهذا يشكل ملمحاً من ملامح التطور الدلالي، ويعني يتصل بالأسباب النفسية ما يسمّى بـ (اللامساس أو التلطف في التعبير) الابتعاد عن الكلمات ذات الإيحاءات المكروهة أو الحادة، واستبدالها بكلمات أكثر قبولاً وحشمة، فالألفاظ المتصلة، بالقذارة أو المرتبطة بالغريزة الجنسية تغلف بتوريات تخفف من الحرج فيها فمكان قضاء الحاجة يسمى: الخلاء أو الحمام، والجماع يعبر عنه بالنكاح، والمتوفى يسمى: المرحوم، والراحل، والفقيد، وهكذا كان عند علمائنا القدامى من أصول الفصاحة والكناية في الموضع الذي لا يحسن فيه التصريح (**الخفاجي،1982، ص162**).

إنَّ أسباب التطور الدلالي كثيرة ومتنوعة، وقد تستعصي على الحصر فقد بلغت واحداً وثلاثين سببا، وتعد عملية تغير المعنى مسألة صعبة ومعقدة، وعلى الرغم من ذلك يمكن استنباط عدة أسباب مهمة لتغير المعاني، وهذه الأسباب: لغوية، وتاريخية، ونفسية، ومنها التأثير الأجنبي، والحاجة إلى اسم جديد (**عبد الواحد، ص51**).

وذكر إبراهيم أنيس عن العوامل الاجتماعية والثقافية المؤثرة في تغير المعاني، والأسباب في تطور الدلالة بقوله: "حيث تنتقل الدلالة المجردة إلى المحسوسة أو الملموسة وهذا ما يلجأ إليه الأدباء والشعراء كلامهم وقصائدهم، وحاجة الأديب إلى تقوية الدلالة هي التي تقوده للإبداع، ومن الأمثلة المذكورة في دلالة الألفاظ" (**أنيس، ص155**)، وبالإضافة لقول الشاعر الذي أراد أن يصف كيف قضى على (ضغن) أقربائه وحسدهم له فقال(**العسكري، 1987، ص153**):

وذي رَحِمٍ قلّمت أظَافِرَه ضِغنِه بحلمَي عنه وهو ليس له حِلْمُ

أسس التطور الدلالي في التراث اللغوي العربي:

1. وعي القدامى بتغيّر الدلالة:

لم يكن مفهوم (التطور الدلالي) بهذا الاصطلاح حاضرًا عند القدامى، لكنه كان ممارَسًا وملحوظًا في كتبهم، فقد تحدّث الجاحظ عن اختلاف دلالة الألفاظ تبعًا لاختلاف البيئات والعادات ونبّه إلى أنّ اللّفظ قد يكون (أحسن في موضع، وأقبح في آخر) بحسب السياق(**الجاحظ،2003، ص75**).

كما نجد عند ابن قتيبة في كتابه (تأويل مشكل القرآن) إشارات صريحة إلى أنّ بعض الألفاظ القرآنية حملها العرب على دلالات معيّنة ثم نقلها الشرع إلى معانٍ أخرى، وهذا واحد من أوضح أشكال التطور الدلالي: الانتقال من المعنى اللغوي إلى المعنى الاصطلاحي الشرعي(**الدينوري، 1973، ص52**).

ولاحقًا، قسّم السيوطي في المزهر أنواع تغيّر المعنى، فذكر:"... التخصيص والتعميم والاستعارة والمجاز، مبيّنًا أنّ الكلمة قد تضيق أو تتّسع دلالتها وفق الاستعمال" (**السيوطي، 1998، ص320**)، وهذه التصنيفات القديمة تضع الأساس النظري لفهم ما نسميه اليوم (التطور الدلالي) بوصفه مسارًا مستمرًا.

2. من الدلالة المعجمية إلى الدلالة السياقية:

اعتمد القدامى في الغالب على المعاجم والنصوص لرصد استعمالات الألفاظ، لكنهم أدركوا أيضاً أنَّ المعنى يتحدد بالسياق، فقد شدّد عبد القاهر الجرجاني على أنّ (معاني النحو والنظم) هي التي تكشف المعنى الحقيقي في الكلام، لا مجرّد الكلمة المفردة، بمعنى أن الدلالة ليست خاصية معزولة للكلمة، بل نتيجة لعلاقاتها بما حولها(**الجرجاني، 1992، ص45**).

وهذا الوعي في السياق مهم اليوم؛ لأنّ العولمة لم تغيّر معجم العربية فحسب، بل غيّرت سياقات الاستعمال (خطاب رقمي، إعلامي، اقتصادي)، وبالتالي فإن التطور الدلالي في عصر العولمة هو في جوهره تحوّل في السياقات التي تتحرك فيها الألفاظ.

التطوّر الدلالي في العصر الحديث قبل العولمة الرقمية:

مع النهضة الحديثة والاحتكاك بالغرب، شهدت العربية موجة أولى من التطور الدلالي ارتبطت بترجمة العلوم والفنون الحديثة. فالكثير من الألفاظ العربية اكتسبت دلالات جديدة، مثل: الثقافة، الحرية، المجتمع، النظام، الديمقراطية، وغيرها.

وقد نبّه إبراهيم أنيس إلى أنَّ الألفاظ تتطوّر دلالتها بتطوّر الحضارة؛ فما كان غريبًا بالأمس يصبح اليوم مألوفًا، وما كان معنى ثانويًّا قد يصير هو المعنى الأول، وأكّد أنيس أنّ هذا التطور ليس اعتباطيًّا، بل تحكمه حاجات المجتمع المتجدّدة.

ثم جاء تمام حسان في القرن العشرين ليضع إطارًا أكثر منهجية، فيرى أنَّ: "الدلالة تتغيّر بتغيّر الرؤية إلى العالم، وأن اللغة "نظام مفتوح يستوعب المستحدثات عبر آليات الاشتقاق والمجاز ونقل المعنى" (**حسّان، ص268**).

في هذه المرحلة، كان التطور الدلالي يجري غالبًا في فضاء التحديث الثقافي والعلمي (ترجمة، تعليم، صحافة مطبوعة)، أمّا اليوم، في عصر العولمة الرقمية، فقد دخلت عوامل جديدة جعلت من التطور الدلالي مدارًا لتأثير عميق ومتسارع.

ثانياً. مفهوم العولمة وأبعادها المؤثِّرة في اللغة العربية:

أصبحت العولمة في العقود الأخيرة الإطار الناظم لحركة الاقتصاد والمعرفة والتكنولوجيا والثقافة على مستوى العالم، فهي لم تَعُد مجرّد ظاهرة اقتصادية مرتبطة بتحرير التجارة والأسواق، بل تحوّلت إلى منظومة شاملة تُعيد تشكيل أنماط الحياة اليومية، وأنساق القيم، وطرائق التواصل والتمثُّل اللغوي والدلالي، وفي هذا السياق، لم تَبْقَ اللغة بمنأى عن هذه التحوّلات، بل كانت أحد أهم ميادين التأثير والتأثّر، سواء على مستوى المعجم أو البنية أو الاستعمال والسياق.

مفهوم العولمة لغة:

جاء في اللغة أنَّ العولمة: مشتقة من الفعل(عولم)، على صيغة فوعل، واستخدام هذا الاشتقاق يفيد أن الفعل يحتاج لوجود فاعل يفعل، أي أن العولمة تحتاج لمن يعممها على العالم، ويقال فوعل الشيء، أي جعل له فاعلية وتأثيراً، فلفظة العولمة لغة هي من المصادر القياسية والعولمة لغوياً اللغة العربية، وبالتالي هي مصطلح سليم في النحت والتركيب هي تعميم الشيء إلى أبعد حد ممكن، وتطبيقه عالمياً على أوسع نطاق أو هي تعميم الشيء وتوسيع دائرته ليشمل العالم كله(**الدجاني، 1986، ص13**).

وقد أشار بعض الباحثين العرب إلى أن العولمة ترجمة معاصرة لمصطلح(**Globalization**) الإنجليزي، الذي يحيل بدوره إلى توسيع نطاق الظواهر لتشمل العالم بأسره (**الأطرش، 2002، ص37**).

مفهوم العولمة اصطلاحًا:

ليس للعولمة تعريف واحد متفق عليه اصطلاحًا، لكنها تُفهَم في أغلب الأدبيات على أنها ظاهرة مركَّبة ذات أبعاد اقتصادية وسياسية وثقافية وتقنية، ومن أهم التعريفات الاصطلاحية التي يمكن الاستناد إليها:

يرى أنتوني غيدنز أن العولمة هي: "تكثيف العلاقات الاجتماعية على الصعيد العالمي، بما يربط بين الأماكن المتباعدة بطريقة تجعل الأحداث المحلية تتشكّل بفعل أحداث تقع على بُعد آلاف الأميال، والعكس بالعكس" (**غيندز، 2002، ص12**).

يقدّم محمد الأطرش تعريفًا للعولمة من منظور الهوية اللغوية، إذ يصفها بأنها: "عملية تاريخية شاملة تعيد تشكيل العلاقات الاقتصادية والثقافية والمعرفية بين الشعوب، على أساس هيمنة نموذج حضاري واحد، بما ينعكس على أنماط التفكير والتعبير والتمثّل اللّغوي" (**الأطرش، ص40**)".

ويعرّفها فيشمان بأنّها: " منظومة متداخلة من التحوّلات الاقتصادية والتقنية والثقافية، تؤدّي إلى تكثيف حركة المعلومات والرموز اللغوية عبر الحدود، وإلى هيمنة أنماط عالمية في الاستهلاك والتواصل والمعرفة، بما يخلق فضاءً تواصليًا كونيًا تتعرض فيه اللغة الوطنية – في معجمها ودلالاتها واستعمالاتها – لضغوط مستمرة نحو التوحيد والتكيّف مع هذا الفضاء" (**فيشمان، 2006، ص25**).

العلاقة بين اللغة والهوية في عصر العولمة:

1. اللغة كوعاء للهوية:

تُجمع الأدبيات اللسانية والفلسفية على أنَّ اللغة ليست أداة للتواصل فحسب، بل هي وعاء للهوية الفردية والجماعية؛ فهي تحمل رؤية المجتمع للعالم، وطرائق تنظيمه للخبرة، وتاريخه وتراثه وقيمه (**حرب، 2004، ص63**)، ويذهب فيشمان إلى أنَّ اللغة تمثّل "الرمز الأبرز للهوية الإثنية والثقافية، وأنَّ فقدان اللغة أو تهميشها يوازي فقدان جزء من الذات الجماعية" (**فيشمان، ص31**).

ومن هذه الزاوية، تبدو التحوّلات الدلالية التي تشهدها اللغة العربية في سياق العولمة ليست مجرّد ظاهرة لغوية شكلية، بل هي مؤشّر على تحوّل أعمق في أنماط تمثيل الذات والآخر، وفي طرائق بناء المعنى، وفي موازين القوى بين المركز والأطراف على المستوى الرمزي.

2. العولمة والهوية اللغوية:

يتعامل عدد من الباحثين مع العولمة بوصفها تهديدًا مباشرًا للهويات الثقافية واللغوية؛ لأنّها تفرض نموذجًا كونيًا موحّدًا، وتضغط في اتجاه التوحيد اللغوي حول عدد محدود من اللغات المهيمنِة، وفي مقدّمتها الإنجليزية، من هذا المنظور، تُصبح اللغة العربية – بما تمثّله من رصيد ديني وتراثي وحضاري – مهدَّدة بأن تتحوّل إلى لغة هامشية أو محصورة في مجالات محدودة(**بيرك، 2011، ص77**).

لكن في المقابل، يشير بعض المفكرين إلى أن العولمة ليست تهديدًا فقط، بل فرصةً أيضًا؛ إذ تُتيح فضاءً واسعًا لإعادة تعريف الهوية على نحو أكثر انفتاحًا وتعدّدية، شريطة أن يكون المجتمع اللّغوي قادرًا على تحويل هذه التحدّيات إلى موارد، عبر تطوير اللغة وتجديد دلالاتها دون التفريط في جوهرها.

3. التحدّي الذي تفرضه العولمة على اللغة والهوية:

يتمثّل التحدّي الرئيسي الذي تفرضه العولمة في ضغطها المستمر نحو التوحيد المعياري، سواء على مستوى أنماط الاستهلاك أو أنماط الكلام. وتظهر خطورة هذا الضغط في:

- تشجيع استخدام اللغة الإنجليزية أو "العربية الممزوجة" في مجالات العمل والتعليم والبحث العلمي.
- تهميش الفصحى لصالح العاميات الهجينة أو (العربية المعولمة).
- إحلال رموز وخطابات أجنبية محلّ الرموز المحلية.

يصف بيرك هذه الظاهرة بأنّها "صراع صامت بين لغات مهيمنة وأخرى مهددة، تُدار عبر الإعلام والتعليم والاقتصاد، وفي هذا الصراع يضيف أيضاً أنَّ التطور الدلالي في اللغة العربية يصبح ساحة مهمة لهذه الظاهرة، حيث يُظهر قدرة اللغة على الاستيعاب والمقاومة في آن واحد" (**بيرك، ص80**).

4. الاستجابة اللغوية: بين التكيّف والمقاومة:

تؤكّد الخبرة التاريخية أنّ اللّغة ليست كيانًا جامدًا أو سلبيًا، بل هي نظام ديناميكي قادر على التكيّف، وفي الآن نفسه قادر على المقاومة وإعادة إنتاج ذاته. ويُسهم المجتمع اللغوي – بمكوّناته المختلفة: (مجامع اللّغة، الجامعات، المترجمون، الكتّاب، الإعلاميون) – في تشكيل هذه الاستجابة(**فيشمان، ص33**)، وتتجلّى هذه الاستجابة في مستويات عدة، منها(**الشهري، ص87**):

1. **الاستعارة والاقتراض:** قبول بعض الألفاظ الأجنبية كما هي، أو بعد تكييف صوتي/صرفي، كما حدث مع كلمات مثل: (إنترنت، ديمقراطية، ليبرالية).
2. **التوليد والاشتقاق:** خلق ألفاظ جديدة من جذور عربية للتعبير عن مفاهيم مستحدثة، كما تفعل المجامع اللغوية.
3. **إعادة التوظيف الدلالي:** منح ألفاظ عربية قديمة معاني جديدة، بما يتناسب مع التحوّلات الاجتماعية والتقنية – وهو ما يُسمّيه الشهري (الانزياح) في نظام الدلالة.
4. **الترجمة الواعية:** بذل جهود في نقل المصطلحات والمفاهيم بأسلوب يحترم خصوصية البنية العربية، كما تشير عدد من دراسات الترجمة والهوية.

أبعاد العولمة المؤثرة في التطور الدلالي: (الأطرش، ص42)

- **البعد التقني:** ظهور الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي، مما خلق فضاءً رقمياً عالمياً هو الحاضن الرئيسي لانتشار الدلالات الجديدة بسرعة غير مسبوقة.
- **البعد الاقتصادي:** هيمنة النمط الرأسمالي والسوق العالمي، ونشوء مصطلحات اقتصادية جديدة (الخصخصة، العولمة المالية) تؤثر على حياة الأفراد وتفرض دلالاتها.
- **البعد الثقافي والإعلامي:** سيادة ثقافة استهلاكية ونمط حياة واحد، يتم الترويج له عبر الإعلام العالمي، مما يفرض قيماً ومفاهيم جديدة تحتاج إلى تعبير لغوي.

أثر العولمة التقنية في التطوّر الدلالي:

أولاً. التحوّل الرقمي كبيئة لغوية جديدة:

أدّى انتشار شبكة المعلومات الدولية، ووسائط التواصل الاجتماعي إلى خلق فضاء لغوي مختلف جذريًا، إذ ظهرت استعمالات دلالية جديدة لألفاظ عربية قديمة، نتيجة انتقالها من سياق ثقافي تقليدي إلى سياق رقمي سريع الإيقاع، فاللّفظ الواحد أصبح يُستخدم في سياقات متباعدة، مما يفتح المجال أمام تعدّد المعنى وتغيّر المقصود.

ومن أمثلة هذا التحوّل:

- كلمة (متابع) التي كانت تعني في الأصل: من يقتفي الأثر، أصبحت اليوم تعني: عضوًا في شبكة اجتماعية.
- كلمة (محتوى) التي كانت تُستخدم في العلوم والآداب، أصبحت مصطلحًا رقميًا مرتبطًا بصناعة الإعلام.
- كلمة (ترند) أو (رائج): اكتسبت معنى جديدًا يصف سرعة انتشار المعلومة.

ويشير المانع إلى أنَّ وسائل التواصل أسهمت في توليد "طبقة دلالية جديدة داخل اللغة" تتشكّل خارج النوافذ المؤسسية الرسمية(**المانع، 2020، ص112**).

ثانياً. الاقتصاد اللغوي وتكثيف الدلالة:

فرضت العولمة الرقمية أنماطًا اتصالية تقوم على الاختصار والسرعة، مما أدّى إلى انتقال بعض الألفاظ إلى دلالات أكثر عمومية أو أكثر اختزالًا، فمثلاً:

- كلمة: (إبداع) توسّعت دلالتها لتشمل الأعمال الرقمية والفنية والمرئية.
- كلمة: (تفاعل) أصبحت تشير إلى النقر أو التعليق أو الإعجاب.

ويعدّ هذا النوع من التطوّر الدلالي جزءًا من ظاهرة (الاقتصاد اللغوي) التي تحدّث عنها المعجميون المعاصرون(**محمود حسّان، 2017، ص111**).

ثانياً. التطوّر الدلالي الناتج عن العولمة الاقتصادية:

1. الانتقال من المعنى الأصلي إلى المعنى الاقتصادي الدولي:

أدخلت العولمة الاقتصادية معجمًا جديدًا تسرّب إلى العربية عبر الإعلام والاقتصاد وإدارة الأعمال، وقد أدّى هذا إلى تغيّر دلالات كلمات عربية أصيلة نتيجة استعمالها في خطابات جديدة.

من الأمثلة:

- كلمة (استثمار): كانت تشير إلى (تنمية المال)، وأصبحت اليوم مفهومًا واسعًا يشمل رأس المال البشري والتقني والرقمي.
- كلمة: (خدمة) تطوّرت من معنى تقديم المساعدة إلى معنى تقني يشمل خدمات الإنترنت والسحابة الرقمية، ويرى أبو زيد أنّ التطوّر الدلالي هنا "ناتج عن توسّع مفاهيم السوق ليشمل جوانب الحياة كافة" (**أبو زيد، 2018، ص94**).

2. المصطلحات الاقتصادية المعرَّبة ودورها في تغيير الدلالة:

الكثير من المصطلحات الاقتصادية دخلت العربية مع تحوّل الأنظمة الاقتصادية، مثل: الخصخصة، العولمة المالية، الحوكمة، رأس المال الاجتماعي، وقد أصبحت هذه المصطلحات جزءًا من الخطاب العام، وتغيّر معها سياق استخدام كلمات عربية كـ (القيمة، الربح، الكفاءة) نتيجة اقترابها من معنى اقتصادي عالمي.

الآثار السوسيولغوية للتطوّر الدلالي في عصر العولمة: (يوسف، 2021، ص65)

أولاً. ازدواجية الدلالة بين الفصحى والعامية:

أدّى انتشار المنصّات الرقمية إلى تقارب غير مسبوق بين الفصحى والعامية، مما خلق طبقة وسطى لغوية تتبادل فيها الدلالات بين المجالين، فكلمة (صديق) مثلاً: أصبحت تحمل معنى رقميًا يتجاوز معناها الاجتماعي.

ثانياً. تغيّر سلطة المعجم:

ففي السابق، كانت المجامع اللغوية والكتب التراثية هي التي تضبط المعاني، أمّا اليوم فقد انتقلت السلطة إلى:

- الإعلام
- المنصات الرقمية.
- المستخدمين أنفسهم.

وهذا الانتقال أدّى إلى سرعة غير مسبوقة في تطوّر الدلالات.

ثالثاً. تعدّد المصادر الدلالية: تنتج الدلالات اليوم من مصادر متنوّعة:

- الثقافة الأجنبية.
- الاقتصاد العالمي.
- المنصّات الرقمية.
- الإعلام.
- الثقافة الشبابية، ويؤدّي هذا التعدّد إلى (سيولة دلالية) تتغيّر معها المعاني بوتيرة مستمرة.

نماذج تطبيقية على التطوّر الدلالي في عصر العولمة:

ر. م	اللفظ العربي	دلالته الأصلية	دلالته في عصر العولمة
1	متابعة	اقتفاء الأثر	علاقة رقمية في وسائل التواصل
2	منصة	خشبة المسرح	موقع أو تطبيق عالمي
3	محتوى	مضمون الخطاب	منتجات رقمية متعددة الأشكال
4	مجتمع	جماعة بشرية	جماعة ذات اهتمام مشترك online
5	تأثير	فعل معنوي	قدرة رقمية على خلق سلوك جماعي

خاتمة البحث:

بعد دراسة التطور الدلالي للألفاظ العربية في عصر العولمة وتحليل العوامل اللغوية والاجتماعية والتقنية المؤثرة فيه، أمكن التوصل إلى جملة من النتائج التي تكشف طبيعة هذا التحول ومستوياته وآثاره في الهوية اللغوية العربية. فقد أظهرت الدراسة بوضوح أن العولمة – بمظاهرها التقنية والاقتصادية والإعلامية – أسهمت بصورة مباشرة في تسريع وتيرة التغير الدلالي، وأن اللغة العربية لم تبقَ بمنأى عن هذه التحولات، بل تفاعلت معها في إطار من التكيّف والمقاومة في آن واحد.

أولاً. نتائج البحث:

توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

1. التطور الدلالي للألفاظ العربية ظاهرة طبيعية وديناميكية، لكنها أصبحت أكثر سرعة واتساعًا في عصر العولمة، بسبب البيئة الرقمية والتواصل العالمي المفتوح.
2. العوامل التقنية والإعلامية للعولمة هي الأكثر تأثيرًا في نشوء دلالات جديدة للألفاظ العربية، خاصة عبر وسائل التواصل الاجتماعي والمنصات الرقمية.
3. تعددت أنماط التطور الدلالي في العصر الحديث، ومن أبرزها: التوسع الدلالي، الانزياح، تضييق المعنى، ونقل الدلالة إلى سياقات جديدة لم تكن معهودة في الاستعمال السابق.
4. ظهرت طبقة دلالية جديدة في الخطاب الرقمي تداخلت فيها الفصحى مع العامية ومع المصطلحات الأجنبية، مما أدى إلى سيولة دلالية وتغيّر في سلطة المعجم التقليدي.
5. الهوية اللغوية العربية تواجه ضغوطًا دلالية وثقافية بسبب هيمنة النموذج اللغوي العالمي، إلا أنها في المقابل تبدي قدرة ملحوظة على التكيّف عبر الاشتقاق والتوليد وإحياء الألفاظ.

6. العوامل الاجتماعية والنفسية والتاريخية ما تزال فاعلة في التطور الدلالي، إلى جانب العوامل التقنية الحديثة، مما يؤكد أن الظاهرة متعددة الأبعاد وليست أحادية السبب.
7. غياب الجهود المؤسسية الكافية من المجامع اللغوية والمراكز البحثية جعل تأثير العولمة أكثر مباشرة وأسرع في المجال الدلالي.

ثانياً. مقترحات البحث:

تُقترح الدراسة عددًا من الاتجاهات البحثية المستقبلية، من أبرزها:

1. إجراء دراسات تطبيقية موسعة على حقول دلالية محددة (الإعلام، الاقتصاد، التقنية) لرصد الكلمات الأكثر تعرضًا للتغير.
2. تحليل الخطاب الرقمي العربي باستخدام مناهج اللسانيات الحاسوبية لرصد التحولات الدلالية آليًا.
3. إجراء دراسات مقارنة بين العربية واللغات العالمية للكشف عن آليات التأثير المتبادل في الدلالة.
4. دراسة أثر العولمة على دلالة المصطلحات الدينية والتراثية وكيفية حمايتها من التمييع أو التفريغ الدلالي.

ثالثاً. توصيات البحث:

انطلاقًا من النتائج المتوصل إليها، توصي الدراسة بما يلي:

1. تعزيز دور المجامع اللغوية العربية في متابعة التطور الدلالي واعتماده وتوجيهه بما يحافظ على أصالة اللغة ويستوعب المستجدات.
2. إطلاق منصات لغوية رقمية عربية موحدة لرصد الكلمات الجديدة وتفسير دلالاتها وفق منهجية علمية.
3. تطوير برامج تعليمية تعزّز الوعي الدلالي لدى الطلاب، وربط تطور المعنى بالسياق الاجتماعي والثقافي.
4. تشجيع الباحثين على دراسة البيئة الرقمية باعتبارها المجال الأكثر إنتاجًا للتطور الدلالي في العصر الحديث.
5. الاستفادة من آليات الترجمة والاشتقاق والتوليد لاحتواء المصطلحات الأجنبية ومنع هيمنتها على المفاهيم العربية.

قائمة المراجع:

1. إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، ط4، القاهرة، 1980.
2. أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، مقاييس اللغة، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للنشر، ط2، بيروت، 1972.
3. أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمد النجار، دار الكتب العلمية، ط3، بيروت، 1988م.
4. أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم للنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1992.
5. أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني للنشر والتوزيع، ط3، القاهرة، 1992.
6. أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1987.
7. أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تأويل مشكل القرآن، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، 1998.
8. أبو هلال الحسن العسكري، ديوان المعاني، دار الجيل للنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1987، ج1، ص153.
9. أحمد صدقي الدجاني – مفهوم العولمة وقراءة تاريخية، للظاهرة– جريدة القدس، 1986.
10. أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط1، 2008.
11. أنتوني غيدنز، عالم طفل: كيف تغير العولمة حياتنا، ترجمة: محمد الخولي، دار الكتب الوطنية، 2003.

12. برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت،1995.
13. بيتر بيرك، اللغة والهوية، ترجمة: محمد الظاهر، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، الامارات، 2011.
14. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، ط3، القاهرة، 1998.
15. جوزيف فندريس، اللغة، ترجمة: محمد القصاص، وعبد الحميد الدواخلي، مكتبة الأنجلو المصرية، ط4، القاهرة، 1980.
16. جوشوا فيشمان، اللغة والهوية، ترجمة: سعيد الغانمي، الكويت: عالم المعرفة، 2006.
17. حامد محمد قدور، حامد محمد قدور، مقدمة لدراسة التطور الدلالي، مقال منشور، مجلة عالم الفكر، وزارة الإعلام، مجلد 16، عدد3، الكويت.
18. حمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، أبو عبد الله، تفسير ابن عرفة، تحقيق: حسن المناعي، مركز البحوث بالكلية الزيتونية، ط1، تونس، 1986.
19. رائد أبو زيد، العولمة والاقتصاد اللغوي، دار المعرفة للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2018.
20. سامر يوسف، السوسيولغويات الحديثة، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمّان، 2021.
21. ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ترجمة: محمد كمال بشر، مكتبة الشباب، ط3، القاهرة،1977.
22. سعد المانع، اللغة والتحوّلات الرقمية، دار جداول للنشر والتوزيع، الرياض، 2020.
23. عبد الله بن محمد بن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1982.
24. عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ، المزهر في علوم اللغة وانواعها، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكنب العلمية للنشر، ط1، بيروت، 1998.
25. عبد الرحمن بن خلدون، [العِبَر] و ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر العربي للنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1981.
26. عبد السلام المسدي، اللغة والتفكير: قيمة الكلمة في المعجم، تونس: دار الجنوب، 2004، ص 45.
27. عبد الصبور شاهين، العربية لغة العلوم والتقنية، دار الاعتصام، ط2، القاهرة،1986.
28. عبد الهادي بن ظافر الشهري، الانزياح في الدرس اللغوي، دار التدمرية للنشر والتوزيع، الرياض، 2012.
29. علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1983.
30. علي حرب، اللغة والمستحيل، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2004.
31. علي عبد الواحد، علم اللغة، نهضة مصر للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، دس.
32. عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ، البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال للنشر التوزيع، ط3، بيروت، 2003.
33. فتحي السيد إبراهيم، تطور دلالة الألفاظ، مجلة كلية الآداب – جامعة القاهرة، 2005، ص 120.
34. كمال بشر، علم اللغة العام، القاهرة: دار غريب، 2000، ص 223.
35. محمد الأطرش، العولمة والهوية اللغوية، دمشق: اتحاد الكتاب العرب، 2002.
36. محمود حسان، علم اللغة التطبيقي وتطور العربية، مركز دراسات اللغة العربية، بيروت، 2017.

البحث التاريخي والذكاء الاصطناعي: تجريد أم تجويد

حفصة أعبود

باحثة في سلك الدكتوراه بجامعة عبد المالك السعدي أستاذة الاجتماعيات

بالتعليم الثانوي التأهيلي مديرية طنجة–أصيلة – المملكة المغربية

hafssaaaboud7@gmail.com

00212693336182

الملخص:

يشهد العالم الأكاديمي تحولات جوهرية تعيد تشكيل طبيعة البحث العلمي في العلوم التقنية كما في العلوم الإنسانية وخاصة في حقل البحث التاريخي؛ إذ انتقل الباحث من عالم النصوص الورقية التقليدية المصدرية إلى فضاء الخوارزميات والإنتاج الرقمي الذي يعرف تطورات متسارعة .

هذه التحولات تجسدت بشكل لافت مع التطور الكبير في المجال الرقمي، خاصة بظهور الذكاء الاصطناعي الذي يقدم ممكنات هائلة تسهم في إثراء البحث العلمي ودفعه نحو أفق جديد غير مسبوق.

وتجدر الإشارة إلى أن المعرفة التاريخية لطالما ارتبطت بالكتب والمصادر والمخطوطات، حيث كان الباحث يغوص بين صفحاتها وسط الغبار ليكتشف كنوزه المختبئة بين الركام. إلا أن التطور الرقمي الحالي غير المشهد بشكل جلي، حيث بات بالإمكان الوصول إلى الوثائق والمعلومات التاريخية بسهولة من خلال ضغطة زر أو بفضل خوارزميات متقدمة. وهذا بحد ذاته يمثل نقلة نوعية، إذ يوفر للباحثين وقتا وجهدا كبيرين، لكن في الوقت نفسه يفتح الباب لنقاشات متباينة حول تأثير ذلك على جوهر البحث التاريخي خاصة التقليدي.

فبينما يرى البعض أن إدخال الذكاء الاصطناعي في هذا المجال قد أفقد المؤرخ روح التنقيب التقليدي التي اعتبرت جزءا متأصلا من مهمته، يؤمن آخرون بأنه أداة لا تقدر بثمن، تتيح دقة وسرعة غير مسبوقتين مما يرفع جودة العمل البحثي والأكاديمي .

وبين هذا وذاك يظل الاعتماد على التقنيات الحديثة وسيلة أساسية في مدار العلوم الإنسانية والاجتماعية، حيث يلعب الذكاء الاصطناعي دورا متزايد ومتنامي في العلوم الاجتماعية، حيث يوفر أدوات وتقنيات لتحليل البيانات الضخمة، وفهم السلوك البشري، ودراسة الظواهر الاجتماعية المعقدة، والحقل التاريخي جزء لا يتجزأ من هذا المصاف، حيث يوفر الذكاء الصناعي ممكنات هامة من نظير ترجمة لغات قديمة كاللاتينية أو الهيروغليفية وغيرها من اللغات، ومع ذلك هناك سلبيات كثيرة منها التعامل مع خوارزميات موجهة تفضي إلى نتائج متحيزة ومؤدلجة.

الكلمات المفتاح: الذكاء الصناعي–الخوارزميات–التاريخ–المؤرخ–التطور الرقمي–التكنولوجيا.

Historical research and artificial intelligence: abstraction or refinement?

Hafsa Aaboud

PhD Researcher at Abdelmalek Essaadi University

Social Studies Teacher

Secondary School, Tangier-Asilah Directorate -Kingdom of Morocco

Abstract:

The academic world is witnessing fundamental transformations that are reshaping the nature of scientific research in both the technical and human sciences, particularly in the field of historical research. Researchers have moved from the world of traditional paper-based source texts to the rapidly evolving realm of algorithms and digital production.

These transformations have become strikingly evident with the significant advancements in the digital field, especially with the emergence of artificial intelligence, which offers tremendous capabilities that contribute to enriching scientific research and propelling it toward unprecedented new horizons.

It is worth noting that historical knowledge has always been linked to books, sources, and manuscripts, where researchers would delve into their pages amidst the dust to uncover hidden treasures. However, the current digital revolution has dramatically altered this landscape, making it possible to access historical documents and information easily with the click of a button or thanks to advanced algorithms. This, in itself, represents a qualitative leap, saving researchers considerable time and effort. At the same time, it opens the door to diverse discussions about its impact on the essence of historical research, especially traditional research. While some believe that the introduction of artificial intelligence (AI) into this field has deprived historians of the traditional investigative spirit that was considered an integral part of their mission, others believe it to be an invaluable tool, enabling unprecedented accuracy and speed, thus raising the quality of research and academic work.

Between these two perspectives, reliance on modern technologies remains a fundamental aspect of the humanities and social sciences. AI plays an increasingly important role in the social sciences, providing tools and techniques for analyzing big data, understanding human behavior, and studying complex social phenomena. The field of history is an integral part of this landscape, offering significant capabilities such as translating ancient languages like Latin and hieroglyphics. However, there are many drawbacks, including the use of algorithms that can lead to biased and ideologically driven results.

Keywords: Artificial Intelligence, Algorithms, History, Historian, Digital Development, Technology

مقدمة :

يعيش العالم اليوم على إيقاع تحولات تكنولوجية عميقة ومتسارعة. فبعد ثورة الحواسيب والإنترنت التي هزت أسس الفكر الإنساني في القرن العشرين، جاء التطور الهائل في سعات التخزين وقوّة المعالجة والبرمجيات ليفتح الباب واسعا أمام مفهوم جديد: الذكاء الاصطناعي.

بدأ النقاش أولا في الأوساط العلمية المتخصصة حول ماهية هذا الذكاء، وحدوده الأخلاقية والتقنية، ومدى قدرته على تقديم المعلومة بدقة وعلمية تفوق أو توازي الذكاء البشري، بل وتتجاوز قيوده أحيانا. ثم انتقلت هذه التساؤلات بسرعة إلى فضاء الإعلام والصحافة، حيث برز سؤال ملح: هل يستطيع الذكاء الاصطناعي إنتاج تقارير صحفية موثوقة ودقيقة بما يكفي ليخفف العبء عن الصحفيين، أم أنه يشكل تهديدا لمهنة تعتمد أساسا على الحس النقدي والتحقّق الميداني؟

وفي الوقت نفسه، رأى المترجمون في هذه التقنية حليفا قويا يقدم ترجمات فورية عالية الجودة، تختصر الجهد والوقت، وإن بقيت مسألة "الروح" اللغوية والدقة الثقافية محل جدل مستمر.

وبذلك، لم يعد الذكاء الاصطناعي مجرد أداة تقنية، بل أصبح موضوع نقاش وجودي يمس جوهر العمل الإبداعي والفكري الإنساني في مجالات الصحافة والترجمة وغيرهما.

وأمام هذه المحاولات والنقاشات المستفيضة حول هذا المسار المتعلق بالمعرفة والذكاء الاصطناعي، كان لا بد لنا أن نقوم بهذه المحاولة ، المتعلقة بالمعرفة التاريخية وعلاقتها بالذكاء الاصطناعي باعتبار ذلك ضرورة ملحة لا شك أنها طرحت ولا زالت بين جمهرة المؤرخين والباحثين في هذا الصدد، خاصة أن إمكانات الذكاء الاصطناعي تتطور بشكل متسارع في الآونة الأخيرة، على الرغم أن هناك العديد من الباحثين يرفضون هذا النهج ويعتبرون المعرفة الإنسانية معرفة لا تنتج إلا بالعقل البشري، بما في ذلك المعرفة التاريخية التي لا ريب أنها تحتاج إلى البحث والتنقيب والروية في انجاز معطياتها والوصول إلى نتائج أطروحاتها[2]، وليس كالعلوم الحقة التي يمكن أن تصل إلى نتائج يقينية.

–إشكاليةالدراسة :

يطرح الموضوع مجموعة من الإشكاليات الرئيسية التي فحواها العلاقة ما بين المعرفة التاريخية والذكاء الاصطناعي، وهل يمكن أن يعوض الذكاء الاصطناعي العقل الإنساني والوعاء المصدري الخزان الرئيسي للبحث التاريخي، أو على الأقل هل يمكن للذكاء الاصطناعي أن يساعد الإنسان في تجويد بحوثه، والزيادة من دقة موضوعه، وما هي المخاطر المحتملة جراء هذا التعاطي، وهنا نضع الذكاء الاصطناعي في الميزان ما بين المزايا والأضرار التي يحتمل أن تتمخض من هذا الحقل.

–أهمية البحث

تأتي الأهمية الكبرى لهذا العمل في كونه يتناول أحد المواضيع الراهنة والحيوية التي باتت تشغل حيزا واسعا من النقاشات والدراسات في الأوساط الأكاديمية والبحثية المعاصرة، وذلك في ظل التحولات المتسارعة التي يشهدها عالم العلم والمعرفة. فمع التطور الهائل والمتواصل الذي أضحى يحتله الذكاء الاصطناعي كتقنية ثورية، أصبح له حضور بارز وتأثير عميق في مختلف مجالات العلوم الإنسانية والطبيعية على حد سواء، لكنه يبرز بشكل خاص واستثنائي في ميدان المعرفة التاريخية ما بين قبول هذا الحقل أو عدم قبوله، ومن هنا تأتي قيمة هذا البحث في مساهمته الفعلية في هذا الحوار العلمي الدائر، وفي استكشاف الإمكانات والتحديات التي يطرحها هذا التزاوج بين الذكاء الاصطناعي والدراسات التاريخية.

–أهداف البحث

تتجلى أهداف البحث في النقط التالية :

– مواكبة النقاش العلمي حول العلاقة ما بين المعرفة التاريخية والتطور التقني

– جعل المعرفة التاريخية متفاعلة مع التطورات التكنولوجية

–إبراز النواحي الايجابية كما غير الايجابية في العلاقة ما بين التطورات التكنولوجية والمعرفة التاريخية التقليدية.

–حدود البحث

تتجلى حدود هذا البحث في كونه يتناول موضوع الذكاء الاصطناعي وتطبيقاته في مجال المعرفة التاريخية، وهو حقل معرفي لا يزال في طور التكون ، ولم يصل بعد إلى مرحلة الاكتمال أو الاستقرار المنهجي. فالتقنيات المستخدمة تتطور يوميا، والمناهج لا تزال قيد التبلور، والنتائج التي يمكن التوصل إليها اليوم قد تتغير جذريا غدا مع ظهور نماذج أكثر تطورا أو مع اكتشاف قيود جديدة للنماذج الحالية. ومن ثم، فإن أي دراسة في هذا المجال – مهما كانت دقة منهجها أو شمولية تحليلها – تبقى محكومة بطابع الزمنية والتجريبية، ولا يمكنها أن تدعي الإحاطة النهائية بكل أبعاد الموضوع .

–فرضيات الدراسة :

لا شك أن البحث في الموضوع يطرح عدة فرضيات منها:

– أن الذكاء الاصطناعي ضرورة ملحة في المستقبل القادم في الدراسات العلمية والجامعية.

– يطرح استعمال الذكاء الاصطناعي في مضمار المعرفة التاريخية مجموعة من الصعوبات والتحديات مرتبطة بالدقة والموضوعية واحترام الأمانة العلمية.

– المعرفة التاريخية تمتاز عن باقي الحقول المعرفية، وإمكانية استفادتها من الذكاء الاصطناعي تظل محدودة للغاية.

–الدراسات السابقة في الموضوع :

في حقيقة الأمر وفي حقل المكتوب باللغة العربية هناك دراسات قليلة جدا التي اهتمت بهذا الحقل، خاصة في مجال الإنسانيات والاجتماعيات، ومنأهمها:

–ندوة :**الذكاء الاصطناعي ومستقبل التعليم والبحث العلمي،كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية – مراكش ،جامعة القاضي عياض، المملكة المغربية21–22 نونبر 2025.**

–العابد نائلة،التاريخ الرقمي: **كيف يُعيد الذكاء الاصطناعي كتابة التاريخ؟،المجلة الجزائرية للعلوم الاجتماعية، العدد1، يونيو 2025،**[3].

-رومات فاطمة، **العلاقات الدولية وتحديات الذكاء الاصطناعي، منشورات المعهد الدولي للبحث العلمي،2021.**
-بامحمد محمد، **العلوم المعرفية والذكاء الاصطناعي،التنشئة: مجلة تربوية متخصصة مج. 2، ع. 5، 2008، ص. 9–17.**
– ابراهيم القادري بوتشيش ،**مستقبل الكتابة التاريخية في عصر العولمة والانترنيت.**

كما أنه لا يمكن القفز على بعض الدراسات الهامة في هذا الصدد:

-Changyu Deng, Xunbi Ji, **ColtonRainey, Jianyu Zhang, and Wei Lu ; Integrating Machine Learning with Human Knowledge ; iScience 23, ,November 20, 2020 .**
-Marina Johnson , Abdullah Albizri , **Antoine Harfouche , Samuel Fosso-Wamba ; Integratinghumanknowledgeintoartificial intelligence for complex and ill-structuredproblems:Informedartificial intelligence ; International Journal of Information Management ; Volume 64, June 2022.**

وعموما لا يمكن الحديث عن الذكاء الاصطناعي بشكل عام، دونما الاستناد إلى الدراسات الأجنبية التي لها قصب كبير في توضيح حيثيات هذا الموضوع، وتأثيره على المعرفة الإنسانية، ليس في وقتنا الحالي وفقط، بل لقد تنبه الغرب إلى هذه الأهمية ومنذ سنوات التسعينيات، وهنا نشير إلى كتاب بالغ الأهمية موسوم:

– آلان بونيه الذكاء الاصطناعي: واقعه ومستقبله / ؛ ترجمة علي صبري فرغلي،الصفاة : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1993.

أدوات البحث:

تتجلى أدوات البحث المعتمدة في هذا العمل في محورين أساسيين متكاملين:

أولا: الاطلاع المنهجي الواسع على الأدبيات العلمية والدراسات المتخصصة المتعلقة بتداخل الذكاء الاصطناعي مع المعرفة التاريخية، سواء تلك المنشورة باللغات العربية أو الأجنبية، والتي شملت الكتب والمقالات المحكمة .

ثانيا: التجريب العملي المباشر لمجموعة مختارة من برمجيات ونماذج الذكاء الاصطناعي المتقدمة ذات الصلة بالدراسات التاريخية، حيث تم اختبارها في مهام متنوعة.

منهج البحث :

اعتمد البحث في معالجته للموضوع على ثلاثة مناهج أساسية متكاملة، هي:

–المنهج التجريبي: تمثل في التطبيق العملي المباشر على مجموعة من نماذج الذكاء الاصطناعي المتقدمة، حيث تم اختبار قدراتها في مهام تاريخية محددة مثل استخراج المعلومات من النصوص القديمة، وتحليل المخطوطات، والترجمة الآلية للغات تاريخية.

–المنهج المقارن: اعتمد في مقارنة مخرجات نماذج الذكاء الاصطناعي المختلفة (سواء النماذج المفتوحة المصدر أو المغلقة، والنماذج العامة أو المتخصصة في المجال الإنساني) في أداء المهمة نفسها، كما شملت المقارنة بين هذه المخرجات الآلية وبين التحليل البشري التقليدي الذي قدَّمه المؤرخون المحترفون، بغية تحديد نقاط القوة والضعف والانحيازات والفجوات المعرفية.

المنهج التاريخي: تجلى في الإحاطة الشاملة بمسار تطور المعرفة التاريخية نفسها عبر العصور، بدءا من الكتابة التاريخية التقليدية في العالمين الإسلامي والغربي، مرورا بالتحولات المنهجية في القرنين التاسع عشر والعشرين (المدرسة الوضعية، مدرسة الحوليات، المنعطف اللغوي والثقافي)، وصولا إلى الراهن الرقمي الذي يشهد دخول الذكاء الاصطناعي كعامل ثوري جديد في إنتاج المعرفة التاريخية وتأويلها ونشرها.

–ماهية الذكاء الاصطناعي:

يعتبر الذكاء الاصطناعي مصطلح ازداد استخدامه مؤخرا في ظل النهضة التقنية التي يشاهدها العالم في مجال تطوير الآلات. رغم أن "الذكاء الاصطناعي" كان مجرد حلم يطرحه المخرجون في أفلام الخيال حتى منتصف القرن العشرين إلا أنه أصبح اليوم واقعا ملموسا نلجأ إليه في كثير من الأوقات حتى إن كنا في بعض الأحيان لا ندرك ذلك. في حقيقة الأمر تحديد ما إذا كانت الآلة التي نستخدمها تتسم بالذكاء الاصطناعي أمر صعب ونسبي، فلا يوجد تعريف محدد للذكاء، لكن يمكننا القول بإختصار أن الذكاء الاصطناعي هو فرع من فروع العلم يهتم بالآلات التي تستطيع حل ذلك النوع من المسائل التي يلجأ الإنسان عند حلها إلى ذكائه. لقد عرض هذا التعريف مارفنمينسكي(**بوينه،1993، 55**)، أحد أشهر العلماء المختصين بالعلوم الإدراكية والمعرفية في مجال الذكاء الاصطناعي في كتابه "في الطريق لبناء الذكاء الاصطناعي".(**الفرا،2012، 12**)

تعود البدايات الأولى للذكاء الاصطناعي إلى سنة 1956 في الولايات المتحدة الأمريكية على يد مجموعة من الباحثين أهمهم، جون مكارثي، مارفنمينسكي، ناثينلروتسشر، وكلود شانون، فقد كانت الغاية في بداية الأمر محاكاة السلوك الإنساني، والقيام بمهام تشبه الذكاء البشري، غير أن التطور التكنولوجي الحالي يسير إلى أن الذكاء الاصطناعي يمكن أن يتفوق على الذكاء البشري.

وقد برز في الساحة العالمية اتجاهين، الأول يؤكد على أهمية الذكاء الاصطناعي وأهميته القصوى في المجال العلمي والفكري والتقني، بينما الاتجاه الثاني يشير أن زيادة الاحتكاك مع هذا الحقل سوف يفصل الإنسان تدريجيا عن محيطه الطبيعي والاجتماعي والبشري، وأن يفقد التفاعلات الإنسانية مرونتها التقليدية. (**خليفة،2017، 65**)

–تطور المعرفة التاريخية:

تطورت المعرفة التاريخية على مجموعة من المستويات، من الكتابة السردية، إلى الأنماط التحليلية، وصولا إلى عوالم العولمة والتقنية، التي فرضت على الباحث جلة من السمات والخصائص المعرفية والمنهجية، فلا يخفى علينا أنه في الفترة الآنية، خاصة مع التطورات اللافتة للتكنولوجيات أن مفهوم البحث التاريخي قد تغير جذريا. فلا بحث تاريخي دون مراعاة التطور التكنولوجي، ولا يمكن مباشرة البحث الأكاديمي دون الاستفادة من المعطيات الرقمية أو اكتشاف ما توفره تقنيات الذكاء الاصطناعي، ومحركات البحث الكونية، والمكتبات الإلكترونية، التي تقرب على الباحث المسافات، وتضم بين طياتها جلة من المعطيات، والأرشيفات. وفي مقابل ذلك تطرح هذه المعرفة مجموعة من الإشكاليات، في طريقة التعاطي معها، ورصد جوانبها، والبحث في أرصدتها، والإحالة على معطياتها.

لقد أضحى البحث العلمي لا يستند على قيمة الورقي فحسب، بل أضحى الطالب والباحث لا بد له من المساحلة في جوانب كثيرة وعديدة توفر المعلومة شريطة التعاطي معها بطريقة علمية مثلى، تجنب فخ السرقة العلمية [4]،وتجعله يستفيد من الذكاء الاصطناعي بطريقة علمية تراعي الأمانة. ولا بد للمؤرخ والباحث أن يندمج في مسارات الذكاء الاصطناعي سواء من ناحية الاستفادة منها، أو الإشارة إلى مكامن سلبياتها.

–المعرفة التاريخية والذكاء الاصطناعي: منهجية تطبيقية

لقد ارتأينا أن تكون محاولة الربط بين المعرفة التاريخية وتطبيقات الذكاء الاصطناعي عبارة عن مقاربة تطبيقية، بحيث نبتعد عن التنظير ونحاول أن نطبق في هذا الصدد، خاصة مع تقنية chat gpt، وهو ما سوف نقوم بتطبيق بعض المعطيات والأسئلة عليه، محاولين تبيان قيمتها المعرفية:

لقد حاولنا سؤال الذكاء الاصطناعي حول المعرفة التاريخية هل هي علم أم فن:

التاريخ يمكن اعتباره تركيبة من العلم والفن. ومع ذلك، فإنه يمكن تصنيفه بشكل عام كعلم اجتماعي. يعتمد الدراسة التاريخية على جمع الأدلة والمعلومات وتحليلها بطرق منهجية ومنطقية لفهم الأحداث التي وقعت في الماضي.

التاريخ كعلم يعتمد على استخدام المنهج العلمي في جمع الأدلة والمصادر التاريخية وتحليلها بشكل نقدي. يستخدم المؤرخون المنهجية العلمية لفحص الأدلة، وتحليل الأحداث، وبناء النظريات التاريخية. يهدفون إلى الوصول إلى فهم موضوعي للأحداث وتوضيح العلاقات السببية والتأثيرات التاريخية.

مع ذلك، فإن التاريخ أيضًا يتطلب قدرًا من الإبداع والتفسير الفني. يتعين على المؤرخ أن يقوم بتوصيل الأحداث والقصص التاريخية بشكل قصصي وسلس، وأحيانًا يتطلب ذلك استخدام الخيال التصويري لتعبئة الفجوات في الأدلة المتاحة. يستخدم المؤرخون أساليب السرد والكتابة الأدبية لجذب القارئ وإيصال أفكارهم.

بالتالي، يمكن القول أن التاريخ يجمع بين العناصر العلمية في جمع الأدلة والتحليل، والعناصر الفنية في التواصل والتصوير التاريخي. إن الاستخدام المتزن لكلا الجانبين يساعد في فهم شامل للأحداث التاريخية وإيصالها بطريقة تثري المعرفة وتلهم الإبداع.[5]

لقد أنجز الذكاء الاصطناعي فقرة متناسقة حول هذه الاشكالية، فيها توفيق بين التصورين، لكن لا بد أن نسجل هنا بعض الملاحظات:

-ما يعاب على الذكاء الاصطناعي هو عموميته، بحيث أنه يتكلم بشكل عام دون أن يستند الى مصدر او مرجع يحلل قوله، وهذا كان من بين اهم الانتقادات التي وجهت للذكاء الاصطناعي عالميا.

-جواب الذكاء الاصطناعي لا يحتوي على قدرة كبيرة على تقديم الحجج والبراهين، أو الاستناد الى جانب مرجعي، فقد كنت على الاقل أنتظر أن يستند الذكاء الاصطناعي على مرجع مهم في هذا الصدد: ج.هرنشو: علم التاريخ.

- لا يتفوق الذكاء الاصطناعي على الذكاء الانساني في الحقل التاريخي، فما كتب هو شيء عادي وبامكان طالب في سلك التاريخ أن ينجزه.

-تطبيقات في خدمة البحث التاريخي

ولا بد أن نشير إلى برامج وتطبيقات معدة خصيصا لخدمة الباحثين في التاريخ، تسعى إلى تجويد الحقل التاريخي وتعزيز التفاعل مع الماضي بطرق مبتكرة وغامرة. ومن أبرز هذه التطبيقات تطبيق Hello History AI، الذي يُعدُّ بوابة حوارية فريدة مع الشخصيات التاريخية.

يعتمد Hello History على نماذج الذكاء الاصطناعي التوليدي (مثل GPT-4 وما بعده) ليحاكي شخصيات تاريخية حقيقية بدقة عالية، مستندا إلى كم هائل من المصادر التاريخية الموثقة (كتب، وثائق، رسائل، مذكرات، دراسات أكاديمية). يمكن للمستخدم أن يجري حوارا مباشرا – باللغة العربية أو غيرها – مع شخصيات مثل صلاح الدين الأيوبي، كليوباترا، أبو بكر الصديق، ابن خلدون، أو حتى هتلر وتشرشل وروزفلت، فيجيبون بأسلوبهم الخاص، بلهجتهم الزمنية، وبما يتناسب مع معرفتهم التاريخية حتى لحظة وفاتهم أو آخر حدث معروف عنهم.

-أهمية التطبيق في تجويد البحث التاريخي:

-تعميق الفهم العاطفي والنفسي للشخصيات: بدلا من قراءة الوثائق فقط، يتيح التطبيق "سماع" صوت الشخصية وكيف كانت تفكر وتبرر قراراتها، مما يضيف بعدا إنسانيًا غائبا غالبا في الكتب التقليدية.

-اختبار الفرضيات التاريخية بسرعة: يستطيع الباحث أو الطالب أن يسأل "ماذا لو؟" أو "لماذا اتخذت هذا القرار؟" فيحصل على إجابات مستندة إلى المصادر.

-تدريس التاريخ بطريقة تفاعلية: يستخدم في الفصول الدراسية ليحاور المتعلمين شخصيات تاريخية مباشرة، مما يرفع مستوى الاهتمام والاستيعاب.

-كسر الحواجز اللغوية والثقافية: يدعم عشرات اللغات، ويعطي الإجابات بلغة المتحدث الأصلية للشخصية التاريخية إذا أراد المستخدم (مثلًا حوار مع ابن رشد بالعربية الفصحى الكلاسيكية)..

وفي برمجة أخرى من برمجيات الذكاالاصطناعي هي grok عندما طالبنه بنصوص حول تاريخ المغرب في عهد الحماية، حيث أعطى بعض المعطيات مدعمة بعناوين مراجعهاومنها:

الجيلالي، عمر. (1985). تاريخ المغرب من الاستعمار إلى الاستقلال 1900-1956. دار القلم.

العروي، عبد الله. (1993). مجمل تاريخ المغرب. المركز الثقافي العربي.

جوليان، شارل أندريه. (1978). المغرب في وجه الامبرياليات 1415-1956. ترجمة، دار القلم.

الفاسي، علال. (1954). الاستقلال المغربي في الحركة الوطنية. مطبعة الرسالة[6]

وبعض التريث والتمحي، وجدنا أن الكتاب الوحيد الحقيقي هو كتاب عبد الله العروي، وكتاب شارل اندري جوليان برغم أنه لم يترجم كما يشير الحامل، بينما باقي الكتب فهي اما محرفة أو غير واقعية

حاولنا مرة اخرى أن نبين مدى حضور المعرفة التاريخية الرصينة في مسارات الذكاء الاصطناعي بسؤال حول مصادر تاريخ المغرب، راغبين في الحصول على مؤلفات تؤرخ للمغرب من نظير: الانيس المطرب بروض القرطاس، والدرر الفاخرة بمأثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة وغيرها من المصنفات..

"هناك العديد من المصادر المتاحة لدراسة تاريخ المغرب. إليك بعض المصادر المهمة:

- الوثائق الأرشيفية: تشمل الوثائق الرسمية والأرشيفية التي يمكن العثور عليها في المؤسسات الحكومية والمكتبات والمراكز الثقافية. تشمل هذه الوثائق الأحكام والمراسيم والمحاضر والوثائق الإدارية الأخرى التي تسلط الضوء على الأحداث التاريخية.
- المخطوطات: تعتبر المخطوطات التاريخية مصدرًا قيمًا للمعلومات عن تاريخ المغرب. تحتوي على الكتب والمؤلفات والوثائق الأخرى التي كتبها العلماء والمؤرخون في فترات مختلفة. يمكن العثور على المخطوطات في المكتبات والمراكز الثقافية والمؤسسات الأكاديمية.
- الكتب والمؤلفات التاريخية: هناك العديد من الكتب والدراسات التاريخية التي تتناول تاريخ المغرب. يمكن العثور على هذه المصادر في المكتبات والمراكز الأكاديمية والمتاحف. من بين الكتب المعروفة يمكن ذكر "تاريخ المغرب" للمؤرخ إبراهيم حركات، و "مجمل تاريخ المغرب" للمؤرخ عبد الله العروي.
- المواقع التاريخية والأثرية: يمكن زيارة المواقع التاريخية والأثرية في المغرب لاستكشاف الأدلة المادية على التاريخ المغربي. تتضمن هذه المواقع المدن العتيقة مثل فاس ومراكش ومكناس، والقصور والمتاحف والمواقع الأثرية الأخرى.

- السجلات الشفهية والقصص التقليدية: يعتبر الحفاظ على التقاليد الشفهية والقصص التقليدية جزءًا مهمًا من تاريخ المغرب. يمكن الحصول على معلومات قيمة من الشهود العيان وأجيال سابقة من خلال سرد القصص التاريخية والحكايات التقليدية.

تذكر أنه لضمان دقة وموضوعية الأبحاث التاريخية، يجب التحقق من مصداقية المصادر والمعلومات والتحقق منها من خلال مصادر متعددة. كما يُنصح بالاستعانة بالمؤرخين والخبراء المتخصصون في تاريخ المغرب للحصول على توجيهات ونصائح إضافية."

–لقد كانت النتائج تتسم بالعمومية، فما ذكره الذكاء الاصطناعي قد يكون في أي منطقة جغرافية في العالم، حيت توجد المصادر المادية والأثرية والروايات الشفهية، كما أن الذكاء الاصطناعي أشار الى إبراهيم حركات وعبد الله العرويمصدرين، وهما في حقيقة الأمر مرجعين.

–إن الذكاء الاصطناعي يلجئ إلى الإنسان في حالة عدم وجود معطيات كافية بخصوص الموضوع حيت أشار في اخر المقالة الى ما مضمونه: كما يُنصح بالاستعانة بالمؤرخين والخبراء المتخصصون في تاريخ المغرب للحصول على توجيهات ونصائح إضافية."

–لا يقدم الذكاء الاصطناعي سوى معلومات عامة، لكنها في نفس الآن تظل أساسية للمعرفة التي لا زالت في بدايتها، ولا ينصح بها بالنسبة للباحثين الأكاديميين في مجال المعرفة.

–مطلب التجويد بين المعرفة التاريخية الذكاء الاصطناعي

يوفر الذكاء الاصطناعيمجموعة من الميزات منها:

–الوصول السريع إلى كم هائل من المصادر: يستطيع الذكاء الاصطناعي تلخيص آلاف الصفحات، مقارنة الروايات، استخراج الاقتباسات، واكتشاف الأنماط عبر لغات وثقافات مختلفة في ثوان، شريطة الضبط والتحري.

–ترجمة فورية وفهم النصوص القديمة: تحسين قراءة المخطوطات العربية المغربية المكتوبة بخط مغربي أو أندلسي، أو مقارنة النصوص اللاتينية

–إنتاج فرضيات جديدة: عن طريق ربط بيانات تبدو غير مترابطة (مثل مقارنة أنماط الهجرة في القرن 16 بالتغيرات المناخية في المغرب).

–تسهيل التعليم ونشر المعرفة: يسمح للباحثين المبتدئين أو الجمهور العام بالاقتراب من موضوعات معقدة كتاريخ الحماية أو الدولة السعدية بسرعة.

–مخاطر التجريد في عالم الذكاء الاصطناعي

–فقدان السياق الإنساني والحساسية الثقافية: النماذج تدرّب على كم هائل من النصوص الغربية غالبا، مما يجعلها تميل إلى تفسير تاريخ المغرب (مثلا) من منظور استعماري أو أورو–مركزي.

–الهلوسة: حتى أفضل النماذج المطورة بحر هذا العام (2025) لا تزال تخترع مراجع أو تفاصيل غير موجودة. مثال شهير: نماذج سابقة كانت تختلق معارك أو تواريخ في حرب الريف أو تخلط بين شخصيات تاريخية، أو كتب غير موجودة كما أشرنا.

–تبسيط مفرط: التاريخ ليس "حقائق" فقط، بل هو نقاش دائم. الذكاء الاصطناعي يميل إلى تقديم رواية "متوازنة" صناعيا، فيخفف من حدة الخلافات الحقيقية بين المؤرخين (مثل الجدل حول دور السلطان عبد الحفيظ في توقيع الحماية: خيانة أم ضرورة؟).

–إضعاف مهارات البحث الأصلي: عندما يصبح الطالب أو الباحث يعتمد كليا على الذكاء الاصطناعي لكتابة بحثه، يفقد تدريب العقل على النقد المصدري والصبر والشك المنهجي – وهي جوهر مهنة المؤرخ.

–الاعتماد على بيانات غير متكافئة: تاريخ المغرب في الفترة الاستعمارية موثق بشكل أساسي في أرشيفات فرنسية وإسبانية، بينما الأرشيف المغربي أقل رقمنة. الذكاء الاصطناعي يعيد إنتاج هذا الخلل إذا لم ننتبه.

حيث أن الذكاء الاصطناعي لا يجود البحث التاريخي ولا يجرده؛ بل يجوده إذا استخدم كـ"مساعد باحث ذكي" يوضع تحت رقابة المؤرخ البشري، ويجرده إذا استبدل بالمؤرخ نفسه.

على سبيل الختام:

لا يزال موضوع توظيف الذكاء الاصطناعي في المعرفة التاريخية في بداياته الأولى، وهذا المقال المتواضع لم يكن إلا محاولة أولية لطرق الباب وفتح النقاش بأسلوب مبسط قدر الإمكان. والحق أن كثيرًا من القضايا التي أُثيرت لا تزال في أمسّ الحاجة إلى بحوث أعمق ومناقشات مستفيضة وتدارس جماعي من قبل المتخصصين.

ومن أبرز الخلاصات التي يمكن استخلاصها:

1. الذكاء الاصطناعي، رغم الإنجازات المذهلة التي حققها في السنوات الأخيرة، لم يصل بعد في مجال التاريخ إلى درجة النضج الكامل، ولا يزال بحاجة ماسة إلى تطوير مستمر في الأجيال القادمة من البرامج والنماذج الذكية حتى يصبح أكثر دقة وأمانة علمية.
2. ينبغي على الباحثين والدارسين في الجامعات المغربية والعربية أن ينخرطوا بجدية في هذا الحقل الرحب، لأنه سيطرح – لا محالة – إشكالات معرفية ومنهجية وأخلاقية كبرى خلال السنوات القادمة، في وقت يتسارع فيه البحث الرقمي بوتيرة غير مسبوقة.
3. من الضروري تنظيم أيام دراسية ولقاءات علمية دورية في الجامعات والمراكز البحثية العربية للتعريف بإمكانات الذكاء الاصطناعي في دراسة التاريخ، وفي الوقت نفسه لتسليط الضوء على مخاطره المحتملة على الأمانة العلمية والرواية التاريخية.
4. أثبتت التجارب البسيطة التي أجريناها (سواء عبر أدوات مثل Hello History أو غيرها) أن الذكاء الاصطناعي، مهما بلغ من الدقة والإبداع، لا يمكنه بحال من الأحوال أن يحل محل الذكاء البشري والحس النقدي للمؤرخ؛ فالبشري يظل هو الأصل والمرجع والضامن للمعنى والسياق والقيمة الأخلاقية.

نافلة القول إن هذه الصفحات لم تكن سوى خطوة أولى في طريق طويل، ومحاولة لاستكشاف مدى توافق تخصصنا البحثي – التاريخ – مع هذه التطورات التكنولوجية المتلاحقة التي باتت تفرض نفسها على ساحة النقاش العلمي العالمي والعربي.

البيبليوغرافيا:

1- الكتب

1. –سليمان يعقوب، الفرا. (2012)، الذكاء الاصطناعي، مجلة البدر، العدد4.
2. –إيهاب، خليفة.(2017)، الذكاء الاصطناعي: تأثيرات تزايد دور التقنيات الذكية في الحياة اليومية للبشر، مجلة اتجاهات الأحداث، العدد 20.
3. آلان، بونيه. (1993)، الذكاء الاصطناعي: واقعه ومستقبله /؛ ترجمة علي صبري فرغلي،الصفاة: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

– المواقع الالكترونية

https://chat.openai.com/
https://grok.com/c
https://www.humy.ai

جماليات الانزياح النحوي في الشعر الأندلسي

(ظاهرة التقديم والتأخير أنموذجًا.)

م. م. حيدر عبد الكاظم اسماعيل

مديرية تربية بابل

h836788@gmail.com

الملخص

تتناول هذه الورقة البحثية براعة الشاعر الأندلسي في توظيف أساليب اللغة العربية واختراق أعماقها الدلالية. وتركّز الدراسة على قدرته على الانتقال من البنى السطحية للغة إلى بنى عميقة، تتفجر منها دلالات جديدة، مما يضفي على تراكيبه الشعرية قيمة جمالية استثنائية تمكنه من تشكيل اللغة بما يتجاوز المألوف والسائد. وتعتمد البحث في تحليله على ظاهرة الانزياح بوصفها مدخلاً أساسياً، مستنداً إلى نماذج مختارة من الشعر الأندلسي لتسليط الضوء على جماليات أسلوب التقديم والتأخير وكيفية توظيفه لدعم المعنى.

الكلمات المفتاحية: الشعر الأندلسي، الانزياح الأسلوبي، جماليات اللغة، التقديم والتأخير.

The Aesthetics of Grammatical Deviation in Andalusian Poetry (The Phenomenon of Foregrounding and Backgrounding as a Model)

Haider Abdul Kazem Ismail

Babel Education Directorate

Abstract

This research paper examines the ingenuity of Andalusian poets in employing Arabic linguistic methods and probing their semantic depths. The study focuses on their ability to transition from the superficial structures of the language to deeper ones, from which new meanings erupt. This imbues their poetic constructions with exceptional aesthetic value, enabling them to mold language that transcends the conventional and the commonplace. The analysis relies on stylistic deviation as a primary approach, drawing on selected models from Andalusian poetry to highlight the aesthetics of foregrounding and backgrounding and how they are utilized to reinforce meaning.

Keywords: Andalusian Poetry, Stylistic Deviation, Linguistic Aesthetics, Foregrounding and Backgrounding.

- **إشكالية البحث**

ينطلق هذا البحث من التساؤل الرئيسي :**كيف أسهمت ظاهرة التقديم والتأخير – بوصفها أسلوباً بلاغياً نحويّاً – في تشكيل جماليَّة النص الشعري الأندلسي، وتوليد دلالات تتجاوز المعنى المباشر؟**

يتفرع عن هذا التساؤل الأسئلة التالية:

1. ما الأغراض البلاغية والدلالية التي تخدمها ظاهرة التقديم والتأخير في السياقات المختلفة داخل القصيدة الأندلسية؟
2. كيف تفاعلت هذه الظاهرة الأسلوبية مع خصائص البيئة الأندلسية (كالتغني بالطبيعة، والحنين، وروح التفاعل الحضاري) لتخلق أنماطاً جمالية فريدة؟
3. إلى أي درجة يمكن عدّ الانزياح النحوي عبر التقديم والتأخير ملمحاً أسلوبياً يميز الشعر الأندلسي ويساهم في تعبيره عن روح العصر وهموم الإنسان؟

- أهمية البحث

1- الأهمية العلمية (المعرفية):

آ- يسهم البحث في إثراء الدرس البلاغي والأسلوبي للشعر الأندلسي، من خلال التركيز على مستوى نحوي دقيق غالباً ما يتم إغفاله لصبل المستويات الصوتية أو المعجمية.

ب- يكشف عن جانب من جوانب الإبداع الفني لدى الشاعر الأندلسي، الذي لم يكن مجرد ناقل للتقاليد الشعرية المشرقية، بل مطور ومبدع فيها بما يناسب بيئته.

2- الأهمية التطبيقية:

آ- يقدم البحث نموذجاً تطبيقياً يمكن أن يُحتذى به في تحليل النصوص الشعرية الأخرى، من خلال ربط الظاهرة النحوية بالدلالة والجمالية.

ب- يخدم دارسي الأدب والبلاغة والنقد الأدبي، من خلال تقديم أداة تحليلية دقيقة لفهم أعمق لأسرار النص الشعري وإيحاءاته.

- أهداف البحث

يسعى هذا البحث إلى تحقيق الأهداف التالية:

1- الهدف الرئيسي: تحليل الأبعاد الجمالية والدلالية لظاهرة التقديم والتأخير في نماذج مختارة من الشعر الأندلسي.

- الأهداف الفرعية:

1- رصد الأنماط المختلفة لظاهرة التقديم والتأخير (تقديم الفضلة على العامل، تقديم المعمول على العامل، تقديم المسند إليه... إلخ) في النماذج المختارة.

2- تحديد الوظائف البلاغية (كالتخصيص، والاهتمام، والتشويق، والحصر) التي تؤديها كل حالة.

3- الكشف عن مدى توافق هذه الظاهرة الأسلوبية مع المضمون العاطفي والفكري للقصيدة.

4- بيان دور التقديم والتأخير في إبراز الخصائص النفسية والاجتماعية للإنسان في الأندلس، مثل الحنين أو التعلق بجمال الطبيعة.

- منهج البحث

سيعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي، وذلك من خلال الخطوات التالية:

1- الرصد والوصف: سيبدأ بجمع النماذج الشعرية الأندلسية التي تتضمن حالات واضحة للتقديم والتأخير، مع وصف السياق الذي وردت فيه ووصف الحالة النحوية بدقة.

2-التحليل: ستخضع هذه النماذج للتحليل الأسلوبي والبلاغي، لفحص الأثر الذي أحدثه الانزياح النحوي في المعنى، وكيف ساهم في بناء الصورة الشعرية وإيقاعها الداخلي.

3- التأويل: سيتجاوز التحليل الشكل النحوي إلى تأويل الدلالات النفسية والجمالية التي تولدت عن هذا الانزياح، وربطها بالبيئة الأندلسية الخاصة.

4- الاستنباط والاستنتاج: في الختام، سيتم استخلاص النتائج التي توضح الخصائص الجمالية التي أضافها التقديم والتأخير للشعر الأندلسي، والإجابة عن أسئلة البحث الإشكالية.

وبهذا المنهج المتكامل، يأمل البحث أن يقدم رؤية جديدة تُظهِر عمق التفاعل بين الشكل النحوي والمضمون الجمالي في تراثنا الشعري الأندلسي الثري.

1- المقدمة

لقد حظيت ظاهرة التقديم والتأخير باهتمامٍ كبيرٍ من قِبَل اللغويين والبلاغيين العرب القدامى، الذين نبهوا إلى طبيعتها التركيبية العميقة وأبعادها الدلالية البليغة. ويُعَدُّ سيبويه من أوائل من أشار إلى هذه الظاهرة، إذ يرى أن أهم أغراضها يكمن في العناية والاهتمام، حيث يقول: "إنما يقدمون الذي... أهمّ لهم، وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعاً يهمانهم ويعنيهم" (**سيبويه ، 1988، ج1، 24**)ويرى سيبويه كذلك أن من أغراض هذه الظاهرة "بيانُ ما هو أهمُّ للمتكلم، وهو به أشدُّ عنايةً، وإن كان كلُّ ما يذكره يهمه ويعنيه". فهذا الانزياح التركيبي يكشف عن الحالة الذهنية للمتكلم، وما ينتابه من شكٍّ أو يقينٍ إزاء مضمون كلامه، مما

يدفعه إلى تعديل وضع الألفاظ عن ترتيبها المألوف، لينقل للمستمع درجة اهتمامه وطبيعة نظرته إلى المعنى. (سيبويه ، 1988، ج1، 24).

وتتميز اللغة العربية بدرجة عالية من المرونة تجاه هذه الأسلوبية الشعرية، مما يمنح المبدع حرية واسعة في تنظيم الدوال وترتيب مكونات الجملة بما يحقق التأثير البلاغي المنشود. وتتحقق هذه الحرية من خلال اعتماد الشاعر على ما يُعرف بالرتب غير المحفوظة في الكلام، وهي المواضع النحوية التي تسمح له بالتصرف في مواقع الكلمات وتقديم ما يشاء أو تأخيره، دون الخروج على قواعد اللغة، تحقيقاً للغاية الفنية والمعنوية التي يبتغيها (**صادق ،1998، 113**) .

وتهدف الدراسة الحالية، من خلال تقصّي جماليات التقديم والتأخير في شعر الانكسار الأندلسي، إلى الكشف عن الطاقات التعبيرية الهائلة التي وظّفها الشعراء في تشكيل خطابهم الشعري. وتأتي أهمية هذه القراءة من كون المادة الشعرية الأندلسية زاخرةً بإبداعٍ استطاع بلوغ مراتبَ جليلةٍ من الفن والجمال. وستحاول الدراسة تتبع ارتباط هذه الأسلوبية بموضوع الانكسار وإبراز تجلياتها المختلفة، مع الوقوف على دلالاتها ومساهمتها في تشكيل هذه الظاهرة شعراً.

وسينحصر التركيز في هذا المسعى على دراسة مظاهر التغير الاختياري، أو ما يُعرف اصطلاحاً بـ "الرتبة غير المحفوظة"، استناداً إلى التقسيم النحوي التقليدي الذي يقسّم رتبة الكلمة في الجملة إلى: رتبة محفوظة يلزم فيها تقديم عنصر على آخر، ورتبة غير محفوظة يتاح فيها التصرف في الموقع بحسب مقتضيات المعنى والبلاغة. (**مصطفى،498،1980**)وتعبّر الرتبة غير المحفوظة عن حرية العنصر النحوي في شغل موقعيه المحتملَين من حيث التقديم والتأخير. ومن هذا المنطلق، تتجه الدراسات الأسلوبية عمومًا إلى تحليل هذه الرتبة بالذات، إذ يجعلها الأسلوبيون الإطار النظري لفهم الانزياح التركيبي أو ما يُسمى العدول عن النظام النحوي المعياري، وذلك من خلال تناولهم لظاهرة التقديم والتأخير كأحد أبرز تجلياته. (**تمام،371،2006**)وأثرها مع المعاني الأدبية.

1- 2. تقديم الخبر على المبتدأ

ظهر استخدام أسلوب تقديم الخبر على المبتدأ بشكل بارز في شعر الانكسار الأندلسي، حيث أسهم هذا الانزياح النحوي في تشكيل جمالية تعبيرية متميزة، وكشف في الوقت نفسه عن غنى النصوص بالبنيات الأسلوبية المتعددة. إضافة إلى ذلك، أضفى هذا الأسلوب بعداً جمالياً على مستوى النص الكلي كما على مستوى المقاطع والتفاصيل الشعرية التي يتألف منها.

ومن الأمثلة على ذلك قول أبي البقاء الرندي: من البسيط(**المقري،(د.ت)،487**)

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ نُقْصَانُ ... فَلَا يُغَرَّ بِطِيبِ الْعَيْشِ إِنْسَانُ

هِيَ الأُمُورُ كَما شاهَ دتُّها دُوَلٌ ... مَن سَرّهُ زَمَن ساءَتهُ أَزمانُ

وَهَذِهِ الدارُ لا تُبقي عَلى أَحَدٍ ... ولا يَدُومُ عَلى حالٍ لَها شانُ

يبرز حكمة الشاعر منذ المطلع الشعري من خلال طرحه لقضية عميقة، هي اكتمال الأشياء ونقصانها المحتوم. فالنقصان هو المصير الذي يلاحق كل شيءٍ بلغ التمام. ولتجسيد هذه الفكرة، عدل الشاعر عن الترتيب النحوي المألوف، فقدم الخبر شبه

الجملة (لِكُلِّ شَيْءٍ) على المبتدأ (نُقْصَانُ)، ليتصدر المشهد التركيبي، على تقدير: نقصانٌ لكل شيء. وقد اختار لفظ "كل شيء" ليعمم الحكم ويشمل جميع الموجودات الثابتة والمتحققة.

ويخدم هذا الانزياح غرضاً مزدوجاً: نفسيٌ وفني. فهو من جهة يُخفف وطأة المأساة ويهوّن من فداحة الفاجعة التي حلّت بالمدن الإسلامية، ومن جهة أخرى يجذب انتباه المتلقي إلى حتمية النهاية التي تنتظر كل شيء، بما فيها سقوط الأندلس ذاته.

كما عزز الشاعر هذا الخرق التركيبي باستخدام أسلوب الاعتراض في الجملة (إذا ما تَمَّ)، الذي فصل بها بين المسند والمسند إليه. ويكمن دور هذا الاعتراض في كونه "يشكل خرقاً للمألوف من الألفاظ في تتابعها التركيبي؛ إذ إنه يوقف سير السرد الشعري، بهدف إيضاح شيء أو تأكيد شيء، وهذا الإيقاف لمسارية التتابع هو انزياح عن المألوف، إذ يأتي بين الفعل والفاعل، أو بين المبتدأ والخبر [...] ويترك بصمته في التركيب اللغوي، بأن يبعث فيه فاعلية وحيوية، تلفت الانتباه إليه، وتسيره نحو الوظيفة الجمالية (الشعرية) التي تمتزج مع الوظيفة الإبلاغية". وبذلك يكون الاعتراض بمثابة تنبيهٍ إلى أن حالة الاكتمال التي قد يظنها الأندلسيون لن تلبث أن تتحول إلى نقصان وزوال (**أحمد، 2000، 164**)، ويمكن أن يُفسَّر هذا الاعتراض أيضاً بأنه يُتيح فسحةً للمبدع والمتلقي معاً لالتقاط الأنفاس واستيعاب حجم المصاب الذي حلَّ بالجماعة الأندلسية. ثم يعزز الشاعر فكرته في البيت الثاني باستخدام الاستعارة التشخيصية، حيث أسند السرور إلى الزمن فرداً، وأسند الإساءة إلى الأزمان جمعاً. ويحمل هذا التصوير دلالتين: فالإفراد هنا يرمز إلى ندرة فترات المسرة وقصر أمدها، بينما يشير الجمع إلى تعدد وتكاثر فترات المحن والشقاء. وبذلك تؤكد الصورة البيانية أن تقلبات الدهر وسلطته المطلقة هي حقيقة قاهرة، لا تقبل الجدل، يدركها كل إنسان ويذوق مرارتها أيّاً كانت منزلته.

وقد عمّم الشاعر هذا الحكم الكوني باستخدام أداة الشرط "مَنْ" في قوله: (مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءَتْهُ أَزْمَانُ)، والتي تفيد العموم والشمول، مؤكداً أن هذه السنة الوجودية تطال الجميع دون استثناء. (**محمد،1989، 70**)، مستنداً في ذلك إلى دليل منطقي إذا ما أضيف إليه معنى البيت الثالث . مستقى من قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ (**آل عمران: 140**)، وبإضافة البيت الثالث:

وَهَذِهِ الدَّارُ لَا تُبْقِي عَلَى أَحَدٍ ... وَلَا يَدُومُ عَلَى حَالٍ لَهَا شَانُ

وبذلك تتشكَّل الأبيات الثلاثة ضمن إطار عناصر ثلاثة حدَّدها الشاعر وهي: الزمان والمكان والإنسان، حيث تتفاعل هذه العناصر لتُبرز الصورة الكاملة للمأساة. ومن هذا المنطلق، يحاول الشاعر مالك بن المرحل استثمار هذا البناء في استمالة مشاعر أهل العدوة وتحريضهم على نُصرة إخوانهم الأندلسيين الذين لجأوا إليهم بعد أن تعرَّضوا لغزو الصليبيين ، فيقول(**عبد الله،1975، 650**):(من الرجز)

إِنَّ أَمَامَ الْبَحْرِ مِنْ إِخْوَانِكُمْ ... خُلْفًا لَهُمْ تَلَفَّتٌ إِلَيْكُمْ

وَالرُّومُ قَدْ هَمَّتْ بِهِمْ وَمَا لَهُمْ ... سِوَاكُمْ رِدْءٌ فَأَيْنَ الْهِمَمُ؟

كُلُّهُمْ يَنْظُرُ فِي أَطْفَالِهِ ... وَدَمْعُهُ مِنَ الْحِذَارِ يَسْجُمُ

أَيْنَ الْمَفَرُّ؟ لَا مَفَرَّ إِنَّمَا ... هُوَ الْغِيَاثُ أَوْ إِسَارٌ أَوْ دَمٌ

يخاطب ابن المرحل أهل العدوة مُصوِّرًا حال إخوانهم الأندلسيين المنكسرين تحت وطأة العدوان، ساعيًا إلى تلطيف قلوبهم وحثِّهم على الإغاثة. ويعتمد في إيصال رسالته على أسلوب بلاغي متميز، حيث يقدِّم الخبر (أين) وجوبًا، ويؤخِّر المبتدأ (الهمم)، بهدف إثارة التشويق والتساؤل حول هوية المنقذين الذين سيتقدمون للنجدة. كما يُوجه النداء نحو فئة محددة من المنقذين، وهم ذوو العزم والقدرة، أو ما يُعرف بالنُّخبة، مما يُضفي على الطلب طابع التخصيص والتركيز.

وفي البيت الأخير، يعود الشاعر إلى استخدام الأسلوب نفسه، فيقدِّم الخبر (أين) ويؤخِّر المبتدأ (المفر)، ليضع المتلقي أمام خيارات مصيرية ثلاث: إما النصرة والإغاثة، أو الأسر والذل، أو القتل والإبادة. وهذا الأسلوب لا يخلق إحساسًا بالمأزق فحسب، بل يدفع المتلقي إلى التساؤل والتفكير في الخيار الأخلاقي والأجدى وتواجه الجماعة المسلمة المصير المأساوي الذي ينتظرها عندما سقطت مدينة بربشتر تحت أقدام العدو الصليبي(**محمد، 2000، 162**)، ويركز ابن العسال عدسته، يدق ناقوس الخطر، ويغطي «الجانب الإعلامي في هذه القضية الخطيرة»(**ابن بشكوال، 162،2003**)، مازجاً ذاته بذوات هذه الجماعة، يقول(الحميري،41،1984): (من الكامل)

وَلَقَدْ رَمَانَا الْمُشْرِكُونَ بِأَسْهُمٍ ... لَمْ تُخْطِ لَكِنْ شَأْنُهَا الْإِصْمَاءُ

هَتَكُوا بِخَيْلِهِمُ قُصُورَ حَرِيمِهَا ... لَمْ يَبْقَ لَا جَبَلٌ وَلَا بَطْحَاءُ

جَاسُوا خِلَالَ دِيَّارِهِمْ فَلَهُمْ بِهَا ... فِي كُلِّ يَوْمٍ غَارَةٌ شَعْوَاءُ

بَاتَتْ قُلُوبُ الْمُسْلِمِينَ بِرُعْبِهِمْ ... فَحُمَاتُنَا فِي حَرْبِهِمْ جُبَنَاءُ

عُذْرَاءُ شَيْخٌ وَطِفْلٌ دَامِيَةٌ ... فَقْرَةٌ إِلَيْقَاءٌ ضَجَّةٌ نَقَّاءُ

يؤكد الشاعر من خلال لغته العاطفية الجارفة حقيقة وقوع المصيبة على أهله ووطنه، ثم يشرع في تصوير الأهوال التي حلّت بهم. ويعتمد في ذلك على استخدام فعلين ماضيين يحملان شحنة انفعالية عالية تجسد مشاعر الحزن والأسى، وهما: (رمانا، هتك). فيشير الفعل الأول إلى تحقق الاعتداء وتحديد فاعله (المشركون)، بينما يعبر الفعل الثاني عن فظاعة الاعتداء ومدى الدمار الذي خلّفه.

ولتعزيز هذه الصورة، يلجأ الشاعر إلى الانزياح النحوي بتقديم الجار والمجرور (بخيلهم) على المفعول به (قصور حريمها). ويخدم هذا التقديم غرضين: الأول الإشارة إلى قوة العدو وهيمنته، والثاني تصوير الإفراط في التخريب والانتهاك الذي أعقب سقوط المدينة.

ولم يكتفِ الشاعر بتصوير الدمار المادي، بل تعمق ليعكس الآثار النفسية والمجتمعية، ممثلةً في الهزيمة والذل الذي حل بالقوم. ويبرز هذا المعنى من خلال تقديمه الخبر شبه الجملة الذي يخصّص الحديث عن عزيز القوم، حاملاً دلالات الإجبار والقهر والخضوع من ناحية، والإهانة والتشويه الاجتماعي من ناحية أخرى.

ويكمل الشاعر عدوله عن الرتبة النحوية المألوفة بتأخير كلمة (الذل) بعد (العِزّة)، مقدماً شبه الجملة (بعد العِزّة) للإشارة إلى المكانة السابقة التي تمتع بها القوم قبل النكبة. كما يُلاحَظ حرص الشاعر على الالتزام بإيقاع بحر الكامل وقافية موحدة على حرف الألف الممدود، الذي يحقق صفة الجهر. واختيار الرّوي الهمز المضموم يخلق تناسقاً بين صعوبة النطق وبين الدلالات المعبّرة عن الضغط والقهر والعناء التي أراد نقلها، مما يعمق الإحساس بالمأساة لدى المتلقي. (دوش،**jazirah.com/culture/03122007/aoraq37.htm**) التي وقعت تحتها هذه النماذج البشرية المنكسرة مجتمعة.

1-3. تقديم المفعول به:

حظيت ظاهرة تقديم المفعول به باهتمام بالغ لدى شعراء الانكسار الأندلسي، وقد وظفوا هذه الأسلوبية على نطاق واسع، مما أسهم بشكل لافت في تكثيف الدلالة وصقل الشعرية. وفي هذا الصدد يرى ابن جني أن هذا النمط من الانزياح التركيبي قد شاع حتى كاد يُنظر إليه على أنه الأصل، حيث يقول: «كأنه هو الأصل يسير تقديم المفعول لما استمر، وتأخير الفاعل كأنه أيضاً هو الأصل». (**ابن جني،(د.ت)،298**)، وقد جاء هذا التوظيف تعبيراً صادقاً عن معاناة الشعراء لوطأة عوامل الانكسار، سواء على المستوى الفردي للأنا الشاعرة، أو على مستوى الجماعة الأندلسية بأسرها. ويُعدّ الشاعر المعتمد بن عباد نموذجاً بارزاً في هذا المجال، حيث يقول: (**المعتمد،1975، 165**)(من الطويل)

غَريب بِأَرضِ المغربينِ أَسيرُ ... سَيَبكي عَلَيهِ مِنبَرٌ وَسَريرٌ

أَذَلَّ بَني ماءِ السَماءِ زَمانُهُم ... وَذُلُّ بَني مَاءِ السَّمَاءِ كَبيرُ

فَما ماؤُها إِلّا بُكاءٌ عَلَيهِمُ ... يَفيضُ عَلى الأَكبادِ مِنهُ بُحورُ

يبرز الشاعر، وهو أسير أغمات، مرارة الغربة والأسر الذي يعيشه مع أهله، ويعتمد في ذلك على أسلوبية تقديم المفعول به (بَنِي مَاءِ السَّمَاءِ). يهدف هذا التقديم إلى التركيز على هذا المفعول به وجذب الانتباه إليه، كما يقربه من فعل الإذلال ليكثف الشعور بالمهانة. ويخلق هذا الأسلوب أيضاً تشويقاً لمعرفة فاعل هذه الإهانة (زَمَانُهُمْ)، الذي نزل بالشاعر وأهل بيته، أصحاب الأصل الكريم والسيادة.

ويُعدُّ هذا النوع من التقديم والتأخير انزياحاً واضحاً عن النمط المعياري للجملة العربية، الذي رسخ في الذهن العربي تقديم الفاعل على المفعول به. وبذلك يجمع التركيب بين جماليتين رئيستين: جمالية الاستعارة، وجمالية الانزياح النحوي عبر التقديم والتأخير. ويربط عبد القاهر الجرجاني بينهما قائلاً: «الاستعارة على لطفها وغرابتها إنما تم لها الحسن وانتهى إلى حيث انتهى، بما تَوَخَّى في وضع الكلام من التقديم والتأخير، وتجدها قد مَلُحَتْ وَلُطِفَتْ بمعاونة ذلك ومؤازرته لها». (**الجرجاني، د.ت، 99**)، ويحافظ بأسلوبية تأخير الفاعل (بُحُورٌ)، وتقديم شبه الجملة عليه (عَلَى الْأَكْبَادِ مِنْهُ) على إيقاع بحر الطويل، وعلى قافيته الرائعة تركيزاً على الحزن والفجيعة المعمقة لأحاسيس الانكسار.

وتبدأ مشاهد الانكسار الأسري مع المعتمد عندما زارته بناته في يوم عيد الفطر وهو سجين آنذاك؛ حافيات وثيابهن ممزقة، يقول(**المعتمد، 1975، 169**):(من البسيط)

فِيمَا مَضَى كُنْتَ بِالْأَعْيَادِ مَسْرُورًا ... فَسَاءَكَ الْعِيدُ فِي أَغْمَاتَ مَأْسُورًا

أَسِيرُ الْمُغْرِبِينَ بِأَرْضِ غَرِيبٍ ... وَسَرِيرُ مِنْبَرٍ عَلَيْهِ سَيَبْكِي

تَرَى بَنَاتِكَ فِي الأَطمارِ جائِعَة ... يَعزِلنَ لِلناسِ ما يَمْلِكْنَ قطْميرا

لا خَدَّ إلاّ تَشكّى الجَدبَ ظاهِرهُ ... وَلَيسَ إلاّ مَعَ الأَنفاسِ مَمطورا

تسيطر ذكريات العز والسلطان على مخيلة الشاعر ووجدانه، وهو ما تُلمح إليه بداية الأبيات: (فِيمَا مَضَى كُنْتَ بِالْأَعْيَادِ مَسْرُورًا). لكنّ المشهد ينقلب فجأة، حيث يقف الشاعر بعد أن انقلب عليه الدهر، ليجد نفسه يرزح تحت وطأة الأسر. ولإبراز حدة هذا التحول المؤلم، يلجأ إلى أسلوبية تقديم المفعول به، المتمثل في ضمير المتكلم (الكاف) المتصل بفعل الإساءة (سَاءَكَ). فيلفت هذا التقديم الانتباه إلى الذات المنكسرة التي تحولت من فاعل قوي ومؤثر في الماضي، إلى مفعول به يتلقى الفعل ويتألم به. ويقابله تأخير الفاعل (العيد)، الذي يمثل هنا فاعل القهر والإذلال الذي زاد من عمق المأساة. ويحقق هذا الخرق التركيبي ميزة أسلوبية بارزة؛ إذ يقدّم ما يستحق العناية والاهتمام (المتأثّر)، ويؤخّر ما لا يحتاج إلى ذلك التركيز (المؤثّر) (**غادة، (د.ت)، 84**)، وجعل المتلقي إثر ذلك يتَّبين ما يرنو إليه من معنى؛ حيث إن فاعل الانكسار الحقيقي ليس العيد في حد ذاته، وإنما هو الظروف أو الحال التي حلَّ فيها العيد عليه، وهو المعنى المستوحى من دلالات: في أغمات مأسورا، وكل ما جاء في البيت الثاني:

تَرَى بَنَاتِكَ فِي الْأَطْمَارِ جَائِعَةً ... يَعْزِلْنَ لِلنَّاسِ مَا يَمْلِكْنَ قِطْمِيرًا.

ويبرز هرون بن هرون مشهداً من مشاهد المأساة التي أصابت الوطن (الأندلس)، مركّزاً عدسته على أنموذجٍ من الانكسار الإنساني، يقول(**الطاهر،1980، 338**):(من الطويل)

وَكَمْ مِنْ فَتًى ثَبْتِ الجِنَانِ مُهَذَّبٍ... يَوَدُّ المَنَايَا وَهْوَ كَانَ يدِيرُهَا

يَصُولُ عَلَى الأَبْطَالِ صوْلَةَ ضَيْغَمٍ ... فَيَرْهَ به شِبْلُ الشَّرَى وَهَصُورُهَا

[...]تَحَكَّمَ فِيهِ الشِّرْكُ وهْوَ مُوَحِّدٌ... كَمَا قَدْ قَضَى جَبَّارُهَا وَنَذِيرُهَا

يتناول الشاعر في هذا المشهد جانبًا من المأساة الإنسانية التي لحقت بالوطن، مُجسِّدًا إياها في صورة فتى شجاع لا ينقصه البطولة ولا المجد. ويعتمد في تصوير هذه الحالة على الخروج عن الترتيب النحوي المعياري للمفعول به، حيث يُقَدِّم الضمير المتصل (الهاء) الذي يلحق بالفعل (يرهب) الدال على القوة والهيبة التي يتسم بها ذلك الفتى، بينما يُؤخِّر الفاعل (شِبْلُ الشَّرَى وَهَصُورُهَا)، الذي يرمز هنا إلى قوى الشرك المسيطرة على مصير الفتى المسلم. ويعاود الشاعر استخدام الأسلوبية نفسها في تركيب آخر، فيضع المفعول (فِيهِ) بين الفعل (تحكّم) والفاعل (الشِّرك)، مما يسهم ـ عبر هذا الانزياح المتكرر ـ في تعميق إحساس الانكسار والهزيمة في نفوس المسلمين.

1- 4. تقديم الجار والمجرور:

عبر كثير من الشعراء الأندلسيين في الفترة محل الدراسة – في نفسية يكتنفها الحزن والأسى – عن هزيمتهم تجاه الدهر وفواعله التي نالت من سعادتهم، مدركين ما يتمتع به الموت من سطوة يستطيع من خلالها اقتلاع الإنسان من حياته في أية لحظة شاء ذلك، يقول ابن عبدون اليابري : (**ابن بسام، 1997، 816**)(من البسيط)

مَا مِنكَ يَا مَوْتُ لَا وَاقٍ وَلَا فَادِي ... الْحُكْمُ حُكْمُكَ فِي الْقَارِي وَفِي الْبَادِي

يَا نَائِمَ الْفِكْرِ فِي لَيْلِ الشَّبَابِ أَفِقْ ... فَصُبْحُ شَيْبِكَ فِي أُفُقِ النُّهَى بَادِي

نَعَمْ هُوَ الدَّهْرُ مَا أَبْقَتْ غَوَائِلُهُ ...عَلَى جَدِيسٍ وَلَا طَسْمٍ وَلَا عَادِ

وَأَسْلَمَتْ لِلْمَنَايَا آلَ مَسْلَمَةٍ ... وَعَبَّدَتْ لِلرَّزَايَا آلَ عَبَّادِ

لِلَّيَالِي مَا – اللَّهُ عَثْرَتَنَا أَقَالَ ... مِنْهَا – بِأَضْدَادٍ أَضْدَادًا تُصَرِّعُ

لَا شَمْسَ قَبْلَكَ زَادَتْ بِالْغُرُوبِ ... وَأَوْرَادَ أَنْوَارٍ نَشَرَوَاسْتَأْنَفَتْ

يستحضر الشاعر فكرة الموت بوصفه قوةً تفرض نهاياتها المأساوية على الوجود، وهي حقيقة يدركها المتلقي جيداً. ويعتمد في تجسيد هذه الفكرة على جمالية الاستعارة المشخّصة للموت، التي تنقله إلى كائن ذي إرادة وقدرة على السيطرة وإصدار الأحكام النافذة على كل إنسان، حيث لا فرق بين ساكن القرى والبوادي. ولتعزيز الإيقاع وترسيخ المعنى، يستخدم الشاعر التصريع في نهاية الشطرين (فادي–بادي)، معززاً إياه بالتجانس الصوتي أو الترصيع بين الكلمات (واق، فادي، قاري، بادي). كما يكرر حرف الدال تكراراً واضحاً، سواء في القافية المكسورة التي تعكس انكسار الذات، أو أفقياً في سياق الكلام، مما يخلق تناغماً صوتياً يُحتمل أنه يُحاكي دلالات الشدة والفعالية التي أراد إضفاءها على صورة الموت المسيطر. (**حسن، 1998، 66**) كما يعبّر هذا التوظيف عن القسوة التي أسندها الشاعر إلى الدهر، وكذلك عن طبيعة الظالم وسواد أيامه. وهو يتناول حالة الإنسان الغافل الذي لا يحسب حساباً لغدر الليالي وغوائل الزمان. وفي البيت الثاني، يقف الشاعر أمام حقيقة الموت مازجاً بين الوعظ والإنذار، مما يضفي أجواءً حزينة على تصوره للحياة كلها.

ويوظف الشاعر هنا أسلوبية تقديم الجار والمجرور (في أفق النهى) على الخبر (بادي)، وذلك لتنبيه المتلقي إلى حالة الغفلة التي يعيشها الإنسان، والتي لا يفيق منها إلا عندما يدهمه الموت ليسلب حياته. ولهذا اقتضى السياق أن يمدّ الشاعر صوته بالنداء الذي تصدّر البيت: (يا نائم الفكر)، إشارةً إلى حال التراخي وعدم الاكتراث بجدية الحياة وسرعة زوالها.

ويعكس هذا التصوير نظرة تشاؤمية ترى أن الوعي الحقيقي لا يأتي إلا متأخراً، وقد عزز الشاعر هذا الشعور بتأخيره لفعل الأمر (أفق)، وتقديمه الليل على الصبح، والشيب على الشباب. فمرحلة الشباب – في هذه الرؤية – هي زمن الغفلة والسطحية، بينما يمثل الشيب بداية الصحوة والتفكير في زوال الحياة وفقدان جمالها. وهذا يؤكد الحضور الفعال للزمن في النص الشعري الأندلسي، حيث كان إحساس الشعراء به "إحساساً نفسياً خالصاً، ولا سيما في مسألة الشيب والشباب". (**محمد الباجلاني، 2003**،

375) فتتأكد منذ مطلع البيت الثالث سطوة الدهر التي لا تُرام، في قوله: (نعم هو الدهر)، وتتجلى قوة غوائله التي لا تُردّ. فصروف الدهر ونوازله، حين تنزل، يعجز عن مواجهتها الضعيف والقوي على السواء؛ إذ هي لا تُفرّق بينهما، بل غالباً ما تتوجه بمكائدها إلى من علت مكانته وبلغ الذروة في العز والسلطان، لتُعيده إلى الحضيض، فتحوّل قوته إلى ضعف، وعزّه إلى ذلّ، وكبرياءه إلى خنوع (**جمعة،1994 ، ج2، 353**).

يواصل الشاعر كشف الدلالات العميقة من خلال توظيف أسلوبية التقديم والتأخير المرتبطة بـ الجار والمجرور، حافظًا على الرتبة نفسها في صدر البيت وعجزه. فهو في الصدر يقدم الجار والمجرور (للمنايا) على المفعول به (آل مسلمة)، وفي العجز يقدم الجار والمجرور (للرزايا) على المفعول به (آل عباد).

ويهدف هذا التوظيف إلى تحقيق الحصر والتخصيص؛ إذ خصَّص آل مسلمة بـ المنايا (التي تمثل أشد غوائل الدهر) عندما نُزعوا من الملك وهُجِّروا من الأرض، بينما خصَّص آل عباد بـ الرزايا نتيجة فرارهم من بطش العدو وترحالهم عن وطنهم.

ويخلق هذا التقديم توازنًا تركيبياً وصوتياً بارعاً، يسهم في تفاعل النص مع المتلقي، ويحقق له الإقناع إلى جانب الإمتاع. فتجتمع في النص بلاغة الصدق وقوة التأثير، مما يرفعه إلى مكانة عالية في الهرم الأساليبي. (**عبد القادر،2002، 244**) عندما اعتدل سيما الإيقاعية بين صدر البيت وعجزه، مستنداً إلى أسلوب «ترتيب ألفاظه إلى ترتيب معانيه، وإبراز دلالاتها وفقاً لقوتها، ومراعاة أهمية معانٍ ودرجاتها عمداً، وإبرازها متجاوزاً إيقاع البسيط»(**محمد العمري،1990، 112**). ولعل موضوع الانكسار، الذي احتل قمة اهتمام ابن عبدون، قد أكده بذكر المنايا والرزايا؛ فاعل الدهر الأقوى، مكرراً فيه معاني الأسى وموظفاً أسلوب التقديم والتأخير معتمداً على عدة أمثلة مثل قوله في مرثيته الشهيرة (**ابن عبدون،1988، 147**)(من البسيط):

الْكُرُ أُسْوِدَ وَطَوَّقْتُ بِالْمَتَابَا ... سِوَى الذِّكْرِ وَمَا مِنْهَا قَاعٌ عَجَبْ إِذَا كَانَ الْبَيَاضُ

وبتلبس لسان الدين بن الخطيب بالانكسار ويبث ما يفعله العدو بوطنه وبأهله موظفاً جمالية تقديم الجار والمجرور، فيقول(**المقري، (د.ت) ، ج4،528**):(من الطويل)

أَنَّى تَمَكَّنَ فِي سَاكِنِي الْأَنْدَلُسْ ... فلَهفًا عَلَى الْإِسْلَامِ مَا بَيْنَهُمْ لَهَفَا

فَلَا حَافِرٌ وَلَا ظِلٌّ وَقَى عَلَيْهَا ... وَجَاسَتْ جِيَفُ الْكُفْرِ بَيْنَهُمْ صَفَّا

فَلَا وَزَّ كَيْفَ وَجَدْنَا عَنْهُمْ ... وَلَا شَفٌّ شَقَّهُ الرَّمْدُ وَشَفَا

وَأَقَامَ عَلَيْهَا الْكُفْرُ ثَغْراً ... فَصَارَ مَسْجِدٌ مِثْلَ الضَّلَالِ وَمَنْ

وَلَمْ يَنُرْ إِلَّا دَايَةً قَطُّ أَوْ سَجْفَا ... فَقَلْبٌ بَيْنَ أَعْدَائِهَا الطَّرْدَ خَزَا

شَعَايِنَ فِي أَعْوَانِهَا اللَّوْثَ وَالضَّفَا ... أَحَاطَ بِنَا الْأَعْدَاءُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ

غَدَتْ مِثْلَ غَوْرِ النَّفْسِ ضَاجِعَهَا ... فَمِنْ مَعْقِلٍ حَلَّ الْعَدُوُّ عِقَالَهُ

وَمِنْ غَادَةٍ الْجُلَّةِ بِيَدٍ كُلِّ جَلَّتِهَا ... أَصْبَحَتْ صِبْيَةً أَصْبَحَتْ هَمًّا حَوَاسِرَ

ومِنْ صِبْيَةٍ حُمْرِ الحَواصِلِ أصبَحَتْ ... تُقَلِّبُ ذُاعْرً بينَ أعْدائِها الطّرْفا

وَمِنْ نِسْوَة أضحَتْ أيامَى حَواسِرً ... تُعايِنُ في أعْوانِها الوَهْنَ والضَّعْفا

فهَلْ ناصِرٌ مُسْتَبْصِرٌ في يَقينِه ... يُجيزُ منِ اسْتَعْدى ويكْفي منِ اسْتَكفى

يُصوِّر الشاعر في مستهلّ أبياته فداحة الاعتداء الذي حلَّ ببلاد الأندلس، مُستخدماً الفعل المتعدي بحرف الجر (تَمَكَّنَ) الدال على إحكام السيطرة والاستيلاء. وقد قدَّم الجار والمجرور (في سَاكِنِي) مع مضاف إليه، على الفاعل (الْأَنْدَلُسِ) المعزَّز بمضاف، بهدف تخصيص الحديث عن الجماعة المنكَسِرة التي فقدت وطنها، وحصر المعنى في مأساتها.

ثم يتجاوز الشاعر في البيت الثاني البنى السطحية المباشرة إلى استخدام المجاز المرسل، عبر إطلاق الجزء (حافِرٌ، ظِلٌّ) ليدل على الكل (أي أيّ مكان للاحتماء أو الاستقرار)، محافظاً على إيقاع بحر الطويل ومتجنباً التكرار المذموم بلاغياً. ويبرز هنا أسلوب تأخير العامل في قوله (عَنْهُمْ وَجَدْنَا)، مما يوحي بعجز الجماعة الأندلسية المطوقة عن إيجاد ملاذٍ من بطش العدو. ولا يجد المتلقي صعوبة في تقدير المحذوف، الذي يُفهَم من السياق على أنه (نأوي) أو (نجد ملجأ)، لأن العدو قد استولى على كل مأوى.

ويواصل الشاعر تصوير المأساة في البيت الموالي، فيحذف المسند إليه (ثُغُورٌ)، التي شبهها –كناية – بالأفواه الفاغرة بعد أن خَرَّقها الأعداء واستولوا عليها. ويعبّر عن هذا المشهد باستخدام المجاز المرسل مرة أخرى، حيث يُطلق محل الفعل (أَقَامَ عَلَيْهَا الْكُفْرُ) ليدل على فاعله الحقيقي، أي المحتلين الغزاة.

يتعمق الشاعر بعد ذلك في تصوير قتامة المشاهد المأساوية التي تجسّد انكسار الجماعة، من خلال التركيز التفصيلي على نماذج إنسانية معيّنة توضح حجم المعاناة. ويعتمد في ذلك على حشدٍ من تراكيب الجار والمجرور المتتالية: (من مَعْقِلٍ – من غَادَةٍ – من مَسْجِدٍ – من صِبْيَةٍ – من نِسْوَةٍ – في أَعْوَانِهَا).

ويهدف هذا الحشد من الانزياحات التركيبية إلى تحقيق غرضٍ فنيٍّ ودلاليٍّ مزدوج: فهو من ناحية يحافظ على السلامة التركيبية لشبه الجملة من خلال تكرارها ضمن نسق واضح، ويجنّبها التشتت أو الانحراف العرضي عن وظيفتها الأساسية. ومن ناحية أخرى، يتجاوز الشاعر مجرد الإخبار عن الفتور أو التكثير العادي، إلى تصوير الإفراد والتكثير الأصيلين لمشاهد المعاناة، حيث ينسجم هذا التوظيف مع مقتضى المعنى من خلال الدلالات المكثَّفة التي يستخرجها من جمالية التنكير.

وبهذا الأسلوب، يبالغ الشاعر في تصوير معاناة الجماعة التي بدأت تفقد إحساسها بالاستقرار والأمان، وتمر بمرحلة قاسية من الاقتلاع من جذورها الوطنية، نتيجة الآثار العميقة والوخيمة التي خلّفتها الفجائع المتتالية. (**محمد الطرابلسي،1981، 286**).

وإذا كانت الأبيات السابقة، وخصوصًا تلك التي اتسمت بانزياحات تركيبية عبر تقديم الجار والمجرور، قد جسَّدت فداحة المصاب الذي حلَّ بالجماعة الأندلسية، فإن الشاعر لا يلبث في البيت الأخير أن يلوح بأملٍ ضعيف في النجاة. فيصوغ هذا الأمل عبر جملةٍ اسميةٍ يجعل مبتدأها نكرة موصوفة، يسبقها ويُعضّدها استفهامٌ غير حقيقي، ينمّ عن استغاثة وطلبٍ صريح للنجدة. فكأنه يقول: لعلَّ ناصرًا يأتي، فيُزيل الحصار ويكسر طوق الانكسار.ويبرز ابن حزمون الانكسار جلياً في شعره ممزوجاً باليأس

والاستسلام، معلناً بداية الانكماش الديني، عندما داهم العدو مدينته إشبيلية، يقول(**ابن الأبار،2013 ، ج3، 515**): (من البسيط)

يَا حِمْصُ أَقْصَدَكِ الْمَقْدُورُ حِينَ رَمَى ... لَمْ يَرْعَ فِيكِ الرَّدَى إِلَّا وَلَا ذِمَمَا

ظَالِمَةٌ لِلدَّهْرِ يَدٌ عَلَيْكِ جَرَتْ ... لَا يَعْدِلُ الدَّهْرُ فِي شَيْءٍ إِذَا حَكَمَا

سَطَا بِهَا الْكُفْرُ إِذْ قَلَّ النَّصِيرُ بِهَا ... فَمَنْ مُعِزٌّ بِهَا الْإِسْلَامَ مَا سَلِمَا

لَمْ يَبْقَ لِلْحَقِّ فِي شَتَّى مَطَالِعِهَا ... نُورٌ فَأَصْبَحَ لَيْلُ الْكُفْرِ مُرْتَكِماً

يُصوِّر الشاعر نكبة مدينته إشبيلية إثر اجتياح العدو الذي حوَّلها إلى خراب شامل، مما دفعه إلى منح المكان أولوية قصوى في خطابه، انعكاساً لأهميته ورمزياً لفقدانه. ويتجلَّى هذا من خلال اختياره للأفعال بدقة؛ فالفعل "أَقْصَدَ" – بمتعديته بحرف الجر – يدل على توجيه الإصابة المباشرة والمتعمدة نحو جسد الوطن، بينما يفيد الفعل "رَمَى" – بماضيه التام – انتهاء الفعل وتحقق الكارثة بشكل لا رجعة فيه.

ولتعزيز هذه الصورة، يلجأ الشاعر إلى أسلوبية تقديم الجار والمجرور (فِيكِ) على الفاعل (الرَّدَى)، مكوِّناً صورة بيانية قائمة على الاستعارة التصريحية التي تُمثِّل الموت (الردى) ككائنٍ واعٍ يتحرك بغاية. ومن خلال هذه الاستعارة، يسلِّط الضوء على صفتي العدل والجور المتناقضتين، بهدف تركيز الانتباه على المكان/الوطن الذي يصير لقمة سائغة للفناء. ويخلق هذا التركيب لحظات نفسية مؤثرة وأبعاداً زمنية تعكس عمق اليأس وقَتامة الانكسار، ويعزز الشعور باستحالة استرجاع الوطن الضائع.

ويواصل الشاعر في البيت الموالي منح الأسبقية للجار والمجرور، فيقول: (جَرَتْ عَلَيْكِ بـ). ويتجلّى الانزياح هنا في تأخير الفاعل/المسند إليه الفعلي عن الفعل/المسند الفعلي، حيث تفصل بينهما شبه الجملة (عَلَيْكِ). ويهدف هذا الترتيب إلى تركيز الاهتمام على المكان (الوطن) وتخصيصه كمتلقٍّ أساسي للمصيبة، مما يعمّق الشعور بالاستياء والأسى.

كما يعمل الفعل "جَرَتْ" . بدلالته على الاستمرار والانسياب . على تضخيم صفة الجور والظلم المنسوبة للفاعل. ويُعَضِّد الشاعر هذه الصورة بتقديم جار ومجرور آخر (للدَّهْرِ)، يفصل بين الموصوف (يَدٌ) و صفته (ظَالِمَةٌ). ومن خلال هذه الانزياحات المتتالية، يُحيل الشاعر أسباب الدمار والخراب الذي حل بالمدن، والتشريد والقتل الذي لحق بالأهل، إلى الدهر، الذي شكل مصدر شكوى دائم للشعراء الأندلسيين، باعتباره القوة القاهرة التي تنزل بالنوازل وتقلب الأقدار. (**لؤي، د.ت،209**)، مؤكداً معنى الظلم والقهر للدهر بجمالية رد الصدر على العجز (لا يعدل الدهر في شيء إذا حكما)، لتبدأ مرحلة الانحسار الديني عندما أخذت راية الإسلام تتقلص بعد أن بطش بها الكفر:

سَطَا بِهَا الْكُفْرُ إِذْ قَلَّ النَّصِيرُ بِهَا ... فَمَنْ مُعِزٌّ بِهَا الْإِسْلَامَ مَا سَلِمَا

لَمْ يَبْقَ لِلْحَقِّ فِي شَتَّى مَطَالِعِهَا ... نُورٌ فَأَصْبَحَ لَيْلُ الْكُفْرِ مُرْتَكِماً

يَلْجَأُ الشَّاعِرُ فِي هَذَا التَّرْكِيبِ إِلَى أَسْلُوبِيَّةِ تَقْدِيمِ الجَارِّ وَالمجْرُورِ (بِهَا) عَلَى الفَاعِلِ (الكُفْرِ)، فَيَفْصِلُ بِهَا بَيْنَ الفِعْلِ وَالفَاعِلِ فِي صَدْرِ البَيْتِ: (سَطَا بِهَا الْكُفْرُ)، كَمَا يُقَدِّمُهَا عَلَى المفْعُولِ بِهِ فِي عَجْزِهِ. وَيَتَسِعُ فِي هَذَا السِّيَاقِ مَدْلُولُ حَرْفِ الجَرِّ (البَاءِ) لِيَحْمِلَ

دَلاَلاَتِ القُوَّةِ وَالطَّرْقِ وَالإِحْكَامِ، إِلَى جَانِبِ دَلاَلَتِهِ الأَصْلِيَّةِ عَلَى الإِلْصَاقِ. وَيُؤَكِّدُ هَذَا المَقْصَدَ بِتَكْرَارِ الحَرْفِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، لِجَذْبِ الانْتِبَاهِ وَالتَّرْكِيزِ عَلَى المَكَانِ/الوَطَنِ المَفْقُودِ، وَتَعْمِيقِ إِحْسَاسِ الانْكِسَارِ.

وَيَعْتَمِدُ الشَّاعِرُ فِي بُنْيَةِ النَّصِّ عَلَى ثُنَائِيَّةٍ ضِدِّيَّةٍ حَادَّةٍ (الكُفْرِ – الإِسْلاَمِ)، يُرْبِطُ بِهَا فِكْرَةَ الانْتِمَاءِ الحَضَارِيِّ لِهَذَا الوَطَنِ، وَيُحَاوِلُ فِي الآنِ نَفْسِهِ تَجْسِيدَ عَمَلِيَّةِ إِفْرَاغِ المَكَانِ مِنْ مُحْتَوَاهُ الرُّوحِيِّ وَالدِّينِيِّ. فَمِنْ خِلاَلِ هَذَا الاسْتِعْمَالِ المُكَثَّفِ، يُفَجِّرُ الشَّاعِرُ دَلاَلاَتِ التَّعَلُّقِ وَالتَّشَبُّثِ بِالوَطَنِ، وَيَنْقُلُ إِلَى المُتَلَقِّي وَقْعَ الفَقْدِ الجَمَاعِيِّ وَانْحِسَارَ الوُجُودِ الإِسْلاَمِيِّ. وَتَنْعَكِسُ هَذِهِ الحَالَةُ فِي الاسْتِعَارَةِ الكُبْرَى الَّتِي يَبْنِيهَا؛ حَيْثُ يَحُلُّ الكُفْرُ– الَّذِي يَرْمُزُ لَهُ بِـ اللَّيْلِ وَمَا يَحْمِلُهُ مِنْ دَلاَلاَتِ الظُّلْمَةِ وَالخَوْفِ وَالجَهْلِ بِالمَصِيرِ– مَحَلَّ النُّورِ الرَّمْزِيِّ الَّذِي كَانَ يَشْغَلُ مَسَاحَةَ الوَطَنِ الرُّوحِيَّةَ.

وعندما امتلكت الحبيبة أحاسيس ومشاعر الشاعر الأعمى التطيلي كانت منها أكبر نكباته التي أطلقت شكواه، مما جعله يخصها بالشكوى لله دون غيرها، يقول(**العماد الأصفهاني، د.ت، 9**):

(من المتقارب)

أَشْكُو إِلَى اللهِ دَخِيلَ الْكَمْدِ ... فَلَيْسَ عِنْدِي عُدَّةٌ عَلَى الْبُعْدِ

وَمَنْ كُنْتُ فِي الْقُرْبِ أَشْتَاقُهُ ... فَكَيْفَ أَكُونُ وَقَدْ بَعُدَا

يقدّم الشاعر شبه الجملة (إلى الله) – الجار والمجرور – على الفعل والفاعل (أشكو)، بهدف تخصيص الشكوى وحدها لله تعالى، تعبيراً عمّا يعانيه من ألم الفراق الذي زاد من حِدّة انكساره. ثم يوظف الانزياح التركيبي نفسه في عجز البيت، فيقدّم الجار والمجرور (على البعد) على ظرف المكان (عندي)، ليعبّر عن حالة الوجع العاطفي من جهة، ومراعاة للإيقاع الشعري (بحر المتقارب) من جهة أخرى

ويعود الشاعر إلى ذات الأسلوبية في البيت التالي، فيفصل بالجار والمجرور (في القرب) بين اسم كان (كنت) و الجملة الفعلية (أشتاقه) الدالة على الحركة والقلق، والتي يجسّدها المعشوق المغادر. وينتقل الشاعر عبر هذا التركيب من التركيز على المسافة الزمنية أو المعنوية، إلى التركيز على المكان النفسي والعاطفي الذي تركه الفراغ. ويُبرز هذا الانتقال ثنائية التضاد بين (في القرب – على البعد)، والتي تعكس من خلالها الذات الشاعرة – المحورية في النص – حضوراً مكثفاً للأنا المتألمة والمنكسرة، كما تتجلى في الضمائر والأفعال: (أشكو – عندي – كنت – أشتاقه – أكون).

- الاستنتاجات

بعد تحليل نماذج مختارة من الشعر الأندلسي، ودراسة ظاهرة الانزياح النحوي ممثلةً بأسلوب التقديم والتأخير، يمكن الخلوص إلى النتائج التالية:

1. **تحقيق أغراض بلاغية ودلالية متعددة** :أسهمت ظاهرة التقديم والتأخير بشكل فاعل في إثراء الدلالة الشعرية وتوجيه انتباه المتلقي. فقد حققت أغراضاً بلاغية مثل:**التخصيص والحصر** و **التركيز والاهتمام** و**التشويق والإثارة** ،**التوكيد والمبالغة**.

2. **التفاعل مع الخصوصية الأندلسية التعبير عن الحنين والاغتراب وتغني بالطبيعة وتوظيفها رمزياً ،عكس روح التفاعل الحضاري والتعدد الثقافي**
3. **تميز الشعر الأندلسي وتعزيز تعبيره عن روح العصر** يشكل الانزياح النحوي عبر التقديم والتأخير ملمحاً أسلوبياً بارزاً في الشعر الأندلسي، يظهر براعة الشعراء في توظيف النظام النحوي لخدمة الأغراض التعبيرية والنفسية.
4. **تكامل الشكل النحوي مع المضمون الجمالي والعاطفي** أظهر التحليل أن الانزياحات النحوية لم تكن اعتباطية، بل جاءت متوافقة تماماً مع الإيقاع الشعري والمضمون العاطفي للقصيدة.
5. **تجسيد الأزمة الوجودية والاجتماعية** عبر الانزياح النحوي عن الأزمة العميقة التي عاشها الإنسان الأندلسي في مراحل الانهيار، من خلال تكريس الانزياحات التركيبية لتجسيد حالة اللااستقرار والاضطراب التي سادت تلك الفترة.

- المصادر والمراجع

1. الباجلاني، محمد كريم .*القيم الجمالية في الشعر الأندلسي عصر الخلافة وملوك الطوائف* .ط1. عمان – الأردن: دار غيداء للنشر والتوزيع، 2003م (1424هـ).
2. البواب، غادة أحمد .*التقديم والتأخير في المثل العربي: دراسة نحوية بلاغية* .(د.ط). عمان – الأردن: وزارة الثقافة، (د.ت).
3. ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك. الصلة في تاريخ أئمة الأندلس. تحقيق: صالح الدين الهواري. ط1. بيروت: المكتبة العصرية، 2003.
4. ابن تاويت، محمد. الوافي في الأدب العربي في المغرب الأقصى. ط1. الدار البيضاء – المغرب: دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1982م (1402هـ).
5. بن جني، أبو الفتح عثمان. الخصائص. تحقيق: محمد علي النجار. ط2. بيروت – لبنان: دار الكتاب العربي، (د.ت)
6. جمعة، صادق (دمل). شعر عمر بن الفارض (دراسة أسلوبية). القاهرة – مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998.
7. جطل، مصطفى. نظام الجملة عند اللغويين العرب في القرنين الثاني والثالث الهجري. حلب: مطبعة جامعة حلب، 1980م (1400هـ).
8. الحسين، أحمد جاسم .*الشعرية قراءة في تجربة ابن المعتز العباسي* .ط1. دمشق – سوريا: الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية، 2000.
9. الحميري، محمد عبد المنعم .*الروض المعطار في خبر الأقطار* .تحقيق: إحسان عباس. ط1. بيروت: مكتبة لبنان، 1984.
10. حسان، تمام. مقالات في اللغة والأدب. ط1. القاهرة: عالم الكتب، 2006.

11. حنون، عبد الله. النبوغ المغربي في الأدب العربي. تحقيق: دار الكتاب اللبناني. ط3. بيروت – لبنان: دار الكتاب اللبناني، 1975.

12. ابن خاقان، أبو نصر الفتح بن محمد القيسي الإشبيلي. قلائد العقيان ومحاسن الأعيان. تحقيق: حسين يوسف خريوش. ط1. الأردن: مكتبة المنار، 1989م (1409هـ).

13. الداية، محمد رضوان. *في الأدب الأندلسي*. ط1. دمشق – سوريا: دار الفكر المعاصر، 2000.

14. سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر. الكتاب. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. ط3. القاهرة – مصر: مكتبة الخانجي، 1988.

15. شيخة، جمعة. الفتن والحروب وأثرها في الشعر الأندلسي من سقوط الخلافة إلى سقوط الأندلس (الحروب) تقديم: محمد الطالبي. ط1. تونس: المطبعة المغاربية للطباعة والنشر، 1994م (1415هـ).

16. الشنتريني، ابن بسام (أبو الحسن علي). *الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة*. تحقيق: إحسان عباس. (د.ط). بيروت – لبنان: دار الثقافة، 1997م (1417هـ).

17. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك. *نكت الهميان في نكت العميان*. تحقيق: أحمد زكي بك. القاهرة: المطبعة الجمالية، 1911م.

18. الطرابلسي، محمد الهادي. *خصائص الأسلوب في الشوقيات*. تونس: منشورات الجامعة التونسية، 1981.

19. العماد الأصفهاني، *خريدة القصر وجريدة العصر (قسم شعراء المغرب والأندلس)*. تحقيق: آذرتاش آذرنوش، نقحه وزاد عليه: محمد المرزوقي، محمد العروسي، الجيلاني بن الحاج يحيى. تونس: الدار التونسية للنشر، 1972م.

20. العمري، محمد. *تحليل الخطاب الشعري: البنية الصراعية–الكثافة–الفضاء–التفاعل*. ط1. الدار البيضاء – المغرب: مطبعة النجاح الجديدة، 1990.

21. ابن عبدون اليابري، أبو محمد عبد المجيد. الديوان. تحقيق: سليم النعيمي. ط1. دمشق– سوريا: دار الكتاب العربي، 1988.

22. ابن عباد، المعتمد على الله محمد. الديوان. جمع وتحقيق: رضا الحبيب السويسي. تونس: الدار التونسية للنشر، 1975.

23. عباس، حسن. خصائص الحروف العربية ومعانيها. دمشق – سوريا: اتحاد الكتاب العرب، 1998.

24. عبد الجليل، عبد القادر. الأسلوبية والدوائر البلاغية البدائية. ط1. عمان– الأردن: دار صفاء للنشر والتوزيع، 2002.

25. المراكشي، ابن الأبار (أبو العباس أحمد يحي بن محمد). *الحلة السيراء في أخبار الأندلس*. تحقيق: حسين مؤنس. ط1. تونس: دار الغرب الإسلامي، 2013م (1434هـ).

26.المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي .*الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة* . تحقيق: إحسان عباس وآخرون. ط1. تونس: دار الغرب الإسلامي، 2012.

27.المقري التلمساني، أبو عبد الله أحمد بن محمد .*نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب* .تحقيق: إحسان عباس. بيروت: دار صادر، (د.ت).

28.المكي، الطاهر أحمد .*دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة* .ط1. القاهرة – مصر: دار المعارف، 1980.

29.مفتاح، محمد .*في سيمياء الشعر القديم دراسة نظرية وتطبيقية* .(د.ط). الدار البيضاء – المغرب: دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1989.

النبوة والوحي في الاستشراق الأمريكي نقد الإشكاليات الفكرية في مشروع واشنطن إرفينج

م.م. خزعل راجي صايل

مديرية تربية بابل/ العراق

saylkhzl11@gmail.com

الملخص

يدرس هذا البحث بالتحليل والنقد الإشكاليات الفكريّة التي طرحها المستشرق الأمريكي "واشنطن إرفنج" في كتابه "حياة محمد" حول مفهومي النبوّة والوحي في الإسلام. ويُظهر البحث كيف حاول إرفنج تفسير النبوة والوحي كنتيجة لتطور فكر النبي محمد ﷺ الشخصي وتأثره بالديانتين اليهودية والمسيحية، متجاهلاً البعد الغيبي للإسلام. كما يكشف التناقضات المنهجية والتحيزات التي شابت كتابات إرفنج، رغم بعض مواقفه المنصفة نسبياً مقارنة بمعاصريه من المستشرقين.

الكلمات المفتاحية : الاستشراق الأمريكي ، واشنطن إرفنج ، النبوة ، الوحي ، السيرة النبوية

Prophethood and Revelation in American Orientalism: A Critical Analysis of the Intellectual Problematics in Washington Irving's Project

Khazaal Raji Sayel

Babylon Education Directorate

Abstract

This study analyzes and critiques the intellectual problems raised by the American Orientalist Washington Irving in his book "The Life of Mahomet" regarding the concepts of prophethood and revelation in Islam. The research demonstrates how Irving attempted to interpret prophethood and revelation in light of the evolution of the Prophet Muhammad's personal thought and his influence from Judaism and Christianity, while ignoring the transcendent dimension of Islam. Furthermore, the study reveals methodological inconsistencies and biases that marred Irving's writings, despite his relatively fair positions compared to those of his contemporary Orientalists.

Keywords: American Orientalism, Washington Irving, Prophethood, Revelation, Prophetic Biography.

- إشكالية البحث

تكمن الإشكالية الرئيسية في المنهجية التحيزية والانتقائية التي اتبعها واشنطن إرفنج في تفسير نبوة محمد (صلى الله عليه واله) والوحي القرآني، حيث حاول تفسيرهما ضمن إطار تطور الفكر الديني البشري والمؤثرات الخارجية، متجاهلاً المصادر الإسلامية الأصلية والأبعاد الغيبية والعقدية التي تؤكد على سماوية المصدر.

- الأسئلة الفرعية

1. ما المصادر التي اعتمد عليها إرفنج في بناء رؤيته حول النبوة والوحي؟
2. كيف تعامل إرفنج مع الروايات التاريخية الإسلامية؟ وهل كان منهجه نقدياً موضوعياً؟
3. ما مدى تأثر إرفنج بكتابات المستشرقين السابقين عليه مثل بريدو وسيل وأوكلي؟
4. كيف فسر إرفنج حادثة اللقاء ببحيرى الراهب وتأثير ورقة بن نوفل على النبي(صل الله عليه واله)؟
5. ما حجج إرفنج حول الوحي؟ وكيف تم تفنيدها ؟

- أهمية البحث

تأتي اهمية البحث من خلال كشف زيف الادعاءات والتحليلات غير العلمية في كتابات جزء من الاستشراق حول شخصية النبي (صل الله عليه واله) والنبوة .والدفاع عن العقيدة الإسلامية من خلال نقد منهجي موضوعي للشبهات المثارة حول الوحي والنبوة.

- أهداف البحث

1. تحليل ونقد الأطروحات الفكرية لواشنطن إرفنج حول النبوة والوحي.
2. الكشف عن التناقضات والافتراضات غير العلمية في منهجه.
3. بيان تأثير الاتجاهات الأوروبية المتحيزة على كتابات إرفنج.
4. تقديم رؤية نقدية منهجية تكشف ضعف الادعاءات التي تسعى لتفسير الوحي بظواهر مرضية مثل الصرع.

- منهج البحث

اعتمد البحث على المنهج التحليلي النقدي لتفكيك أطروحات إرفنج وفحص تماسكها الداخلي ، واعتمدنا المنهج الاستقرائي بتتبع آراء إرفنج في مختلف فصول كتابه وربطها بمنهجيته العامة، والاستعانة بالمنهج التاريخي لمقارنة روايات إرفنج بالمصادر الإسلامية الأصلية والتحقق من دقتها

المقدمة

لقد افرد ارفنج لموضوع النبوة والوحي فصلا كاملا بالاضافة الى اشارات وتعليقات كثيرة في فصول اخرى من كتابه (حياة محمد)) (Life of Mahomet)ناجي ،1981،ص 78 .).

(كان الهدف من وراء ذلك بناء رأي وتحليل يؤكد من خلاله ان النبوة والوحي ماهي الا قمة تطور الفكر الديني للرسول (صلى الله عليه واله) .ولم تكن تلك المرحلة على ما يعتقده الا نتاج لعنصرين اساسيين ،الاول ما يمتلكه الرسول من مواهب وقدرات شخصية يضاف اليها معطيات ظروف الجزيرة العربية ،وخاصة قدسية مكة المكرمة لدى العرب ومكانتها التجارية والدينية .ويشدد على تاثير الديانتين النصرانية واليهودية في افكار الرسول (صلى الله عليه واله) ،عن طريق اللقاءات مع بحيرى الراهب ،وما قدمه ورقة ابن نوفل من معلومات ،اضافة الى المبشرين الذين يتوافدون الى مكة المكرمة في موسم الحج ,Irving). L.M,Op,Cit,P.P5-10)وحسب اعتقاده ان هذه ادت بالنتيجة الى خلق شعور لدى الرسول (صلى الله عليه واله) بضرورة القيام بحركة اصلاحية ،لذا بدا الرسول على مايعتقده ارفنج منشغلا بموضوع واحد الا وهو: الروح، وقاده ذلك التفكير الى الخلوة والانقطاع عن العالم ومن ثم الى احلام اليقظة .

تعد مواضيع الوحي والقرآن الكريم ونبوة محمد (صلى الله عليه واله) من المواضيع الاساسية والحيوية في تاريخ العقيدة الاسلامية والتاريخ الاسلامي ،فهي الاسس المتينة التي ترتبط بالايمان والمباديء الروحانية ،وهي من الطرف الاخر قد وجهت اقلام المستشرقين المعادين للاسلام منهم والمؤيدين على حد سواء للاهتمام بالعقيدة الاسلامية والتاريخ الاسلامي(ناجي ، 2000، ص78).

فالعمل على التشكيك والتساؤل السفسطي عن هذه العناصر العقيدية الاساسية هو دون شك عمل هادف نحو الطعن بالاسلام ومبادئه واسسه(خليل ، ،2000،ص113-201) .ولذلك صارت هذه العناصر الثلاثة الاساسية وامور اخرى في الاسلام اساسا قويا لدفع المستشرقين على دراستها والكتابة عنها واعطاء التفسيرات المتحزبة ،ونشر المطاعن والتشكيك ،واتباع مناهج بحث متعصبة تفتقر الى الامانة في البحث والتدقيق في المعلومات واعتماد المصادر العربية الاسلامية دون الاكتفاء بمصادر غير اساسية ،واصطياد الشاذ من الروايات(ناجي ، 2000 ،ص86).

كل ذلك بدأ مع اول توجه للمستشرقين وهم يبحثون عن القرآن الكريم والحديث الشريف .وقد ساد هذا المنهج غير المنصف جميع كتابات ودراسات العصر الكنسي والعصور الاوربية المظلمة معتمدين في مواقفهم وتفسيراتهم على القصص والاساطير دون المصادر الاصلية عن الاسلام ،فجاءت كتاباتهم مملوءة بالاحقاد والكره والضغينة ومفتقرة للمادة التاريخية النافعة(جواد ، 1984، ص 10-12).

ولكي نصل الى الحقيقة في ضوء اسس البحث التاريخي التي تبدأ بالمادة الاولية وتنتهي بالمقارنة والموازنة والتحليل والتركيب معتمدين الموضوعية قبل ان نصدر حكما مسبقا يتجاوز كل الاسقاطات التي من شأنها عرقلة الفهم .يتوجب ان نحدد النقاط الاساسية التي شدد عليها ارفنج في بناء رؤيته للنبوة والوحي .

اولا: اثر الديانة النصرانية في الفكر الديني للرسول (صلى الله عليه واله).

ثانيا:اعتبار الوحي نتيجة تراكمية من التفكيربالروح والاحلام والغيب.

المبحث الاول: النبوة في مشروع واشنطن إرفينج

لاشك ان السيرة النبوية وبالاخص النبوة والوحي ليس بمقدورنا ان نعدها جزءا من الوقائع التاريخية المادية المنسلخة عن الغيب .ونتعامل معها كما لو كانت حقلا ماديا للتجارب والاستنتاجات واثبات القدرة على الجدل ،لان الدين والغيب والروح عصب السيرة وسداها ولحمتها(خليل ،2000،ص116)لذا سوف نقف عند منهجية ارفنج في معالجته لهذا الموضوع ومدى دقة النتائج التي توصل اليها .

ان تسليم ارفنج بتصوراته المسبقة عن العقيدة الاسلامية بوصفه للرسول (صلى الله عليه واله) مؤسساً للعقيدة الاسلامية (Irving, L.M,Op,Cit,P1)قد حددت منهجيته في التعامل مع وقائع السيرة النبوية، واظهرت لديه آراء تقليدية بعيدة عن الموضوعية وتميزت بالافتراض والشك والتناقض في الكثير من المواقف .ونشير هنا الى نظريته التي اكد فيها ان فكر الرسول (صلى الله عليه واله) قد اعتمد وبشكل اساسي على ثلاثة مؤثرات ونحاول من خلالها التعرف على الاخطاء والثغرات المنهجية التي وقع فيها(جواد ، 1984، ص 9).

اتخذ ارفنج من لقاء الرسول (صلى الله عليه واله) في رحلته الاولى الى الشام بالراهب بحيرى نقطة الانطلاق الى موضوع النبوة .واعطى ارفنج هذا اللقاء اهمية خاصة حيث عده النواة الاولى لفكر الرسول التوحيدي ،حيث ذكر: ((تأكد محمد من خلال ذلك اللقاء ان الله هو الواحد الاحد)) ((Taking With Him Primitive Worship of the One true God)) . (Irving, L.M,Op,Cit.,P.28.)ان هذا التحليل لارصيد له من الواقع التاريخي لذا حاول ارفنج التشكيك في المصادر العربية ،وترجيح آراء المصادر الاوربية بقوله)) :يزعم الكتاب المسلمون–Moslem Writers Pretend – ان اهتمام الراهب بهذا الشاب الغريب انه لاحظ بين كتفيه خاتم النبوة ،ولذا طلب من عمه ان يحافظ على ابن اخيه عند عودته الى مكة المكرمة حتى لايقع في ايدي اليهود ويروا خاتم النبوة فيوقعون به الاذى .Irving, L.M,Op,Cit.,P.27 ((وعند ذكره للمصادر الاوربية يقول)) :ينسب الكثير–Many Have ascribed that knowledge – ان معلومات محمد عن الدين المسيحي الى محادثاته مع ذلك الراهب ،وقد لعبت هذه المعلومات دورا كبيرا في حياة محمد فيما بعد(Ibid)((

ويبدو ان ارفنج التفت الى ان هذا اللقاء القصير فوجد انه لايتناسب والمعلومات التي افاد منها الرسول (صلى الله عليه واله) وما جاء في القران الكريم ،لذا افترض ارفنج ان تكون هناك لقاءات اخرى حصلت بين الرسول والراهب بقوله: ((من المحتمل قد عزز محمد لقاءاته من خلال زيارات اخرى كان يأتي بها الى سوريا))(Ibid)لايقف ارفنج عند شكه بالمصادر العربية وافتراضاته بل وضع تحليلا مخالفا للوقائع ليقرر وجهة نظره فذكر ((يبدو ان الراهب الحريص على التبشير بدينه قد توسم الخير في هذا الشاب الذكي ،ابن اخ سادن الكعبة، ورأى انه خير من يحمل بذور المسيحية الى مكة ومن الطبيعي ان يحرص هذا الراهب على ان يمنع ذلك الشاب ،الذي قد ينجح في تحويله الى المسيحية من اعتناق اليهودية))(Ibid)

على الرغم من ان هذه الحادثة قد وردت في المصادر الاولية العربية الا انها لاتثبت امام النقد العلمي(محسن و العزاوي ، 1992 ، ص 196-198) ،ومع هذا حاول ارفنج ان يحملها اكثر من مدلولاتها ويقدمها كدليل على انها المصدر الرئيسي لتعاليم الدين الاسلامي .وقدم لها المقدمات ليزيد من قوتها ومصداقيتها ويزيل نقاط الضعف من ثاثير الرواية حتى ولو تناقض مع بعض اراءه .فلما كان عمر الرسول (صلى الله عليه واله) في تلك الرحلة تسع سنوات في بعض الروايات و اثنتا عشرة في روايات اخرى(الطبري، 1405هـ،ج2 ،ص112)لم يجد في الروايتين من المؤهلات العمرية لتقبل معلومات كبيرة وواسعة من هذا النوع

فقال: ((اصبح محمد الان في الثانية عشرة من عمره ولكنه كان على جانب كبير من الذكاء بالنسبة لعمره)) (Irving,L M,Op,Cit,P.24)واضاف: ((كان طفلا ناضج التفكير قوي الملاحظة يتامل ويفكر في كل ما يراه وله خيال خصب ،جسور ،واسع الافق، وقد تفتحت افاق المعرفة لديه))(Ibid,P.23)

نجد فيما سبق ان ارفنج ينتقي ما يخدم رايه في جانب ويرفضه او يشكك فيه في جانب اخر وهذا واضحا في موقفه من المؤرخين المسلمين الذين شكك في وصفهم للرسول (صلى الله عليه واله) بقوله: ((يجد المؤرخون المسلمون سرورا في ذكر ما كان لمحمد في طفولته من معجزات وايات رغم ان معلوماته هي المعلومات العادية التي لدى اطفال العرب الاخرين ،فقد كان لايعرف القراءة والكتابة))(Ibid)هذان النصان التي ذكرناها وهناك المزيد منها تبين منهجية ارفنج التي شكل الشك والافتراض والتحليل وتحميل الرواية اكثر من حجمها يعود بالنتيجة الى سبب واحد هو تسليمه ابتداءا باراء مصادره التي اعتمدها ، وحاول ان لايضيع أي فرصة لاثبات تلك الاراء حتى ولو كانت بعيدة عن المضوعية والمنهج العلمي.وفي ضؤ ذلك لابد من الوقوف عند بعض نقاط هذه الرواية من المصادر العربية ونقارنها مع تحليلات ارفنج.

ذكرت رواية ابن هشام ان ابا طالب خرج في ركب تاجرا الى الشام فلما تهيء للرحيل واجمع المسير صبّ به رسول الله (صلى الله عليه واله) ،فرقّ له وقال : والله لاخرجن به معي ...فلما نزل الركب بصرى ...وبها راهب يقال له بحيرى في صومعة له ،وكان اليه علم اهل النصرانية ...وكانوا كثيرا مايمرون به قبل ذلك فلا يكلمهم ولا يعرض لهم ...فلما نزلوا قريبا من صومعته صنع لهم طعاما كثيرا،وذلك فيما يزعمون عن شيء رءاه وهو في صومعته ...ثم ارسل اليهم فقال:اني صنعت لكم طعاما يامعشر قريش فانا احب ان تحضروا كلكم، صغيركم وكبيركم وعبدكم وحركم ...واجتمعوا اليه . وتخلف رسول الله (صلى الله عليه واله) لحداثة سنه في رحال القوم تحت الشجرة ،فلما نظر بحيرى في القوم لم ير احدا لديه الصفة التي يعرفها عنده، فقال :يامعشر قريش لايتخلفن احد منكم ...قالوا يابحيرى ما تخلف عنك احد ينبغي له ان ياتيك الاغلام ،وهو احدث القوم سنا، فقال:ادعه فليحضر هذا الطعام معكم ...فلما رأه بحيرى جعل يلحظه لحظا شديدا وينظر الى اجزاء في جسده ...قال بحيرى: ياغلام اسألك بحق اللات والعزى الا مااخبرتني عما اسألك عليه...قال رسول الله (صلى الله عليه واله) :لاتسالني باللات والعزى فاوالله ماابغضت شيأ قط بغضهما ...ثم نظر بحيرى الى ظهر النبي فرأى خاتم النبوة بين كتفيه...قال بحيرى: لابي طالب ارجع بابن اخيك الى بلدك واحذر عليه اليهود فاوالله لان رأوه وعرفوا منه ماعرفت ليضغّنه شرا ،فأنه كائن لابن اخيك هذا شأن عظيم (ابن هشام ، ج2 ، ص73 ؛ ابن سعد ، 1408، ص193-194).

نفهم من الرواية ان غرضها الاساس هو: ان الله سبحانه وتعالى قد اصطفى الرسول (صلى الله عليه واله) من بين خلقه وكانت فيه من الصفات التي تدلل على ذلك لايعرفها الا من له علم بالاديان الاولى.

ان الرسول (صلى الله عليه واله) كان في سن صغير لايشارك رجال القبيلة في شيء حتى الوليمة لم يحضرها لصغر سنه.

كان اليهود لايؤمن غدرهم وخشي الراهب منهم على هذا الشاب فحذر ابو طالب من ذلك.

ان الرسول (صلى الله عليه واله) منذ صغره كان موحدا ولايؤمن بما يؤمن به قومه.

ان مدة اللقاء قصيرة جدا لاتتجاوز مدة الغداء ولا تسمح باخذ تلك المعلومات التي افترضها المستشرقون.

ان اهل الكتاب كان لهم علم بان نبيا سيظهر بين العرب في تلك الحقبة الزمنية.

هذا ما حملته هذه الرواية ،الا ان ارفنج كان له نظرا مختلفا في مدلولات ومعاني ماحدث في هذا اللقاء من اجل ان يتوافق مع ماسلم به مسبقا، لذا كانت اقواله تؤكد ان الرسول اخذ التوحيد وعرف انه لااله الا الله وحده لاشريك له من هذا اللقاء، والا كان على دين قومه قبل ذلك.

ان المعلومات التي وردت في القرآن الكريم عن الرسالات الاخرى هي ذكريات ذلك اللقاء الذي قال عنه ارفنج: ((تحدث بحيرى مع محمد في عدة مواضع بقية راسبة في ذهنه))(Irving, L.M,Op,Cit,P.24)خشي الراهب من اعتناق هذا الشاب لليهودية ،لذلك حرص على ذلك الشاب الذكي الذي توسم فيه الخير ان يجعله مبشرا بالديانة المسيحية في بلاد العرب .ويستدل ارفنج على عمق ذلك التاثير الذي انعكس على حب محمد لبلاد الشام بعد ذلك اللقاء بذكره ((بدأ محمد ينظر الى بلاد الشام نظرة احترام وتقدير بعد ذلك اللقاء)) (Ibid,P.25)

كان ارفنج صادقا في روايته عن حب الرسول (صلى الله عليه واله) لبلاد الشام ولكن لايمت لهذا السبب بصلة ،الا انه حاول اقتناص كل مايؤيد رأيه. (3)(Ibid,P.25)واما النقطة التي اخذها ارفنج تأييدا لرأيه في مدى تأثير الديانة النصرانية على العقيدة الاسلامية هي تعلم الرسول (صلى الله عليه واله) من ورقة بن نوفل .فيرى ارفنج ان زواج الرسول (صلى الله عليه واله) من خديجة رضي الله عنها قد ترك اثره الواضح على مسار الفكر الديني لدى الرسول في اتجاهين فقال: ((ولاشك ان ثراء زوجته وفر له من الوقت الذي امضاه في التأمل والبحث الديني الذي كان مغرما به منذ حداثته ...وادى الى توثيق صلاته باحد اقربائها الذي له اكبر الاثر في افكار محمد الدينية)) (Obaidat , Marwan ,OP,Cit,p.24)حاول ارفنج ان يصيغ الوقائع التاريخية باسلوبه القصصي والخيالي واعطاها بعدا اخرلايتناسب مع حقيقة الحدث نفسه ولم يذكر ماهو ذلك الاثر الكبير .وماهي المعلومات التي قدمها ورقة للرسول (صلى الله عليه واله) لذا اكد على صفات ورقة بن نوفل وقدراته العلمية ليبين ان هذه الامكانات لابد وان تركت اثرا في فكر الرسول (صلى الله عليه واله) فيقول ارفنج: ((كان رجلا ذا افق واسع ،وكان في الاصل يهوديا ثم اعتنق المسيحية ،وكان يجيد علم الفلك والتنجيم .ويرجع له الفضل في ترجمة بعض اجزاء الكتب السماوية الى اللغة العربية ،ولاشك ان محمدا قد اطلع عليها واستفاد مما جاء فيها))(Ibid)

ان الاستنتاج الذي توصل اليه ارفنج ليس اكثر من قصة خيالية وصفية بعيدة عن الموضوعية وعن الحقائق العلمية وتوظيفه للحوادث التاريخية بطريقة الافتراض والابتعاد عن المصادر الاصيلة، اذ اخرجتها عن مسارها الحقيقي.فلو كان الرسول (صلى الله عليه واله) قد تعلم من ورقة لكان على ارفنج او غيره من المستشرقين توضيح ذلك ليكون دليلا يعطي لارائهم المنطقية وقوة الحجة والبرهان .هذا بالاضافة الى ان المصادر العربية الاولية سواء ابن اسحاق ام ابن هشام ام ابن سعد ام كتب الصحاح ذكروا مالايتصل بالتعلم او أي شيء قد اخذه الرسول (صلى الله عليه واله) من ورقة غير وقائع اول نزول الوحي على الرسول (صلى الله عليه واله) وهذا لايقصده ارفنج لان ذلك حدثٌ متأخرٌ ،بينما كلامه عن تطور الفكر الديني للرسول (صلى الله عليه واله) قبل النبوة والوحي .ولم يتوقف ارفنج عند هذا الحد بل رأى ان تلك المعلومات التي لم يطلع عليها هو نفسه ولم يعرف ماهي تلك العلوم التي اخذها الرسول عن ورقة الا انه لابد ان يجد ما يدعم رأيه فيقول ((رسبت هذه المعلومات في ذاكرة محمد ،وادت به الى الابتعاد عن الوثنية المنتشرة حينئذ في بلاد العرب)) (Irving, L.M,Op,Cit,P.35)والمصادر العربية، وقد اشار القرآن

الكريم الى تهمة المشركين للرسول (صلى الله عليه واله) بانه كان يتعلم من بعض الاشخاص الموجودين في مكة حيث جاء فيه لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي فصيح (سورةالنحل : 103) وذكر المفسرون ان لهذه الاية عدة اسماء حتى وصلت الى سبعة اشخاص دون الاشارة الى ورقة من هذا نستنتج ان ارفنج اخذ كل مايمكن ان يدعم رأيه دون الالتفات الى مصادر الحدث نفسه(ابن كثير، ،ج2،ص587؛ الطبري ، تفسير جامع البيان في تاويل القران ،ج7 ، ص 305)

اما المصدر الثالث الذي عزز افكار الرسول (صلى الله عليه واله) الدينية حسب مااعتقده ارفنج ان الرسول كان في بداية حياته يرتاد بعض الاسواق التي تعقد في الجزيرة العربية وتقوم فيها المناظرات بين القبائل حول القاء الشعر وفي هذه الاسواق كما ذكر: ((يقوم المبشرون بالتبشير بالاديان المختلفة ،ولاشك ان محمدا قد استفاد فيما بعد من اقول المبشرين)) (Irving, L.M,Op,Cit,P.29-30)يتضح ان ارفنج اعتمد على الظن والافتراض والتحليل في سرد اراءه التي حكم بها مسبقا ،فحاول أخذ الوقائع التاريخية ونسج منها خيالا يتلائم والاستنتاجات التي يبغي الوصول اليها.

ان مصادر التاثير التي تشبث بها ارفنج قد كان للمصدرين الاولين منها ذكر في الروايات العربية وان كانت لاتقترب مع مااراد ارفنج ان يعززه بتفسيرات وافتراضات من اجل ان يقربها الى غرضه . لاشك ان المصادر العربية ذكرت اسواق مكة المكرمة واسهبت في ذكر مايدور فيها الا انها لم تتطرق الى ان الرسول(صلى الله عليه واله) كان يلتقي بالمبشرين او حتى الحديث عنهم(الفاكهي ، ، 1414هـ ، ص267).

غير قوله ان الرسول(صلى الله عليه واله)استفاد من افكار واقوال المبشرين الذين يتوافدون على اسواق الجزيرة العربية فلم يكن لها اصلا في المصادر العربية لذا فانها تقلل من اهمية ارائه وتعكس مدى تاثير المصادر الاجنبية عليه ذات الاتجاه الواحد ،كذلك ادت قلة اطلاعه على المصادر العربية الاولية الى التناقض مع افكاره لقوله: ((عند قدوم محمد الى المدينة،اعتنق بعض الاهالي من المسيحيين الاسلام بصدق ،ومن المحتمل انهم كانوا من الطائفة التي تؤمن بالطبيعة البشرية للمسيح)) (Irving, L.M,Op,Cit,P.98).فلو كان الاسلام متبعا لخطى النصرانية وان دعاتها يجوبون اسواق الجزيرة لحصل العكس مما افترضه ارفنج، فكيف يؤمنون بالشريعة الاسلامية وهم على علم ودراية بان الرسول () قد اخذ من النصرانية واليهودية ليؤسس عقيدة جديدة تختلف عن العبادة التي هم عليها.

المبحث الثاني: الوحي في مشروع واشنطن إرفينج

لقد قدم ارفنج عرضا متسلسلا لسيرة الرسول (صلى الله عليه واله) فوقف عند النقاط التي وقف عليها غيره من المستشرقين وخصص لموضوع الوحي دراسة بيّن من خلالها ان الوحي نتيجة تراكمية من التفكير والروح والاحلام والانشغال الصادق لضرورة اصلاح المجتمع من الانحرافات التي عمت جميع مفاصل الحياة وخاصة الروحية منها (Ibid, P.92)،حتى دفعت بالرسول(صلى الله عليه واله) للانقطاع عن الناس في غار حراء وقاده ذلك التعمق في الافكار الروحية و الغيبية الى احلام اليقظة (Irving, L.M,Op,Cit,P.92).وان كان هذا الراي فيه شيء من التطور بالنظرة الى الرسول(صلى الله عليه واله) وسيرته والانتقال من المنهجية العدائية والالفاظ البذيئة الى التقييم العقلاني والمنصف قياسا بما سبقه من اراء ومفاهيم .فمن الواضح ان ايرفنج كان دائما يحاول التحرر من عوامل ضاغطة من الناحية الزمنية والمكانية والمذهبية والنفسية ، لكنه لم يحقق نجاحا في عرض مشروع دراسته عن السيرة النبوية ،وهذا ليس من المؤاخذات قدر انها تبين محاولة جريئة على رفضه ان يكون ذو فكر متقولب بافكارعصره

،وكذلك تؤكد اقدامه وتحريه التحرر من مسلمات العصور الوسطى بنسبة فاق فيها معاصريه ومن مستشرقين اعتمد على كتاباتهم عن السيرة النبوية .

ان ارفنج حاول ان ياخذ موضوع السيرة وسطا بين العلمانيين الماديين الذين لم يؤمنوا بالغيب ،وبين الكنسيين الذين لايؤمنون بصدق الرسالة التي اعقبت اليهودية والنصرانية ،او مايحمله الطرفين من ضغينة.

فنراه يقول ((ان قائدا من هذا النمط لايمكن ان يكون رجلا بدون مباديء كما صور لنا)) ,Irving (L.M,Op,Cit,P, 24).وعلى الرغم من هذا التوجه المنصف عند النظر الى الرسول انسانا الا انه لايستمر معه في تفسيره للجوانب الغيبية وخاصة الوحي.

وهوفي هذا الفصل اكد ان الصورة المشوهة عن الرسول (صلى الله عليه واله) سواء كانت برؤية العلماني المادي او اللاهوتي الكنسي ماهي الا محاولة لتجريد الرسول (صلى الله عليه واله) من المباديء الانسانية السامية بلا وجهة حق. ويذكر ((كان الرسول في كل تصرفاته ناكرا ذاته ،رحيما ،بعيدا عن التفكير في الثراء او المصالح المادية ،فقد ضحى بالماديات في سبيل الروحانيات)).

في هذا النص يبدو ارفنج بعيدا عن النظرة المادية و يؤكد ان سيرة الرسول (صلى الله عليه واله) قد بنيت على اسس روحية متينة كانت قطب الرحى لكل سلوكه وتصرفاته خلافا لما سطره بريدو وسيل وغيرهما ممن افاد ارفنج من مؤلفاتهم . ويقول ((كانت الصلاة احدى اركان الاسلام وهي تؤدي الى صفاء الروح ،وكانت ثقة محمد هي التي تجعله يصمد امام المحن والخطوب ،فكان يتوجه بكل اماله الى الله طالبا منه رحمته))(Irving, L.M,Op,Cit,P, 24)

ان عودة ارفنج تفيسر اسباب انتصارات الرسول (صلى الله عليه واله) على وفق البعد الروحي العميق دليلا على انه قد تمرد على افكار عصره وتوجهاته ومعارضا للكثير من التقولات المدعية بدنيويته (صلى الله عليه واله) .اذ يقول: ((رغم انتصارات الرسول العسكرية ،الا ان هذه الانتصارات لم تؤد الى أي مظهر من مظاهر الكبرياء والغرور ،فقد كان يحارب من اجل العقيدة الاسلامية،لامن اجل مصالحه الشخصية وان كان يهدف الى تكوين دولة عظيمة الا انها كانت دولة الاسلام ،وحكم فيها بالعدل ،ولم يفكر ان يجعل الحكم فيها وراثيا لاسرته))(Ibid, P.232)ويذهب ارفنج الى ابعد من ذلك عند متابعته لماالفّه الاجانب عن الرسول (صلى الله عليه واله) من روايات اسلامية ونصرانية في مجال اثبات صدق دعوته وتبليغ رسالته فيذكر: ((ان الكثير من الخرافات قد ابتدعها بعض المغرضين ورددها بعض المسلمين وانه ليس هناك دليل على ان محمدا قد اعتمد على مثل هذه الوسائل ليثبت صدق دعوته .بل اعتمد على الحجة والبلاغة والحماسة الدينية في دعوته)). (Ibid)

ان موقف ارفنج المعارض للتفسيرات والادعاءات السلبية التي تهدف الى النيل من شخصية الرسول (صلى الله عليه واله) مبنية على جرأته في تحدي المفاهيم الغربية المشوهة والخالية من الاستدلال المنطقي والعلمي ،وكذلك تعكس الاعجاب الصريح بايمان الرسول (صلى الله عليه واله) .والواقع ان ارفنج قد اقترب من الحقيقة الكلية ،فلو توفرت له فرصة للاطلاع على جميع المؤلفات الاصيلة للمؤرخين المسلمين لعدّل الكثير من وجهات نظره.

وعلى الرغم من ذلك يبقى ارفنج مسحوبا بين قطبين متناقضين ؛ المفاهيم الغربية المزيفة والمغرضة ،وضياء خلاصاته كاتبا ومحللا ،كما بقي متحيرا في زاوية حرجة لم تمكنه او تبعده عن الظفر بالتحرر الكامل من الترسبات المتصلبة التي غلفت ثقافته ونشأته ،في ظل غياب الوثائق والسجلات المحققة تحقيقا منصفا، ذلك ان مصادره ذات المنبع المشترك لم تسعفه في الرقى الى ماهو واقعي وموضوعي ،اذ ظل متأثرا بكتابات (بريدو)وخاصة كتابه (الطبيعة الحقيقية للدجل والمجسدة كليا في حياة محمد) والذي اعتمد فيه على كتابات المجادلين والمناظرين المعادين للاسلام (P.M.Holt (1964) P.294) و الى (جورج سيل) في ترجمته للقرآنالكريم،الذي طعن في مقدمة ترجمته بالاسلام ونبيه وذهب الى ماذهب اليه اسلافه من ان القرآن الكريم من اختراع محمد وهذا لايقبل الجدل(Irving ,L.M,Op,Cit,P296)

وحتى (اوكلي)فقد اكد بان الاوربين مدينون للعرب في المعرفة والعلم الا انه قال ان الاسلام كان هرطقة مستنكرة ،ووصف الرسول (صلى الله عليه واله) محتالا عظيما. (Ibid,P298)

وبالاضافة الى تلك المصادر فان الرواسب الفكرية هي الاخرى لم يتفلت ارفنج من هيمنتها ،ويبدو ذلك واضحا في مناقشته لـ (الوحي) اذ نجده يقول ((ومما يلفت النظر ان الرسول قضى الفترة الاولى من حياته قبل نزول الوحي في عبادة روحية ، في وحدة وصيام وصلاة وتعبد)) (Ibid,P.239)ويذكر ايضا: ((كان كثيرا ماينعزل عن المجتمع وينفرد بنفسه في جبل حراء ...حيث يقضي عدة ايام في الصلاة والتعبد ...وكان لايشغل ذهنه الا بموضوع واحد وهو الروح)).(Ibid)

ويواصل ارفنج مقدماته فيذكر ان احد المؤرخين دون ان يذكر اسم احد منهم او اسم مؤلفه فيقول: ((ظل محمد ستة شهور يرى في احلامه مايفكر فيه وهو متيقظ ،فكان غالبا مايفقد رشده ويستلقي على الارض وكانه فاقد للوعي))(Ibid,P139)

وعند مقارنة الوصفين السابقين مع ماذكرناه في رأيه الاخير يظهر لنا ان الارتباك واضحا في افكاره فلايخفى تاثير كتابات المستشرقين الذين اعتمدهم في معلوماته عن السيرة النبوية ،فان صحت في جانب فقد اخفقت في اخر ،فالمقطع الاخير الذي يذكر فيه ان الرسول (صلى الله عليه واله) كان يفقد رشده ويستلقي على الارض لم يجاريه فيه احد من المؤرخين المسلمين (ابن هشام ،المصدر السابق، ص195).

ويستطرد ارفنج في خياله الادبي والقصصي فيذكر: ((كانت خديجة زوجته المخلصة ترقب محمدا في وحدته وتعبده بعين من القلق وتتساءل عن السبب الذي يدعو الى ذلك ،ولكنها تخفي قلقها وتساؤلها)) (Irving,L.M,Op,Cit,P296).غافلا عن قول ابن سعد وغيره من المؤرخين المسلمين ان حالة التحنث كانت عادة متبعة ومشهورة في قريش (ابن سعد ،المصدر السابق،ج2،ص194)

اذا علام قلق خديجة وتساؤلها عن السبب ! وهي ابنة تلك البيئة التي الف اهلها التعبد والانقطاع في ايام محددة من السنة ،فالمصادر الاسلامية ذكرت المتحنثين امثال ورقة بن نوفل وامية بن ابي الصلت وزيد بن الخطاب وعبيدالله بن جحش وغيرهم بكثير من التبجيل والاحترام وما كان يكنه لهم مجتمعهم من فضل واحترام واعتزاز زيادة عما كان لهم من مكانة اجتماعية كبيرة ،لم تاتهم من حسب او نسب غير انهم امتازوا بالسلوك القويم ورجاحة العقل(ابن منظور ، د.ت، ج2،ص 138؛ الجوهري ، ج1، ص66).

والذي يثير الانتباه هنا ان ارفنج ذكر بان خديجة (رضي الله عنها) كانت تخفي قلقها وتساؤلها من تحنث الرسول (صلى الله عليه واله) وكان الامر فيه شيء من الاساءة او الخروج عن المالوف او ما يشين على صاحبه ممارسته .الا انه ذكر في مقطع آخر يدعم ان افكاره بقيت غير مستقرة و تابعة لبعض اراء المستشرقين، بقوله ((نظرت خديجة الى الامر بعين الصدق والاخلاص ورأت في ذلك جنيا لثمار تعبده وزهده)) (Irving,L.M,Op,Cit,P.35)فهذا لا ينسجم وما ذهب اليه في الراي السابق، بل يعبر عن عدم الاستقرار والتناقض ،كذلك حاول في بعض الاحيان ان يذكر الرأي الذي لا ينسجم وذهنيته المتحررة فيقول ((ينسب بعض خصوم محمد)) وهذا التعبير يضمر في داخله نقدا لاذعا للكتاب الذين اساؤوا بكتاباتهم لشخص الرسول (صلى الله عليه واله) كما تحمل الحرج والارباك وعدم وضوح الرؤيا.

نرى ان ارفنج قد هيأت له اهواء عصره المبنية على الشك والريبة في كل مايدور من معلومات حول الرسول (صلى الله عليه واله)(الدعمي، ،ص94) حتى حجبت عنه الحقيقة .ولم يجانب (مكسيم رودونسن) الحقيقة حين قال ((ان الباحث ابن بيئته ،لان قدرات الانسان على التجرد من نزعاته واهوائه وموروثات عقله في اللاشعور مما تشرّبه من معتقدات ومفاهيم ومسلمات منذ طفولته انما هي قدرات محدودة جدا))(رودنسون ،1982،ص10-11).

فتبني ارفنج اراء غيره دون قناعة كاملة فالارباك واضح في رؤياه، والتناقض في افكاره، وتحت ضغوط هذه الافكار حاول ارفنج فهم دلائل النبوة بعد ان وضّح تاريخ الفكر الديني لدى الرسول (صلى الله عليه واله) مدعيا بانه مر بمراحل حتى وصل لهذا الاعتقاد فقال: ((اخبرنا انه – الرسول (صلى الله عليه واله) – ان تغيبه تدريجيا عن المجتمع في غار حراء ...كان من اجل ان يحاكي الزهاد النصارى في الصحراء)) (Irving,L.M,Op,Cit,P.239)واضاف: ((اعتقد محمد ان الوقت قد حان لقيام حركة اصلاحية مرة اخرى ... كانت هذه الافكار تتوارد على ذهنه دائما واثرت في اعماله وافعاله ...وكان يمكث الليالي والايام يختلج في الصلاة والتأمل ، وفي هذه الطريقة كان يقضي شهر رمضان ...واصبح يبحث عن الاحلام والنشوة الغيبوية)) (Irving,L.M,Op,Cit,P.36)..

يبدو ان ارفنج من خلال ما اقتبسناه من اقواله ان اسلوبه القصصي الخيالي لا يفارقه مقرونا بالاستدلالات العقلية الخالية من السند التاريخي ، وبذكره ان الرسول (صلى الله عليه واله) كان يحاكي الزهاد النصارى دلّ على صحة ما ذهبنا اليه ، فمن الثابت ان التحنث من عادات قريش وان الرسول (صلى الله عليه واله) قد اقتنع بهذه العبادة وعمل بها دون ان يتأثر بالبعيد عن اجواء قومه.

اما اعتقاد الرسول (صلى الله عيله واله) حسب رأي ارفنج بان الوقت قد حان للقيام بالاصلاحات التي دفعته للتامل والانقطاع في غار حراء ،باحثا عن الاحلام والغيب فاننا نشاطره في رايه هذا ذلك لان الرسول (صلى الله عليه واله) قد نبذ الكثير من العادات والتقاليد الدينية والاجتماعية وكان يبحث عن الهداية بفطرته السليمة ،الا انه لم تكن الاحلام والتخيلات هي التي قادته الى الرؤيا الصادقة بعد ان حببت الى نفسه الخلوة كما يريد ان يصل اليه ارفنج حينما قال: ((طبقا لاحد مؤرخيه ،فان احلامه المستمرة قد ولدت لديه افكارا تتماشى ومواضيعه)). (Ibid)

قبل ان نناقش هذه الرؤيا علينا ان نذكر الروايات الاسلامية التي كان ارفنج يقصد الاعتماد عليها .قال ابن اسحق: ((ذكر الزهري عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها انها حدثته :ان اول ما بدأ به رسول الله (صلى الله عليه واله)من النبوة

،حين اراد الله كرامته ورحمة العباد به ،الرؤيا الصادقة ،لايرى رسول الله (صلى الله عليه واله) رؤيا في نومه الا جاءت كفلق الصبح .قالت :وحبب الله تعالى اليه الخلوة ،فلم يكن شيء احب اليه من ان يخلو وحده))(السهيلي ،المصدر السابق، ج1، ص375) . وقال ابن اسحق: ((حدثني وهب بن كيسان مولى ال الزبير .قال :سمعت عبدالله بن الزبير وهو يقول لعبيد بن عمير بن قتادة الليثي :حدثنا ياعبيد ،كيف كان بدء ما ابتدأ به رسول الله (صلى الله عليه واله) من النبوة حين جاءه جبريل عليه السلام .قال :فقال عبيد :وانا حاضر يحدث عبد الله بن الزبير من عنده من الناس :كان رسول الله (صلى الله عليه واله) يجاور في حراء في كل سنة شهرا ،وكان ذلك مما تحنث به قريش في الجاهلية))(ابن هشام،المصدر السابق، ج1 ، ص251).

وفي رواية اخرى عن عائشة رضي الله عنها ان ((اول مابدء به رسول الله (صلى الله عليه واله) من النبوة حين اراد الله تعالى كرامته ورحمة العباد به ،الرؤيا الصالحة ،لايرى رؤيا الا جاءت كفلق الصبح ،وفي لفظ اخر ،فكان لايرى شيأ في المنام الا كان كفلق الصبح))(ابن سعد، المصدر السابق،ج2،ص194).

وقال القاضي ((انما ابتدأ رسول الله (صلى الله عليه واله) بالرؤيا لئلا يفاجئه الملك الذي هو جبريل بالنبوة فلا تتحملها القوى البشرية ...فكانت الرؤيا تأنيسا له (صلى الله عليه واله))) (ابن سعد، المصدر السابق،ج2،ص194).

لقد فهم ارفنج الرواية كما يبدو بشكل معكوس ووظفها لتناسب الغرض الذي ذهب اليه حيث قال: كانت احلام الرسول (صلى الله عليه واله) انعكاسا للقضايا التي كان مشغولا في التفكير بحلول لها في اليقظة .الا ان الرأي الذي اكده الكتاب المسلمون هو ان رؤياه(صلى الله عليه واله) كانت تتحقق على ارض الواقع كفلق الصبح . ويرى ارفنج ان استغراق الرسول (صلى الله عليه واله) في اصلاح انحرافات المجتمع الاجتماعية والدينية قد هيأ له لان يكون برهانا للمنقذ من الضلال مما دفعه للانقطاع عن المجتمع وبشكل تدريجي من ليالي وايام شهر رمضان منهمكا بموضوع الروح والاحلام التي استمرت ستة شهور متتالية دون انقطاع ،مما انتجت لديه احلام اليقضة. (Irving,L.M,Op,Cit.P.46)

اذاً حاول ارفنج ان يضع المقدمات التي تفضي بالنتيجة الحتمية الى استنتاج نتائج مسلم بها مسبقا ،وان كان ذلك ليس من امهات افكاره بل االجترارا مرتبكا لافكار (اوكلي)الجدلية ضد الاسلام ونبيه.0 (Holt,Op.Cit,p.301-302)

ويبدو ذلك واضحا في النتيجة النهائية التي وصل لها ارفنج ،اذ ان احلام اليقظة تختلف عن احلام النوم التي اكدها مؤرخو السيرة النبوية بقولهم ((لايرى شيأ في المنام الا جاء كفلق الصبح)) (Irving,L.M,Op,Cit.P.46)فالشهور الست التي سبقت الوحي كان رسول الله (صلى الله عليه واله) مايراه في نومه من رؤيا صادقة تنبلج منها الحقيقة التي ينشدها والتي ينبذ من خلالها غرور الحياة و زخرفها.

فخيال ارفنج القصصي لطالما دفعه للانسياق معها وانسته ان السيرة موضوع تاريخي حيوي اعتمد على مصادر اولية وفق منهج البحث التاريخي واسسه التي تتعارض مع خيالات الباحث. فعند تطرق ارفنج عن بداية نزول الوحي على الرسول (صلى الله عليه واله) يذكر ارفنج رواية خالف بها جميع المصادر الاسلامية(ابن هشام ،المصدر السابق،ج1 ،ص320) فيقول: ((عندما كان محمد في غار حراء ملتحفا بردائه سمع مناديا يناديه من الاعلى ؛ رفع رأسه فأذا بالضوء الساطع مالئا المكان الذي لم يستطع تحمل روعته مما افقده الوعي ،وبعد ان استرد وعيه نظر الى الملاك وكان بشكل انسان الذي اطل عليه عن بعد لابسا رداءا حريريا

منقوش عليه حروف ،قال الملاك :اقرأ! قلت –الرسول (صلى الله عليه واله) –:انا لااعرف القراءة ،كرر الملاك اقرأ باسم ربك الذي خلق ،خلق الانسان من علق ،اقرأ وربك الاكرم ،الذي علم بالقلم ،علم الانسان مالم يعلم)).

وقد اجمعت الروايات الاسلامية ان الرسول (صلى الله عليه واله) كان نائما حين ظهر الوحي فذكر ابن هشام في سيرته: ((قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :فجاءني جبريل وانا نائم ...فانصرف عني فهببت من نومي ...))(ابن اسحاق ، ج2،ص105).

تؤكد ذلك الروايات الاسلامية الاخرى ((اول مابدء به رسول الله (صلى الله عليه واله) من الوحي ،الرؤيا الصادقة في النوم))(ابن اسحاق ، ج2،ص105).

ويذكر السهيلي في ذكر نزول جبريل عليه السلام على رسول الله (صلى الله عليه واله) ((...فأتاني وانا نائم ...))(السهيلي ، المصدر السابق،ج2،ص243)

والظاهر ان ارفنج يظن انه وجد في هذه الروايات ما يؤيد فكرته دون الالتفات الى روايات المؤرخين المسلمين ،فاحلام اليقظة لاتنسجم مع تلك الروايات وليس هناك مايؤيدها من قريب او بعيد ،مما اضطره الى صياغتها باسلوبه الخيالي الذي طالما يبعده عن الموضوعية وعن المنهج التاريخي فلا ريب ان اجماع مصادره على اراء محددة قد اثارت شكوك ارفنج واورثت التناقض والارباك في كتاباته رغم محاولاته الجريئة لانتزاع الحقيقة من بين ذلك الركام الهائل المملوء بالضغائن والاحقاد ،لكنه خلص الى نتيجة مشوشة وغير منسجمة مع اصول البحث العلمي ،فبينما يصف الرسول (صلى الله عليه واله) ((بانه حسن الطباع ،رحيما ،حليما،صبورا ...زاهدا لايميل الى الترف ويميل الى البساطة ...كانت جميع تصرفات الرسول تدل على رحمة عظيمة ...واسع الافق عظيم الذكاء)) (Irving,L.M,Op,Cit,P.270)ويذكر ايضا ((...دائما متمسكا بعقيدته وايمانه)) (Ibid,P.271)))وظل الرسول حتى الساعة الاخيرة من حياته مؤمنا بالله وبانه رسول الله (Ibid,P.273)((...

الا ان ذلك لم يستمر اذ سرعان مانجد ارفنج يتحزب مع كتابات اوكلي،بريدو،سيل ،وغيرهم في موضوع النبوة والوحي والقرآن ويعطل قدراته الاستنتاجية التي اعتمدها امام اراء من سبقه مما يدفعه لقبول رواياتهم المنتحلة والضعيفة (Holt,Op.Cit,P.302)وعلى سبيل المثال لا الحصر اخذ ارفنج باراء (فايل) في مسألة الوحي دون مناقشتها او تفسيرها، على الرغم من انه قد اطلع عليها في وقت متاخر من كتاباته عن سيرة الرسول(صلى الله عليه واله) (Pierre, Op.Cit,P.73)

لم يُبد ارفنج رأيا قاطعا بشأن تفسير (فايل)، لكنه وضع في اخر الفصل كلمة(Note) ، ولعل ارفنج قد اطلع على رأي (فايل)بعد ان كتب الفصل فاضطر الى وضعه في النهاية على شكل ملاحظة ،اذ اهتم (فايل) بتعرض الرسول (صلى الله عليه واله) لحالات الصرع ،وهي المسألة التي يثيرها خصومه من الكتاب النصارى ،ويبدو ان بعض المؤرخين المسلمين القدامى –كما يذكر (فايل)– قد ايدوها ،فذهبوا الى ان محمدا (صلى الله عليه واله) كان يصاب برعدة عنيفة يتبعه نوع من الاغماء والارتجاف،وخلالها يتصبب العرق من جبينه اثناء الطقس البارد وهو مستلق وعيناه مغلقتان وتخرج من فيه رغوة ويصدر خوار كجمل صغير .عائشة زوجته وزيد مولاه من بين الاشخاص الذين شهدوا على تاييد ذلك التاثير. والذي اعتقدوه وهو في تلك

الحالة تحت تاثير الوحي.كانت تتكرر هذه الحالة لديه في مكة قبل نزول القرآن عليه ،وقد استولى على خديجة الخوف من ان تكون ارواح شريرة،وحاولت طلب المساعدة من احد المشعوذين (Conjuror) لتخليصه منها،ولكنه منعها من ذلك. ولم يفعل ذلك كل من رءاه اثناء العارض . تخيلاته او احلامه (vision) على كل حال ليس دائما تسبق بمثل هذه الحالة ، وفي ذات مرة سأله (الحارث بن هشام) عن طريقة الرؤيا(الوحي) ، كيف كانت تأتيه.اجاب : بانه غالبا ما ياتيني الملك بشكل انسان ويكلمني ، واحيانا اسمع اصواتا تشبه صلصلة الجرس ولا ارى شيء (ورنة الجرس هذه هي من اعراض الصرع) عندما يغادر الوحي اعي ما قاله.((بعض إيحاءاته كما اوضح ياخذها مباشرة من الله واخرى بالاحلام)). (Irving,L.M,Op,Cit,P.39)ويذيلها ارفنج بالقول ((قد يستفيد القارئ من هذه الملاحظة في القاء بعض الضوء على المنهج الغامض لهذا الرجل الخارق)) (Ibid)

هناك عدة نقاط يجب الوقوف عندها في هذه الملاحظة من اجل معرفة مدى اقتراب (فايل وارفنج) او ابتعادهما من اصول البحث التاريخي بالاضافة الى مستوى الموضوعية في هذا الطرح . منها ما هو منتحل كما في قوله ((كانت تتكرر الحالة لديه في مكة قبل نزول القرآن عليه)) فليس هناك شيئ من هذا في المصادر الاسلامية سواء منها المتقدمة او المتأخرة التي اختصت بسيرة الرسول (صلى الله عليه واله) لا من قريب ولا من بعيد. والنقطة الثانية التي رواها (فايل) وايده فيها (ارفنج) هي قوله: ((وقد استولى على خديجة الخوف من ان تكون ارواح شريرة وحاولت طلب المساعدة من احد المشعوذين لتخليصه منها ولكنه منعها من ذلك)) . (Ibid)وعند الرجوع الى كتب السيرة نجد ضعف هذه الاقاويل ،فان كانت داخلت الرسول (صلى الله عليه واله) خشية مما رآه وشاهده حيث قال لخديجة رضي الله عنها (اني اذا خلوت وحدي اسمع نداء وقد والله خشيت أن يكون هذا لامر .فقالت :معاذ الله ،ما كان ليفعل بك ذلك ،فوالله انك لتؤدي الامانة وتصل الرحم وتصدق الحديث)(ابن اسحاق ،ج2،ص93).

يظهر ان الرواية تشير على عكس ماذهب اليه (فايل)حيث كانت خديجة رضي الله عنها تحاول ازالة المخاوف عن الرسول(صلى الله عليه واله) وتطمئنه.

وفي رواية اخرى لما رجع رسول الله (صلى الله عله واله) من غار حراء ورأى الملك في وسط السماء ورجع الى خديجة وقال لها : (لقد خشيت على نفسي) فكانت اجابة خديجة رضي الله عنها (كلا والله لايخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتقري الضيف وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الحق)(اليعقوبي ، 1997، ص270).

ان الروايات الاسلامية لم تذكر ما قاله فايل ،انما ذلك افتراءات بعض المستشرقين وجدت لها من يروجها ويسلم بها دون العودة الى المصادر الاصيلة وللتثبت من صحتها،وهذا مما يقلل من شأن ما كتبه فايل او ممن اخذ منه لابتعاده عن الحقيقة التاريخية الموضوعية.

والشيء الغريب انهم ينسبون تلك الاقاويل الى مؤرخي السيرة الاوائل دون ان يحدد اسم او عنوان الكتاب الذي اخذ منه ،وعند مراجعة كتب السير تتضح الحقيقة المخالفة لما اورده فايل وغيره ،فالمصادر الاسلامية لم تترك خبرا يصف حالة الرسول (صلى الله عليه واله) عند نزول الوحي الا ذكرته ،وعلى الرغم من ان الرواية فيها ما يطابق بعض الروايات الاسلامية الا ان فايل حاول ان يجعل من ذلك مقدمة لما سلم به مسبقا بان الرسول (صلى الله عليه واله) كان مصابا بمرض الصرع ، حيث ذكر سؤال

الحارث بن هشام لرسول الله (صلى الله عليه واله) عن طريقة الرؤيا كيف كانت تأتيه ،اجاب (صلى الله عليه واله) :غالبا مايأتيني الملك بشكل انسان ويكلمني ،واحياننا اسمع اصواتا تشبه صلصلة الجرس ولا ارى شيئا ،وعندما يغادر الوحي اعي ما قال.

لانجد في الرواية مايدل على تحريف او وضع ولكن محاولته قسر الرواية لتؤكد ما يريده المستشرق في (صلصلة الجرس) بانها الدلالة القاطعة على ان الرسول (صلى الله عليه واله) مصاب بداء الصرع.

ان معالجة موضوع الوحي ينبغي ان لا نعزلها نحن المسلمين عن المسألة الروحية العقيدية ،وكذلك لانطالب المستشرق ان يؤمن بالوحي ،ولكن يتوجب عليه ان يلتزم اصول البحث التاريخي التي من شأنها اضفاء الدقة على البحث والنزاهة العلمية .لذا سأحاول ان نناقش اراء فايل من خلال المختصين العلميين بمرض الصرع.

يؤكد الاطباء ان هناك نوعين من الصرع،النوع الاول (Grand mal or major convulsions) (الصرع العظيم)،والنوع الثاني(Petit mal –Absence attack) (الصرع الصغير).فالنوع الاول والذي يقصده فايل له من الاعراض التي لاتنسجم مع ما كان يحصل عند نزول الوحي. (Cecil ,text book of med.vol.2, 1982,P.2117)

1. مدة الصرع مستمرة لمدة ثواني او دقائق او حتى ساعات.
2. تسبق حالة الصرع عادة بحالة الخوف ،او احساس برائحة كريهة او هلوسة سمعية مع احساس غريب يشبه الخدر في الذراع والساق.
3. يظهر هذا النوع من الصرع في كل الاعمار.
4. تصاحبه حركات موقعية في الوجه والاطراف.
5. يبدأ الصرع بحالة مفاجئة من البكاء بسبب تقلص عضلات التنفس.
6. فقدان الوعي.
7. حالات من الانبساط والتقلص الشديد الذي يصيب الاطراف والجذع.
8. توقف التنفس مع ازرقاق.
9. فقدان السيطرة على الادرار والخروج.
10. عض اللسان عند مرحلة التقلص.
11. بعد ذلك تتوقف فعاليات الجهاز الحركي الزائدة عن حدها ويرجع التنفس الى الوضع الطبيعي.
12. يشعر المريض بتعب عام مع صداع في بعض الاحيان مع بقايا من الشلل النصفي وتدهور في الاحساس العصبي مع صعوبة في البلع.
13. يحصل للمريض بعد الصرع حالة من النسيان لكل ماحدث ،مع نعاس قد يبقى لايام قليلة.

ان نوبة الصرع العظيم التي تبتدأ بالتسلسل (1 وتنتهي بالتسلسل 13) سوف نناقشها على ضوء ما ادعاه فايل ،وعلى ما ذكر في كتب السير الاسلامية الاولية.قالت ام المؤمنيين عائشة رضي الله عنها)) :لقد رأيت الرسول (□) ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه ،وان جبينه ليتفصد عرقا(((ابن هشام ،المصدر السابق ،ج2،ص75) واخرج مسلم عن عبادة بن

الصامت)) ان رسول الله (ﷺ) كان اذا نزل عليه الوحي كرب لذلك وتربد –احمر –له وجه (((ابن هشام ،المصدر السابق ،ج2،ص75) واخرج ابو نعيم عن زيد بن ثابت قال ((كان اذا نزل الوحي على رسول الله ثقل لذلك وتحدر جبينه عرقا كأنه الجمان وان كان في البرد))(ابن اسحاق ،المصدر السابق ،ج2 ،ص112) واخرج الطبراني عن زيد بن ثابت قال ((كنت اكتب الوحي لرسول الله وكان اذا نزل عليه الوحي اخذته برحاء شديدة –الشدة والمشقة–وعرق عرقا شديدا مثل الجمان ثم سري عنه وكنت اكتب وهو يملي علي فما افرغ حتى تكاد رجلي تنكسر من ثقل القرآن))(السيوطي، 1985،ص155-157) . واخرج ابن سعد عن ابي اروى الدوسي قال : ((رأيت الوحي ينزل على النبي وانه على راحلته فترغو وتفتل يديها حتى اظن ان ذراعيها تنفصم فربما بركت وربما قامت مؤتدة يديها حتى يسري عنه من ثقل الوحي وانه لينحدر منه مثل الجمان))(ابن سعد ،ج2،ص220) .واخرج احمد والبيهقي عن عائشة قالت ((ان كان ليوحى الى رسول الله وهو على ناقته فتضرب بجرانها من ثقل مايوحى اليه وان كان جبينه لينطف بالعرق في اليوم الشاتي اذا اوحي اليه))(السيوطي ،1985م ،ج1،ص198) .عن زيد بن ثابت قال:((اني قاعد الى جنب النبي يوما اذ اوحي اليه وغشيته السكينة ووقع فخذه على فخذي حين غشيته السكينة ،قال زيد:فلا والله ماوجدت شيئا قط اثقل من فخذ رسول الله ،ثم سري عنه فقال:اكتب يازيد)) (ابو الفرج،عبد الرحمن ،1979،ص83) اخرج احمد والترمذي والنسائي والحاكم والبيهقي وابو نعيم بسند جيد عن عمر بن الخطاب قال ((كان رسول الله اذا نزل عليه الوحي نسمع عنده دوي كدوي النحل وفي لفظ نسمع عند وجهه كدوي النحل)))(السيوطي ،1985م ،ج1،ص198)

يبدو مما سبق عدم توافق ماذهب اليه فايل من التحليل والاستنتاج مع الاعراض العلمية والطبية التي اكدها الطب العالمي ،مع ابتعادها عن الروايات الاسلامية الصحيحة ،حيث الصرع يعطل الادراك الانساني ،وينزل بالانسان الى مرتبة يفقد اثنائها الشعور والحس ،اما الوحي فسمو روحي اختص الله جل جلاله به انبيائه ليلقي اليهم بحقائق الكون اليقينية العليا كي يبلغوها للناس.

لم تتحدث الروايات الاسلامية بان الرسول (ﷺ) كان يفقد الوعي اثناء نزول الوحي ،او يصاب بحالة الانقباض ويتبعها البكاء ،ولا فقدان السيطرة على الادرار والخروج ،كذلك لم يكن هناك من ذكر ان الرسول (ﷺ) قد عض لسانه او حصل له مايشابه ذلك اطلاقا ،والشيء الاهم ان من يمر بنوبة الصرع يمر بحالة من النسيان بينما كان الرسول (ﷺ) في جميع اوقاته مسيطرا على حواسه ومداركه فيذكر لاصحابه مايتلقاه وما يتلوه بدقة بعد ذلك على اصحابه ،فاسلوب القرآن معجز لفظا ومعنى ،خلافا لما اراده فايل .كما ان الذي يصاب بنوبة الصرع فانه يفقد الوعي ونجد ان الرسول (ﷺ) كان ينزل عليه الوحي وهو على ناقته كما مر في الروايات السابقة دون ان يسقط عن راحلته .على ضوء ذلك يبدو ان اراء فايل ومن بعده ارفنج تتجافى والحقيقة الروحية والعلمية لذا لايمكن الاعتماد عليها بل يمكن ان نصفها بالجهل علميا وروحيا .

- استنتاجات

1. افتقر إرفنج إلى الموضوعية والمنهجية العلمية رغم محاولاته الظاهرة للإنصاف أحياناً.
2. تأثر إرفنج بشدة بكتابات مستشرقين معادين للإسلام مثل بريدو وسيل، مما أضعف مصداقية تحليلاته.
3. اعتمد على التأويلات الخيالية والافتراضات غير المثبتة لدعم رؤيته المسبقة حول النبوة والوحي.
4. تجاهل إرفنج البعد الغيبي والروحي في حياة النبي (صلى الله عليه واله)، وحاول حصرها في عوامل بيئية ونفسية.

5. فشل الادعاء القائل بإصابة النبي (صلى الله عليه واله)، بالصرع في مواجهة الأدلة التاريخية والطبية.
6. مثلت كتابات إرفنج تحسناً نسبياً في النبرة تجاه شخصية النبي (صلى الله عليه واله)، لكنها بقيت حبيسة الإطار الاستشراقي الكلاسيكي المتحيز.
7. إهمال البعد الاجتماعي والسياسي لظهور الإسلام: ركز إرفنج على العوامل الدينية والفردية في تحليله، متجاهلاً الأبعاد الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي ساهمت في انتشار الإسلام، مما أدى إلى قراءة غير متوازنة لتاريخ الدعوة الإسلامية.
8. التناقض بين الإعجاب الشخصي والتحيز الفكري على الرغم من إعجاب إرفنج ببعض الصفات الأخلاقية للنبي (صلى الله عليه واله)، ، إلا أن هذا الإعجاب لم يمنعه من تبني رؤية اختزالية لمصادر الوحي والنبوة، مما يكشف عن صراع داخلي بين انبهاره بالشخصية ورفضه للبعد الغيبي

- **المصادر و المراجع**

أولاً: المصادر الأولية (باللغة العربية)

- القرآن الكريم

1. أبو الفرج، عبد الرحمن بن علي. (1979). صفوة الصفوة (ط 2). تحقيق محمود فاخوري. دار المعرفة.
2. ابن إسحاق، محمد بن إسحاق. (د.ت). سيرة ابن إسحاق. تحقيق محمد حميد الله. معهد الدراسات والأبحاث للتعريب.
3. ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع. (1408هـ). الطبقات (ج 1). تحقيق زياد محمد منصور. مكتبة العلوم.
4. ابن كثير، إسماعيل بن كثير الدمشقي. (1401هـ). تفسير القرآن العظيم. دار الفكر.
5. ابن منظور، محمد بن مكرم. (د.ت). لسان العرب. دار صادر.
6. ابن هشام، عبد الملك بن هشام. (1411هـ). السيرة النبوية. تحقيق طه عبد الرؤوف سعد. دار الجيل.
7. الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر. (1995). مختار الصحاح. مؤسسة الرسالة.
8. السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله. (1997). الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام. تحقيق مجدي منصور الشوري. بيروت.
9. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن. (1985). الخصائص الكبرى (ط 1). دار الكتب العلمية.
10. الطبري، محمد بن جرير. (1405هـ). تاريخ الطبري. تحقيق محمد حميد الله. دار الفكر.
11. الفاكهي، محمد بن إسحاق. (1414هـ). أخبار مكة (ط 2). تحقيق عبد الملك عبد الوهاب. دار خضر.
12. القرطبي، محمد بن أحمد. (1372هـ). تفسير القرطبي (ط 2). تحقيق أحمد عبد العليم البردوني. القاهرة .
13. اليعقوبي، أحمد بن يعقوب. (1997). تاريخ اليعقوبي. دار صادر.

ثانياً: المراجع الثانوية (باللغة العربية)

1. .خليل، عماد. (2000). المستشرقون والسيرة النبوية. مناهج المستشرقين،
2. الدعمي، محمد. (1994). في جذور الاستشراق الأمريكي. مجلة شؤون اجتماعية.
3. رودنسون، مكسيم. (1982). جاذبية الإسلام. ترجمة إلياس مرقص. بيروت.
4. علي، جواد. (1984). تاريخ العرب في الإسلام. بيروت.
5. محسن محمد حسين، وعبد الرحمن حسين العزاوي. (1992). منهج البحث التاريخي. بغداد.
6. ناجي، عبد الجبار. (2000). الاستشراق والسيرة النبوية. مجلة دراسات إسلامية، 1.
7. ناجي، (د.ت). تطور الاستشراق في دراسة التراث العربي. الموسوعة الصغيرة. بغداد

ثالثاً: المراجع الأجنبية (باللغة الإنجليزية)

1. Holt, P. M. (1962). The Treatment of Arab History by Prideaux Ockley and Sale. In History of The Near and Middle East in the University of London. London.
2. Irving, W. (1894). Slamajundi. New York: G.P. Putnam.
3. Irving, W. (1936). Prefact of sketch book. Boston, USA.
4. Irving, W. (1944). Life of Mahomet. New York.
5. Irving, W. (1855). Life of George Washington. New York: G.P. Putnam.
6. Obeidat, M. M. (1987). Washington Irving and Spain. International Journal of Islamic and Arabic Studies, 4.

مساهمة الهيئات الاستشارية في التنمية المحلية كخيار أمثل واشكالية التفعيل داخل الجماعات الترابية المغربية– جهة الرباط سلا القنيطرة.

سميرة الكرومي
مختبر التاريخ و التراث و المجتمع و التنمية، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة ابن طفيل، المملكة المغربية
elkaroumisamira18@gmail.com
+212 607657693

د.طيب العيادي
مختبر التاريخ و التراث و المجتمع و التنمية، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة ابن طفيل، المملكة المغربية
taib.elayadi@uit.ac.ma
+212 661886311

ملخص:

في هذا الموضوع، عالجنا اليات التشاور العمومي والمقاربة التشاركية والتي اصبحت اليوم ضرورة ملحة في البرامج التنموية، بحيث تعتبر الديموقراطية التشاركية من الآليات الهامة والجديدة التي يتم من خلالها ضمان مشاركة المواطنات والمواطنين والهيئات المدنية في اتخاذ القرارات العمومية التنموية و الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والبيئية. وتتبعها وتنفيذها وتقييمها، من أجل تمكين المجالس الجماعية من اتخاذ القرارات عن معرفة، وتعزيز مبادئ المساواة وتكافؤ الفرص وإدماج مقاربة النوع في تدبير الشأن العام.

وهذا ما أكدت عليه مقتضيات دستور 2011 بحيث كانت واضحة في مسألة إشراك المواطنات والمواطنين، والمجتمع المدني بصفة عامة في صناعة القرار.

كلمات مفتاحية: المقاربة التشاركية؛ التشاور العمومي؛ مقاربة النوع؛ آليات المشاركة الديموقراطية؛ الحوار والتواصل.

Contribution des organismes concertations au développement local comme un choix optimal et la problématique de l'activation au sein des communautés territoriales marocaines – Région de Rabat-Salé-Kénitra.

Samira El Kroumi

Pr Taib ELAYADI

Laboratory of History, Heritage, Society and Development, Faculty of Social Sciences, Ibn Tofail University, Kingdom of Morocco

Abstract

In this work, the mechanisms of public consultation and the participatory approach, which are now essential in the design and current development programs, were addressed. So, the participatory democracy represents one of the key and innovative mechanisms for ensuring the effective involvement of citizens and civil society organizations in public decision-making processes related to economic, social, cultural, and environmental development, as well as in the monitoring, implementation, and evaluation of local policies. These dynamic aims to strengthen the capacity of municipal councils to make informed decisions, while promoting the principles of equality, equal opportunity, and the integration of a gender approach into public governance. The establishment of the Moroccan Constitution in 2011 confirmed clearly this orientation, emphasizing the need to involve citizens and civil society in the co-creation of public decisions and in the consolidation of inclusive democratic governance.

Keywords: Participatory approach; Public consultation; Gender approach; Democratic participation mechanisms; Dialogue and communication.

1. مقدمة:

في ظل التحولات التي عرفها العالم و التطور السريع ا في مجموعة من المجالات منها العلمية و الاقتصادية و الاجتماعية و ثقافية و السياسية وخاصة مع ظهور الذكاء الاصطناعي وجدت الدولة المغربية مدعوة للقيام بإصلاحات وسن العديد من الاستراتيجيات جديدة في مجموعة من المجالات والمستويات منها: الإدارية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية، وذلك بإتباع سياسة عمومية متماسكة وشاملة قوامها اللامركزية واللاتمركز، وهولاما اكده دستور المملكة 2011 بعتباره كمحطة حاسمة في إبراز أهمية الجماعات الترابية وهو ماجعل المملكة المغربية والمنظمات والهيئات الوطنية والدولية تتداول بمناسبة تدبير لأنشطتها وتقديمها لخدماتها مصطلحا أو مقاربة جديدة لتدبير الشأن العام أو الخاص فيما يخص تدبير البنية الاجتماعية المجالية للمجتمع والمواطنات والمواطنين، ويتعلق الأمر بموضوع الحكامة الترابية الذي يشكل أحد المرتكزات الأساسية للسياسات العمومية والبرامج الحكومية، اعتبار للدور الذي تلعبه الجماعات الترابية كفاعل أساسي وشريك حقيقي في تدبير المجالات الترابية وتحقيق التنمية بمختلف أبعادها، وبالنظر أيضا إلى أهمية تدبير المرافق الترابية وارتباطها الوثيق بالمعيش اليومي للمواطنة والمواطن، يجب الاستعانة بآليات لتعزيز الحكامة الترابية، منه فلا يمكن تحقيق المقاربة التشاركية والحكامة الجيدة في المجتمع إلا بالاعتماد على تفعيل آليات المشاركة، التي تتجسد في آلية التشارك، كالهيئات الاستشارية التي نص عليها دستور 2011 والقوانين التنظيمية التي أحدثت داخل الجماعات الترابية للاهتمام بالقضايا الاجتماعية المحلية، وتقديم الاستشارة في القضايا والبرامج التنموية. إن أي دراسة لموضوع الهيئات الاستشارية وقضية اتخاذ القرار العمومي الترابي، يحيل في سياقه العام إلى عملية التفاعل والفعل العمومي التي تدخل ضمن إشكالية التغير والتنمية المستدامة والشاملة والدامجة لكل الفئات. وفي هذا الإطار تم اعتبار الهيئات الاستشارية كأرضية للدراسة، للتمكن من قياس مدى مساهمة المتدخلين المحليين، خاصة الجماعات الترابية والمجتمع المدني. إن الرهان على اعتماد المقاربة التشاركية كمطلب في بلورة القرار المحلي، أصبح من الأمور الضرورية في المؤسسات الترابية، من أجل تمكين المجالس الجماعية من اتخاذ القرارات عن معرفة، وتعزيز مبادئ المساواة وتكافؤ الفرص وإدماج مقاربة النوع في تدبير الشأن العام، وهذا ما أكدت عليه مقتضيات دستور 2011 بحيث كانت واضحة في مسألة إشراك المواطنات والمواطنين، والمجتمع المدني بصفة عامة في صناعة القرار.

الإشكالية المحورية:

هل استطاعت الهيئات الاستشارية أن تساهم فعليا في تفعيل المقاربة التشاركية ومقاربة النوع والمساهمة في تدبير الشأن العام المحلي؟ و تطرح هذه الاشكالية مجموعة من الاسئلة يمكن تلخيصها كما يلي بحيث سنحاول الاجابة عنها في مقالنا هذا وهي كتالي:

- ماهي آليات التي من شأنها أن تساهم في ادماج مقاربة النوع في البرامج التنموية بالجماعات الترابية؟
- ماهو أثر اعتماد مقاربة النوع الاجتماعي داخل المشاريع والبرامج التنموية المحلية؟
- كيف تساهم الهيئات الاستشارية في تفعيل مقاربة النوع؟
- كيف يمكن تطوير الاليات والاستراتيجيات التنموية من أجل تفعيل المقاربة التشاركية؟
- ماهو وواقع اشتغال الهيئات الاستشارية داخل الجماعات الترابية؟

محاور المعالجة:

- المقاربة التشاركية ودورها في تفعيل مقاربة النوع داخل المؤسسات المحلية.
- الهيئات الاستشارية بالجماعات الترابية (الجهة، العمالة، الإقليم، الجماعة).
- الإطار القانوني للهيئات الاستشارية ووضعيتها الراهنة.
- التحديات السوسيو–ثقافية والاجتماعية التي تعيق تفعيلها.
- أهم الإنجازات التي قامت بها.
- التحديات المستقبلية لتفعيل أدوارها.

2. أهداف المقال:

– التعرف على مدى تطور المقاربة التشاركية و وتنزيلها على مستوى التراب المغربي.

– توضيح الملابسات المرتبطة بواقع تفعيل الهيئات الاستشارية ومساهمتها في السياسات العمومية المحلية والتنموية.

– التعرف على أهمية ودور ومسؤولية الهيئات الاستشارية بالجماعات الترابية.

– معرفة كيفية مساهمة الهيئات الاستشارية في تدبير الشأن العام المحلي، في ظل الترسانة القانونية التي جاء بها دستور 2011، وانسجاما مع التحولات الكبرى الكونية التي انخرطت فيها المملكة المغربية.

3. المقاربة التشاركية الخيار الأمثل لتحقيق أهداف التنمية:

3.1. المقاربة التشاركية كآلية التنمية المحلية:

لا يخفى على مراقب أن التنمية لم تعد مجرد هدف اقتصادي، بل أصبحت مطلبًا استراتيجيًا للدول النامية، التي تسعى جاهدة لتجاوز تحديات الفقر والتخلف وتحقيق قفزة نوعية في مساراتها التنموية. وفي هذا السياق، يبرز المغرب كدولة سعت في السنوات الأخيرة إلى بناء رؤية تنموية شاملة، انطلقت من تشخيص دقيق للواقع المحلي، ووضعت نصب عينيها خلق مجموعة من الآليات والسياسات الفاعلة لتحقيق التنمية المنشودة. ولعل أبرز تجليات هذا التوجه هو إطلاق الميثاق الوطني للتنمية البشرية وعدد من المشاريع الكبرى التي ترمي إلى تقوية البنية التحتية، وتنمية الموارد البشرية، وتحقيق العدالة الاجتماعية.

يمكن تعريف التنمية على أنها مفهوم متعدد الأبعاد، يتجاوز مجرد النمو الاقتصادي ليشمل تحولاً شاملاً في جميع جوانب الحياة. ووفقاً للمنظور الذي طرحه الباحث إسماعيل العربي، فإن هذا المفهوم يتشكل من شقين أساسيين، يتكاملان ليرسمان مسار التقدم الاجتماعي:

الشق العلمي والحضاري:

يتمثل هذا البعد في عملية التحديث التي تهدف إلى إدخال المجتمع في عصر العولمة والتكنولوجيا. وهو لا يقتصر على اقتناء التقنيات الحديثة فحسب، بل يمتد ليشمل استيعاب الأساليب العلمية وتطبيقها في مختلف المجالات الإنتاجية، كالزراعة والصناعة، وكذلك في قطاعات حيوية أخرى مثل الصحة والتعليم والنقل. الهدف من هذا الشق هو تعزيز الإنتاجية، ورفع كفاءة المؤسسات، وتحسين جودة الحياة بشكل عام، مما يخلق أساساً متيناً للتنمية المستدامة.

الشق الاجتماعي والسياسي:

ويتجلى هذا البعد في إعادة بناء الهيكل الاجتماعي والسياسي للمجتمع، بحيث تقوم قواعده على أسس أكثر عدالة وإنصافاً. ويشمل ذلك العمل على إعادة توزيع الثروات والدخل بشكل يضمن رفع المستوى الاقتصادي والاجتماعي لجميع المواطنين، وتقليص الفوارق بين الفئات المختلفة. كما يتطلب هذا الشق تعزيز المشاركة السياسية، وترسيخ قيم الديمقراطية والحكم الرشيد، وضمان حقوق الإنسان، مما يساهم في بناء مجتمع متماسك ومستقر، قادر على تحقيق أهدافه التنموية بفعالية.

وبالتالي، فإن التنمية في المجتمعات النامية، ومنها المغرب، ليست مجرد عملية اقتصادية، بل هي مسار شامل يهدف إلى تفعيل جميع الموارد المادية والبشرية في أقصى حد ممكن، لتحقيق أعلى مستوى اقتصادي، وأكبر قدر من العدالة الاجتماعية. ولتحقيق هذا الهدف، يستلزم الأمر وجود علاقات متوازنة بين مختلف قطاعات النشاط الاقتصادي (الزراعي، الصناعي، والخدمي)، بحيث يتم تسييرها بشكل متكامل ومنسق، يضمن تحقيق التكامل والتناغم بينها، وتجنب أي اختلالات قد تعرقل مسار التنمية وتقوض جهودها.... ...(**إسماعيل العربي، 1980**)، ويرجع ذلك إلى أن التنمية، لا تقتصر على المجال الانتاجي وحده... فالمسألة تتعدى مجرد التطرق للبعد الاقتصادي للظواهر، كون أن العلاقات الإجمالية التي تتعرض للمتغيرات الثقافية والاجتماعية والسياسية هي التي تشكل المشكل المطروح، سيكون الشأن كذلك بالنسبة للعلاقات القائمة على مختلف قطاعات النشاط التي تطرح كلها في مرحلة أو أخرى، (**مصطفى زايد، 1986**)، ولأن أسلوب توظيف عائد التنمية ونوعية المشاركة السياسية وتشكيل بناء القوى رهين باستقرار المجتمع وحسم صراعاته الداخلية، الأمر الذي يمنح التنمية مزيدا من الطاقات. **nadji,1985**).

3.2. مقاربة النوع الاجتماعي:

لقد أصبحت " فكرة المقاربة النوع الاجتماعي" حاضرة بقوة في الخطابات التنموية والسياسات العمومية، خاصة في ظل التوجه العالمي نحو إدماج جميع فئات المجتمع في عملية صنع القرار والتنمية. ويرتبط هذا الوجود الواعي بالضرورة الملحة لتبني **مقاربة تشاركية**، تضمن مشاركة فعالة لجميع الفئات، ولا سيما النساء، في البرامج التنموية التي تنفذها المؤسسات المجتمعية على المستوى المحلي. وفي هذا الإطار، تأسس مفهوم مقاربة النوع الاجتماعي على فرضية أساسية مفادها أن المزايا والمصالح في أي مجتمع لا تُوزع بالتساوي، حيث تميل موارد وفوائد مشاريع التنمية إلى العودة بالنفع على الرجال بشكل أكبر من النساء. كما أن هذا التوزيع غير العادل يتأثر بعوامل اجتماعية متعددة، كالدين والطبقة الاجتماعية والعرق والفئة الإثنية. ولذلك، تقوم التنمية وفق مقاربة النوع الاجتماعي على أساس تفكيك البنى الثقافية والاجتماعية التي ترسخ التمييز، وبناء علاقات جديدة قائمة على مبدأ المساواة بين الجنسين. (العربي الوافي، 2008).

إن دراسة العلاقات القائمة على التمييز والهيمنة الذكورية تمثل خطوة محورية في مسار هدم أسس اللامساواة بين الجنسين في كافة المجالات. فهذا التحليل العميق يمهد الطريق لبناء أسس جديدة لعلاقات مبنية على المساواة والاحترام المتبادل. ومن هذا المنطلق، فإن تطبيق مقاربة النوع الاجتماعي في السياسات الاجتماعية والتنموية يكتسب أهمية بالغة، حيث يساهم بشكل فعال في الحد من اللامساواة بين الجنسين. ويتحقق ذلك من خلال إشراك الرجال والنساء على قدم المساواة في جميع مراحل برامج التنمية، بدءاً من عمليات التخطيط، مروراً بالتنفيذ، وانتهاءً بالتقويم والمتابعة. كما يشمل ذلك اقتسام موارد العيش والاستفادة من كل الإمكانات المتاحة التي تسهم في بناء اقتصاد قوي ومستدام.

وقد شهد مفهوم النوع الاجتماعي تحولاً جوهرياً في السنوات الأخيرة، حيث تطور من مجرد أداة للفهم والتحليل إلى أداة فعالة لقياس وتقييم نجاعة المشاريع التنموية. فلم يعد يقتصر دوره على تشخيص المشاكل، بل امتد ليشمل تقييم مدى تحقيق المشاريع لأهدافها، ومدى توزيع فوائدها بشكل عادل بين جميع الفئات الاجتماعية، سواء من الرجال أو النساء. ومن هذا المنطلق، أصبحت مراقبة مدى تحقيق العدالة الاجتماعية في تقاسم ثمار التنمية البشرية محوراً أساسياً في تقييم السياسات التنموية.

وقد أدى هذا التحول إلى تغيير جذري في نظرة صناع السياسات التنموية، حيث أصبحت هذه السياسات تركز بشكل متزايد على **العنصر البشري**، خاصة في السياسات التنموية الحديثة. فبعد أن كان الاهتمام ينصب في الماضي على الإنسان كمورد اقتصادي، يُنظر إليه من منظور إنتاجي بحت، تسعى التنمية اليوم إلى معنى أكثر شمولية. فلم تعد التنمية تقتصر على النمو الاقتصادي، بل تشمل التوازن بين المقتضيات الاقتصادية والقضايا الاجتماعية والاهتمامات البيئية والديناميكية الديموغرافية، مع اعتبار الإنسان وسيلتها وهدفها الأساسي. ومن هذا المنطلق، فإن احترام حقوق جميع الأفراد، بغض النظر عن جنسهم، وضمان إشراك جميع فئات وشرائح المجتمع في ثمار التنمية، أصبحت من الأولويات القصوى.

ويجسد مفهوم " التنمية البشرية" هذا التحول في الرؤية التنموية، حيث يُعرّف بأنه عملية توسيع الخيارات المتاحة أمام الإنسان. ففي كل يوم، يمارس الإنسان خيارات متعددة، سواء كانت اقتصادية أو اجتماعية أو سياسية أو ثقافية. وبما أن الإنسان هو محور التركيز في جميع الأنشطة التنموية، فإن الهدف الأساسي هو توجيه هذه الأنشطة لتوسيع نطاق الخيارات المتاحة لكل إنسان في جميع ميادين النشاط البشري، وذلك لفائدة الجميع. وبالتالي، تصبح التنمية البشرية مفهوماً بسيطاً في شكله، لكنه ينطوي على دلالات بعيدة الأثر. ففي المقام الأول، تتعزز الخيارات الإنسانية حينما يكتسب الناس القدرات اللازمة، وتتاح لهم الفرص لاستخدامها. ولا تسعى التنمية البشرية إلى زيادة القدرات والفرص فقط، بل تسعى أيضاً إلى ضمان الاستقرار والرفاه للجميع.

وتتجلّى التنمية البشرية في أربعة عناصر رئيسية لا يمكن فصلها عن بعضها البعض: " الإنتاجية، والإنصاف، والعدالة الاجتماعية، والاستدامة"«. ويشكل " التمكين" ، وخاصة من خلال إدماج مقاربة النوع الاجتماعي في برامج التنمية، ركناً أساسياً في هذا المفهوم. فبعد أن كانت المرأة تُنظر إليها في الماضي من منظور محدود، تركز على دورها الإنجابي، بدأت السياسات التنموية الحديثة تعترف بدورها المحوري في المجال الاقتصادي. وأصبحت المشاريع التنموية تأخذ بعين الاعتبار تحسين قدرات المرأة في مختلف المجالات، وتعترف بها كمستفيدة رئيسية، كما بدأت تولي أهمية متزايدة للعمل المنزلي وقيمته الاقتصادية والاجتماعية. (العربي الوافي، 2008).

3.3. الديمقراطية التشاركية والقرار المشترك:

لا يمكن الحديث عن وجود آليات للقرار المشترك دون المشاركة المباشرة للمواطنات والمواطنين، فتوجه السياسات العمومية المحلية ليس فقط نتيجة للاختيارات التي تتم داخل مجلس الجماعة، وإنما أيضا لاختيارات السكان لمبادئ القرار المشترك والتضامن والعدالة والمشاركة الاجتماعية والاستمرارية والشفافية والقابلية للتكيف. إن مساهمة المواطنات والمواطنين في تحديد الأهداف ذات الأولوية على مستوى جماعة ما، يقوي الشعور بحالات انعدام المساواة والتمييز الموجود، وهكذا يمكن للجماعة أن توجه موارد الميزانية إلى المناطق والسكان الأكثر حاجة، فالشفافية ترتكز على آليات القرار المشترك على التواصل الشفاف من قبل الجماعة، حتى تسمح للمشاركات والمشاركين باتخاذ القرارات التي تبدو لهم الأكثر صوابا، وعن معرفة تامة وعلى المنتخبين والموظفين أن يتقاسموا المعلومات المفيدة المتعلقة بالبرامج السياسية وبالميزانية وبشراكات الجماعة، وكل العناصر الأخرى المتعلقة بالأموال العامة،كما تلتزم الجماعة أيضا بالتواصل في إطار تنفيذ وتتبع المشاريع الناتجة عن القرار المشترك كطلبات العروض المتعلقة بالصفقات العمومية وإنجاز الأشغال والاستمرارية والقابلية للتكيف. فالقرار المشترك يحقق كل آثاره عندما يمتد في الزمان ويصبح مسلسلا سياسيا مستمرا ومتدرجا. إن تقييم هذا المسلسل وتجديده الدوري يسمحان بتكييف الآليات مع تطور السياقات المحلية، إن **"القرار المشترك"**، الذي يُتخذ في إطار إجراءات تشاركية، لا يقتصر على مجرد استشارة الرأي العام، بل يمكّن المواطنين من المشاركة الفعلية في اتخاذ قرارات مصيرية تؤثر بشكل مباشر في حياتهم اليومية. وهذا الإجراء التشاركي يفتح آفاقاً جديدة لتفعيل **"المقاربة التشاركية"**، التي تعد ركيزة أساسية في بناء دولة ديمقراطية حديثة. فعبر إشراك جميع الفئات في صنع القرار، يتحقق توطيد لمسار **"الديمقراطية التشاركية"**، الذي يسعى إلى بناء شراكة وطنية شاملة، ينخرط في تفعيلها جميع الشركاء المؤسسيين، من القطاع العام والخاص، إلى منظمات المجتمع المدني، في إطار تكامل وتعاون يهدف إلى تحقيق المصلحة العامة.

ومن أبرز ثمار هذا التوجه نحو المشاركة التشاركية هو **"تحسين مستوى الحكامة"** وتعزيز **"نجاعة التدبير الحكومي"** على جميع المستويات. فالمشاركة الواسعة للمواطنين في عمليات التخطيط وصياغة البرامج التنموية تضمن أن تكون هذه البرامج أكثر ملاءمة للاحتياجات الحقيقية للمجتمع. كما أن إشراك مختلف الأطراف في تدبير الموارد يزيد من الشفافية والمساءلة، مما يساهم بشكل فعال في محاربة الفساد وسوء استغلال الموارد. ويسهم هذا التحسين في الحكامة في تحقيق **"فعالية ومردودية أكبر للفعل العمومي"**، مما يعزز الثقة بين الإدارة والمواطنين، ويزيد من قدرة الدولة على تحقيق أهدافها التنموية.

ومن الأدوات الفعالة التي تعزز من عدالة التنمية وفعاليتها، **"منهج الاستهداف"**، الذي يقوم على إعطاء الأولوية في السياسات والبرامج التنموية للفئات الأكثر هشاشة وتأثراً. وفي هذا السياق، يولي هذا المنهج اهتماماً خاصاً **"للنساء الأكثر تضرراً"**، سواء من الناحية الاقتصادية أو الاجتماعية، وكذلك **"للمناطق والجماعات الترابية المهمشة"**، التي تعاني من نقص في البنية التحتية والخدمات الأساسية. ويهدف هذا المنهج إلى تقليص الفوارق بين النساء جغرافياً واجتماعياً، وضمان وصول ثمار التنمية إلى جميع شرائح المجتمع دون استثناء، مما يعزز من العدالة الاجتماعية ويقلل من أشكال التهميش والحرمان.

وأخيراً، يبرز **"إشراك الرجال"** في العمل على تحقيق هدف المساواة بين الجنسين كعنصر استراتيجي لا يمكن تجاهله. فالتغيير الحقيقي في المواقف والسلوكيات التي ترسخ التمييز ضد المرأة لا يمكن أن يتحقق دون مشاركة فعالة من الرجال. فالعمل على توعية الرجال بأهمية المساواة، وتشجيعهم على تبني مواقف إيجابية تجاه حقوق المرأة، يساهم بشكل مباشر في تغيير أوضاع المرأة

وتحسينها. ومن خلال إشراك الرجال كشركاء فاعلين في مسار المساواة، يمكن القضاء على حالات التفاوت بين الجنسين، وبناء مجتمع أكثر عدالة وإنصافاً للجميع.

أهم الاولويات لتحقيق التنمية داخل المجتمع المغربي:

لقد حددت "المملكة المغربية" مجموعة من الأولويات الاستراتيجية التي تهدف إلى إحداث قفزة نوعية في مسار تطوير المجتمع وتعزيز التقدم الاجتماعي. وترتكز هذه الأولويات على مجموعة من المجالات الحيوية، التي تشكل محور الخطة الحكومية للمساواة بين الجنسين للفترة 2012-2016. وقد جاءت هذه الخطة لتكون الجواب الوطني الشامل على سؤال "التمكين" بمختلف مستوياته وأشكاله، سواء على المستوى الاقتصادي أو الاجتماعي أو السياسي. وتم تصميم هذه الخطة حول **24 هدفاً** استراتيجياً، يتم تحقيقها من خلال "156 تدبيراً" محدداً، تلتقي عندها جميع المبادرات القطاعية الرامية إلى ترسيخ المساواة بين الجنسين في كافة ميادين الحياة.

ومن الملاحظ أن مفهوم "المساواة"، رغم أهميته، قد أصبح في سياق الخطاب التنموي الحديث مفهوماً متجاوزاً إلى حد ما، حيث يُنظر إليه أحياناً على أنه يقتصر على المعاملة المتساوية دون مراعاة الاختلافات والظروف الخاصة. ولذلك، فإن الحديث اليوم يدور حول مفاهيم أكثر عمقاً وشمولاً، يمكن تلخيصها في مفهوم "العدل والإنصاف". فهذا المفهوم لا يقتصر على المساواة الشكلية، بل يسعى إلى تحقيق عدالة حقيقية تأخذ بعين الاعتبار الاختلافات الفردية والجماعية، وتهدف إلى تصحيح الاختلالات التاريخية والهيكلية التي تعاني منها بعض الفئات، خاصة النساء. ومن هذا المنطلق، فإن التوجه نحو مفهوم العدل والإنصاف يمثل تطوراً نوعياً في فهم التنمية البشرية، ويعكس رؤية أكثر واقعية وفعالية لتحقيق المساواة الحقيقية بين الجنسين.(**تقرير المملكة المغربية حول تطبيق منهاج عمل بيجين ، 2025**).

أهم أولويات التي من شأنها أن تساهم في تحقيق مقاربة التنمية نذكر ما يلي :

لتحقيق رؤية تنموية شاملة وعادلة، تركز المملكة المغربية على مجموعة من الأولويات الاستراتيجية التي تشكل ركائز أساسية في مسار بناء مجتمع يسوده العدل والإنصاف. وتتجلى هذه الأولويات في عدة محاور رئيسية تهدف إلى إحداث تحول جذري في مختلف ميادين الحياة، وذلك من خلال:

أولاً، مأسسة ونشر مبادئ الإنصاف والمساواة:

يتمثل هذا المحور في العمل على إرساء قواعد "المناصفة" كمبدأ دستوري وقانوني، يضمن توزيع الفرص والمسؤوليات بشكل عادل بين الجنسين. ويشمل ذلك نشر ثقافة المساواة في جميع مؤسسات الدولة والمجتمع، وتعزيز الوعي بأهمية المساواة كقيمة أساسية في بناء مجتمع ديمقراطي ومستقر.

ثانياً، مكافحة التمييز والعنف ضد النساء:

يعتبر هذا المحور من الأولويات القصوى، حيث يهدف إلى التصدي لجميع أشكال التمييز والعنف التي تعاني منها النساء، سواء كان ذلك على المستوى القانوني أو الاجتماعي أو الثقافي. ويشمل ذلك تعزيز التشريعات التي تحمي حقوق المرأة، وتشجيع ثقافة التسامح والاحترام المتبادل بين الجنسين.

ثالثاً، تأهيل منظومة التربية والتكوين:

يهدف هذا المحور إلى بناء نظام تعليمي يرتكز على مبادئ الإنصاف والمساواة والعدل، بحيث يتم تزويد جميع الطلاب والطالبات بأدوات المعرفة والمهارات اللازمة لتحقيق طموحاتهم وبناء مستقبل أفضل. ويشمل ذلك مراجعة المناهج الدراسية لضمان عدم وجود تحيزات جنسانية، وتعزيز دور المدرسة في نشر قيم المساواة.

رابعاً، تعزيز الولوج المنصف للخدمات الصحية:

يتمثل هذا المحور في العمل على ضمان حصول جميع المواطنين، وبشكل خاص النساء والفتيات، على خدمات صحية ذات جودة عالية، وبشروط منصفة ومتساوية. ويشمل ذلك تحسين البنية التحتية الصحية، وتوفير الموارد اللازمة لضمان استمرارية وفعالية الخدمات الصحية.

خامساً، تطوير البنيات التحتية الأساسية:

يهدف هذا المحور إلى تحسين ظروف عيش النساء والفتيات من خلال تطوير البنيات التحتية الأساسية، مثل الطرق والماء والكهرباء والصرف الصحي. ويشمل ذلك التركيز على المناطق المهمشة التي تعاني من نقص حاد في هذه الخدمات، مما يساهم في تحسين جودة الحياة ورفع مستوى الرفاهية.

سادساً، التمكين الاجتماعي والاقتصادي للنساء:

يتمثل هذا المحور في العمل على تمكين النساء اقتصادياً واجتماعياً، من خلال توفير فرص عمل لائقة، وتشجيع ريادة الأعمال النسائية، ودعم المشاريع الصغيرة والمتوسطة التي تديرها النساء. ويشمل ذلك أيضاً تعزيز حقوق المرأة في الملكية والوصية، وضمان حصولها على الموارد المالية اللازمة لتحسين وضعها الاقتصادي.

سابعاً، إشراك النساء في صنع القرار:

يهدف هذا المحور إلى العمل على تمكين النساء من الولوج المتساوي والمنصف لمناصب اتخاذ القرار الإداري والسياسي والاقتصادي. ويشمل ذلك تعزيز تمثيل النساء في البرلمان والحكومة والمجالس المحلية، وتشجيع مشاركتهن في مختلف هيئات صنع القرار.

ثامناً، خلق تكافؤ الفرص في سوق الشغل

يتمثل هذا المحور في العمل على خلق بيئة عمل عادلة تضمن تكافؤ الفرص بين الجنسين، بحيث يتم منح كل فرد الفرصة للمساهمة في التنمية وفقاً لقدرته وكفاءته، دون أي تمييز. ويشمل ذلك مكافحة التمييز في التوظيف والترقية، وضمان المساواة في الأجور بين الرجال والنساء.

ومن خلال هذه الأولويات، يتضح أن تحقيق مقاربة التنمية لا يمكن أن يتم دون "إعطاء الأولوية لتنزيل مقتضيات الدستور"بشكل فعال. فلتحقيق هذه الأهداف، يجب أن تكون الاستراتيجيات والسياسات منضمة ومحكومة بقوانين واضحة تؤطرها وتنظمها. وهذا يشمل إخراج مختلف النصوص والقوانين التنظيمية، وإحداث الهيئات والمؤسسات الدستورية التي تدعم أسس الحكامة، والارتقاء بالحقوق الإنسانية. كما يجب مواصلة توطيد مسار "الديمقراطية التشاركية"، وتعزيز آليات التشاور والتعاون مع مختلف هيئات المجتمع المدني والمؤسسات الوطنية، لضمان أن تكون التنمية شاملة وعادلة ومستدامة.. (**تقرير المملكة المغربية حول تطبيق منهاج عمل بيجين ، 2025**).

أليات التواصل والحوار في المجتمع المغربي:

يعتبر التواصل و الحوار من بين الاليات التي من شأنها أن تساهم و تعزز تفعيل المقاربة التشاركية و اختلاف وجهات النظر، فلا يمكن أن نقوم بتنمية دون خلق الحوار المتبادل بين الساكنة و المسؤولين من اجل تشخيص ورصد الحاجيات التي ستبنى عليها تلك التنمية، بالإظافة غلى أنه يجب أن تكون هناك دراسات أولية للمجال المراد تنميته لخلق تنمية تتناسب مع متطلباته.

و هو ما اكده عالم"ورغن هابرماس" في نظريته الفعل التواصلي عن مشروع الحداثة، بالأخص ما يتعلق بفكرتي العقل والاخلاق الكليين. كذالك تحدث عن مشروع الحداثة الذي وصفه بكونه لم يقشل يفشل بل بالأحرى لم يتجسد ابداً، ولذا، فالحداثة لم تنته بعد،و موقفه هذا يبين الإصرار على جدل التنوير، أي أن عملية التنوير لها جانبان: جانب يتضمن فكر البناء الهرمي والاستبعاد، في حين يحمل الجانب الآخر إمكانية إقامة مجتمع حر يسعد به الجميع على الأقل.

بالإظافة إلى المصالح المعرفية فتعني عند "هابرماس"، أننا دائما نسعى لتطور المعرفة لغرض معين، وتحقيق ذلك الغرضمن أجل مصلحتنا في تلك المعرفة. فالمصالح التي يقصدها هابرماس هي مصالح مشتركة بين الناس جميعا، بحكم نتشارك جمعا في المجتمع الإنساني. كما أكد هابرماس إلى أن العمل ليس وحده ما يميز البشر عن الحيوانات، بل واللغة أيضاً، فالعمل يؤدي إلى ظهور المصلحة التقنية، وهي المتمثلة في السيطرة على العمليات الطبيعية واستغلالها لمصلحتنا. وتؤدي اللغة، وهي الوسيلة الأخرى التي يجعل بواسطتها البشر بيئتهم إلى ظهور ما يدعوه هابرماس "المصلحة العملية" وهذه بدورها تؤدي إلى ظهور العلوم التأويلية. و يبين هابرماس إلى أن المصلحة العملية تفضي إلى نوع ثالث من المصلحة وهي مصلحة الانعتاق والتحرر، وهي مصلحة تسعى لتخليص التفاعل والتواصل في العناصر التي تشوهها عن طريق إصلاحها، ومصلحة الانعتاق والتحرر تؤدي إلى ظهور العلوم النقدية،كما يمكن أن يتخذ الفعل صورتين، الفعل الاستراتيجي وفعل التواصل. الفعل الأول يتضمن الفعل الغائي العقلاني، في حين أن يرمي الفعل الثاني الوصول إلى الفهمن وهو ماتحتاجه المؤسسات من اجل تحقيق التنمية.

و يتأسس الفعل التواصلي على عدة أمور من بينها: انه ينبني على العقلانية بهذا المعنى ليس مثالا نقتنصه من السماء، بل هو موجود في لغتنا ذاتها، فالعقلانية تستلزم نسقا اجتماعيا ديمقراطيا لا يستبعد أحداً. ثانيا، ثمة نظام أخلاقي ضمني يحاول هابرماس الكشف عنه، وهو الأخلاق الكلية الذي لا يتوجه إلى تحليل مضمون المعايير بقدر توجهه إلى طريقة التوصل إليها، عبر نقاش حر عقلاني، اذ نستنتج أن بالحوار والتواصل هو الأداة الفعالة للارتقاء والابداع، فبدون حوار وتواصل مبني على العقلانية لا يمكن تحقيق التنمية المنشودة بالإضافة إلى اعتماد أليات الحوار والتشاور من شأنه ان يخلق فرق في تدبير وتسير الشأن المحلي. (**محمد الأشهب، 2006**).

4. دور التشاور العمومي في المساهمة في تحقيق المقاربة التشاركية داخل المجتمع

4.1. أهمية التشاور العمومي:

يعد "التشاور العمومي" محوراً أساسياً في مسلسل "الديمقراطية التشاركية"، الذي يهدف إلى بناء علاقة جديدة بين الدولة والمواطنين قائمة على الثقة والشفافية والمشاركة الفاعلة. ويتطلب هذا التشاور أن يُسنّد بمنظومة أخلاقية وقانونية قوية، تضمن تحقيق مقاصد ومبادئ أساسية، تتمثل في بناء الثقة بين المواطنين والمواطنات ومؤسسات الدولة، وضمان حقهم في المشاركة الفاعلة في الشأن العام، وتمكينهم من التعبير عن حاجياتهم وتطلعاتهم، وتقليص كلفة القرار العمومي، ومده بالشرعية اللازمة لضمان نجاحه وفعاليته.

وتتجلى أهداف التشاور العمومي في عدة محاور رئيسية، تهدف إلى تحسين جودة السياسات العمومية وتعزيز الحكامة الرشيدة:

أولاً، مأسسة فضاءات التواصل والحوار:

يتمثل هذا الهدف في العمل على إنشاء وتطوير فضاءات مخصصة للتواصل والحوار والنقاش والتعاون بين السلطات العمومية والمواطنين. وهذه الفضاءات تتيح للجميع فرصة التعبير عن آرائهم واقتراحاتهم، وتساهم في بناء جسور الثقة بين الإدارة والمجتمع.

ثانياً، تعزيز الحوار المتبادل:

يهدف هذا المحور إلى تعزيز الحوار والتفاهم المتبادل بين مؤسسات الدولة والمواطنين حول أهداف وإكراهات مسلسل التدبير العمومي. ويشمل ذلك استباق جميع التوترات الممكنة، وخلق بيئة إيجابية للحوار البناء.

ثالثاً، تعميم ثقافة التعاقد:

يتمثل هذا الهدف في تعميم ثقافة التعاقد بين مؤسسات الدولة ومنظمات المجتمع المدني، وترسيخ مبدأ التدبير المبني على النتائج. وهذا يساهم في تعزيز المسؤولية والمساءلة، وضمان تحقيق الأهداف المحددة.

رابعاً، تعزيز ثقافة التطوع:

يهدف هذا المحور إلى تعزيز ثقافة التطوع المؤطر بقانون، وتنمية روح التشارك الفعلي بين الدولة وشركائها من جمعيات مدنية وجماعات ترابية وفاعلين اقتصاديين. وهذا يساهم في تعبئة الموارد البشرية والاجتماعية لخدمة التنمية.

خامساً، تنمية القوة الاقتراحية:

يتمثل هذا الهدف في التحفيز على تنمية وصقل وتجميع وتجويد القوة الاقتراحية لمنظمات المجتمع المدني، وتوجيهها لفائدة البرامج والمشاريع القطاعية المعنية. وهذا يساهم في إغناء مسلسل اتخاذ القرار العمومي، وضمان أن تكون السياسات العمومية أكثر استجابة للاحتياجات الحقيقية للمجتمع.

سادساً، توسيع مشاركة السكان:

يهدف هذا المحور إلى إغناء مسلسل اتخاذ القرار العمومي من خلال توسيع وتعميم مشاركة السكان في التنمية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية للبلاد. وهذا يساهم في تعبئة الإمكانات البشرية والقدرات الاجتماعية للتنمية البشرية المستدامة.

سابعاً، تملك السياسات والبرامج:

يتمثل هذا الهدف في تمكين المواطنين من تملك السياسات والبرامج التنموية، ومشاركتهم في تنفيذها وانخراطهم في صيانتها وتطويرها. وهذا يساهم في تعزيز الحكامة الجيدة، وتوسيع وتعزيز الشفافية والنزاهة.

ثامناً، مبدأ الحق في التشاور:

يستمد مبدأ الحق في التشاور مرجعيته من النص الدستوري والالتزامات الدولية للمغرب في مجال الحقوق والحريات الأساسية. وهذا يضمن تمكين المواطنين من المشاركة الفعالة في تدبير الشأن العام، مع الأخذ بعين الاعتبار الفئات التي خصها الدستور بمقتضيات خاصة.

تاسعاً، مبدأ الاستقلالية:

يتمثل هذا المبدأ في ضرورة أن تطبع علاقة منظمات المجتمع المدني بالدولة والفاعلين السياسيين الاستقلالية، مما يضمن حياديتها وفعاليتها في أداء دورها.

عاشراً، مبدأ التعاقد:

يساهم مبدأ التعاقد في تكريس ثقافة المسؤولية والمساءلة والتقدير المتبادل لحقوق وواجبات كل الأطراف، مما يعزز الثقة والتعاون بين جميع الفاعلين.

حادي عشر، مبدأ التكامل:

يساهم مبدأ التكامل في استبعاد النزعة الخلافية والتنازعية التي تطبع أحياناً التفاعل بين المنظمات المدنية وبعض مؤسسات الدولة، مما يساهم في خلق بيئة تعاونية وبناءة.

ثاني عشر، مبدأ النجاعة:

يتمثل هذا المبدأ في أن التدبير العمومي التشاركي مطالب بإنتاج سياسات ناجعة وذات أثر إيجابي وفعال على الحياة اليومية للمواطنين والتنمية الوطنية بصفة عامة.

ثالث عشر، مبدأ التضامن:

يعتمد التدبير العمومي التشاركي على مبدأ التضامن، فهو المجال الطبيعي لتجسيد قيم المساواة وتكافؤ الفرص وعدم التمييز والتكافل والتلاحم الاجتماعي.

رابع عشر، مبدأ الاستشراف:

يهدف التدبير العمومي التشاركي إلى تنمية الذكاء الجماعي للمغاربة من خلال استجلاء الفرص والتحديات واستباق المخاطر لتحصين البلاد ضد الأزمات.

إن تحقيق كل هذه الأهداف من شأنه أن يرفع مستوى التنمية، ويساهم في خلق توازن داخل المجتمع المغربي، كما سينقلنا من المستوى التقليدي للتدبير والسير إلى مستوى آخر جديد للتدبير المؤسساتي، وخلق سياسات عمومية ذات نجاعة، تراعي خصوصية المجال المراد تنميته

4.2. مبادئ التشاور العمومية:

يعد "التشاور العمومي" مرحلة تمهيدية حاسمة تسبق عملية تحقيق أي مشروع أو رسم سياسة أو استراتيجية وطنية. فهو لا يقتصر على مجرد استشارة رأي، بل يمثل مسلسلاً متكاملاً يرسم اللحظات القوية للمشروع العمومي، من خلال تحديد ملامحه الأساسية، ورسم مرجعيته وهويته، واستشعار الجماعي للفرص والتحديات التي قد تعترض سبل تحقيقه. وفي هذا الإطار، تقوم السلطات العمومية باتخاذ المبادرة لإحداث هيئة تشاور عمومي، وفق ما ينص عليه "الفصل 13 من الدستور"، مما يضفي على هذه العملية طابعاً دستورياً وقانونياً.

إن التشاور العمومي، في جوهره، يعني إشراك جميع الفاعلين، بما في ذلك "القطاع الخاص"، الذي يمكنه أن يساهم بشكل فعال في وضع التصورات وتنفيذ المخططات والبرامج والمشاريع التنموية على المستوى الوطني والجهوي والمحلي. وهذا الإشراك الواسع يضمن أن تكون السياسات والمشاريع التنموية أكثر استجابة للاحتياجات الحقيقية للمجتمع، وتحقق أهداف التنمية بشكل أفضل. ويشمل التشاور العمومي جميع المشاريع ذات الطبيعة العمومية، أو التي لها تأثير مباشر على الحياة العامة وحقوق المواطنين، مما يضمن شمولية العملية التشاركية.

ومن جهة أخرى، يكتسي التشاور العمومي صبغة "الشفافية" و"التمثيل المتوازن" لجميع الفعاليات المعنية، وتمكينهم من المعلومات ووسائل العمل اللازمة. وهذا يتطلب إعداد "مخطط تواصلي" للمشروع، يضمن وصول المعلومات إلى جميع الأطراف، ويسهل عملية الحوار والنقاش. كما يعتبر التشاور فرصة لشحذ "الذكاء الجماعي" للشركاء، من خلال ترجيح النقاش، وتبادل البراهين والحجج، وبزوغ أفكار وحلول عقلانية مبتكرة. ويسري هذا التشاور على جميع مراحل المشروع، من التعريف وتحديد الحاجيات، إلى الشروع في الإنجاز، والتتبع، والتقييم، مما يضمن متابعة مستمرة وفعالة.

ومن الضروري أن يتطلب التشاور حضور جهة رسمية بصفتها "ضامناً لسريانه" ومؤمنا لمخرجاته"، مما يضمن جدية العملية وفعاليتها. وهذا يتطلب **إرادة سياسية ومجتمعية قوية** لتحقيقه، من أجل تطوير ورفع مستويات التنمية المحلية. فالتشاور العمومي، في جوهره، هو أداة فعالة لتحقيق التنمية المستدامة، وبناء مجتمع ديمقراطي ومستقر، يسوده العدل والإنصاف والمساواة.. **(اللجنة الوطنية للحوار الوطني حول المجتمع المدني وأدواره الدستورية الجديدة) بتصرف.**

5. دواعي احداث الهيئات الاستشارية داخل مؤسسات المجتمع المغربي:

5.1. مفهوم الاستشارة وأهميتها:

يمكن اعتبار "الاستشارة" من أهم العمليات المطلوبة في مجال الإدارة، كونها تساعد كل إنسان على الاهتداء والاستعانة بآراء ذوي الخبرة والاستفادة من خبراتهم. فالإنسان، مهما بلغ من علم ومعرفة، لا يستطيع أن يلم بكل المعارف والعلوم وجميع أنواع المهن والاختصاصات. وهذا النقص الطبيعي يمكن تفاديه باللجوء للاستشارة والاستعانة بالمختصين في شتى مجالات المعرفة والمهارات الفنية المختلفة.

وتعود أهمية الاستشارة إلى أنها تمكن الإدارة من الاستفادة من خدمات الأخصائيين دون التأثير على وحدة القيادة الإدارية. فالأجهزة الاستشارية، في جوهرها، تقدم آراء ووجهات نظر مصدرها أخصائيون في مجال محدد، وهي تفتقد لعنصر الإلزام. ومن هذا المنطلق، فإن الآراء الاستشارية لا تلزم الجهة التي طلبت الاستشارة، بل تبقى مجرد توصيات يمكن للإدارة اعتمادها أو تجاهلها حسب تقديرها. وهذا يضمن استقلالية القرار الإداري، مع الاستفادة من الخبرات المتخصصة في تحسين جودة القرارات واتخاذها.

ان الارتقاء بتدبير الشأن العام المحلي يحتاج إلى إرادة و خلق أليات جديدة و الخروج على ما هو تقليدي، منه تعتبر الهيئات الاستشارية كآلية للديمقراطية التشاركية داخل الجماعة، لا يتوقف فقط على تطوير البنية القانونية من خلال منح الجماعات اختصاصات متعددة وجعلها تتحمل مسؤولياتها، وإنما يتطلب الأمر تحقيق مجموعة من المتطلبات التي يستلزمها تدبير الشأن العام المحلي وتطوير منظومة التراب المحلي، حيت يجب التركيز على ضرورة تحقيق أهداف ومصالح مشتركة لكافة الفاعلين، وإشراكهم في عملية التخطيط والتنفيذ لبلوغ الأهداف المرجوة من خلال تفادي وتجاوز ما هو تقليدي وذللك لفتح المجال للأخذ بمقترحاتهم، فاليوم أصبح من الضرورة تغيير تقنيات اتخاذ القرارات وتنزيلها من خلال اعتماد بتدابير جديدة للتدبير الشأن العام المحلي. وهو ما أدى هنا يبرز مفهوم الحكامة الجيدة لكونها الية لحسن التدبير على جميع المستويات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والمالية...، بالإضافة إلى أن طرق التدبير التقليدية أصبحت غير عملية اليوم، ومن ثم بات من الضروري تفعيل وسائل التدبير الحديثة، من خلال تمكين كفاءات المجتمع المدني والمواطنين من التوفر على أنظمة تمثيلية ومؤسسات وقواعد ومساطر التقييم والتدبير وهيئات اجتماعية قادرة على تسيير وتدبير المترابطات بشكل سلس وسليم بالإضافة إلى ان تكوين الهيئات الاستشارية اليوم هو بمثابة باب جديد لتحقيق الديمقراطية على المستوى المحلي بشكل تشاركي من خلال إخضاع السياسات العمومية لتقييم أداء الجماعات، كما يمكن اعتبار عمل هذه الهيئات جزء من الرقابة والتتبع السياسي، لأنه الممارسة الديمقراطية على الصعيد المحلي ليست دسترة قانونية فقط، بل هي التدبير الذاتي لشؤونهم. كما أن هذه الهيئات الاستشارية تدخل في إطار الديمقراطية التشاركية من خلال إشراك كل فئات المجتمع (المواطنون والمواطنات والجمعيات) من اجل المساهمة في صنع السياسات العامة داخل الدولة وصنع القرار العمومي

وتجاوز الديمقراطية التمثيلية التي ظهرت محدوديتها في التدبير. **(مقتطف من توصيات اللجنة الوطنية للحوار الوطني حول المجتمع المدني وادواره الدستورية الجديدة في ما يتعلق بإالطار القانوني للتشاور العمومي الباب الخامس هيئات التشاور العمومي).**

احداث الهيئات الاستشارية داخل الجماعات:

مما لا شك التنمية هي عملية متسلسة و تتطلب اشراك جميع الفئات، منه وجب خلق أليات التي يسمح من خلالها مشاركة المواطنين و المواطنات في بلورة السيسات العمومية و عملية اتخاد القرار وصولا إلى اعتماد المقاربة التشاركية، وهو ما جاء في الدستور المغربي بخصوص مسالة التشاور وتطبيقا للأحكام الفقرة الأولى من الفصل 139 من الدستور، تحدث مجالس الجهات آليات تشاركية للحوار والتشاور لتيسير مساهمة المواطنات والمواطنين والجمعيات في إعداد برامج التنمية وتتبعها طبقا للكيفيات التي ثم تحديدها في النظام الداخلي للجهة/للعمالة أو الإقليم/الجماعة وهم:

1. هيئة المساواة وتكافؤ الفرص ومقاربة النوع الاجتماعي المتعلقة بتفعيل مبادئ المساواة وتكافؤ الفرص ومقاربة النوع.
2. هيئة استشارية تختص بدراسة القضايا المتعلقة باهتمامات الشباب.
3. هيئة استشارية بشراكة مع الفاعلين الاقتصاديين بالجهة تهتم بدراسة القضايا الجهوية ذات الطابع الاقتصادي.

يحدد النظام الداخلي للمجلس تسمية هاته الهيئات وكيفية تأليفها وتسييرها، بحيث تقوم فرق المجلس بطلب من رئيس المجلس، تقديم مقترحات لعضوية هذه اللجنة خلال السنة الأولى من انتداب المجلس الجماعي، وفيه يتم تبادل الرأي حول إحداث هذه الهيئات مع أخد لمحة عن النسيج الجمعوي والفعاليات المحلية بالجهة والمقاعد المخصصة لكل هيئة، وكذا طرق اختيار أعضائها. كما تجتمع هذه الهيئات بدعوة كتابية في مقر الجهة من طرف رئيس مجلس الجهة أو بناء على طلب كتابي من طرف ثلثي أعضائها، وتعقد هذه الهيئات اجتماعين على الأقل خلال السنة. تمارس الهيئات أعمالها في إطار جلسات غير عمومية، لكن يجوز لرئيس هذه الهيئة أن يأذن لغير أعضائها الحضور لأشغالها إذا كان من شأن ذلك أن يفيد الهيئة في اتخاذ القرار المناسب بخصوص الموضوع المعروض عليها، ويمكن للهيئة أيضا تكوين مجموعات عمل تهتم بقضايا معينة في مجال اختصاصاتها. **(نور الدين السعداني، 2015)**،

بالإضافة إلى هذا تبدي هذه الهيئات رأيها بطلب من المجلس أو رئيسه في القضايا والمشاريع المتعلقة باختصاصاتها وتقوم بتجميع المعطيات التي لها صلة بالميدان من أجل دراستها وإعداد توصيات بشأن إدماج قضايا التنمية الاقتصادية أو قضايا الشباب ومقاربة النوع الاجتماعي في السياسات المحلية وضمان الإنصاف والبحث وتحدد الأولويات والحلول لتحسين العرض المقدم من طرف المجلس في ميدان الخدمات والمرافق العمومية،كما تودع أيضا تقارير وتوصيات وملتمسات هذه الهيئات الاستشارية لدى رئاسة المجلس الذي يسهر على تبليغها إلى أعضاء المجلس الجماعي. كما يقوم رئيس المجلس بصفة دورية بإخبار أعضاء الهيئة بخصوص اعتماد توصياتها وملتمساتها واقتراحاتها.

ادوار الهيئات الاستشارية داخل المجالس الترابية

لا يمكننا أن ننكر الادوار التي أصبحت تلعب الهيئات الاستشارية داخل المؤسسات المحلية، و هي مجموعة من الأدوار حسب نوعها وتخصصها والتي ستنطرق لها بشكل مفصل اولا:

5.2. هيئة الاقتصاد والتنمية:

لا شك أن "التنمية الاقتصادية" تظل مطلبًا استراتيجيًا لكل الدول، كونها تمثل السبيل الأهم لتحقيق الرفاهية والازدهار. وفي هذا السياق، يبرز **المجال الاقتصادي والتنموي** كفضاء متداخل الأبعاد، يجمع بين الفاعلين والأطراف المختلفة، لكن بطموحات ومساعي متنوعة. فهذا المجال يشكل الإطار الأنسب لتنفيذ السياسات العمومية وتتبعها على جميع مستوياتها، ويعتبر التراب المحلي مرجعية مهمة لتطوير منظومة الحكامة وآليات تدبير الشأن المحلي.

فتنمية المجالات الترابية لها ارتباط وثيق بالاقتصاد، وتعتمد بشكل كبير على قدرة الفاعلين المحليين على تثمين وتطوير وتنمية هذا المجال من داخل الجماعات الترابية. وهذا يهدف إلى مواجهة التحديات المتزايدة والضغط الكبير الذي تعرفه المدن والتجمعات السكنية الكبرى. وعلى المستوى المحلي، عرف تدبير الشأن المحلي تحولات نوعية مهمة، وذلك لمواكبة التحولات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي تعرفها المدن وضواحيها. فدور الوحدات الترابية لم يعد يقتصر على تقديم بعض الخدمات البسيطة، بل تطور ليشمل مهام وتدخلات كبرى، كون الجماعات المحلية أصبحت اليوم فاعلاً اقتصادياً محلياً ومؤثراً في مسلسل التنمية الوطنية.

ومن هذا المنطلق، تبرز حاجة الجماعات المحلية إلى "هيئة استشارية خاصة بالاقتصاد والتنمية"، تعمل إلى جانب النخب السياسية على الالتزام بآليات الحكامة الجيدة. وهذا يتطلب الانفتاح على كل الطاقات والكفاءات القادرة على رفع تحدي تنمية المدن وتوفير شروط التدبير الجيد، بما يمكن من إعادة الاعتبار لمشاركة المواطن والمجتمع المدني في صنع القرار أو التأثير فيه. ويهدف خلق هذه الهيئة الخاصة بالاقتصاد والتنمية إلى خلق اقتصاديات مختلطة ومتنوعة، عن طريق إنشاء شركات اقتصادية مختلفة، وتشجيع التعاون بين الجماعات الترابية، وتطوير الشراكة مع المقاولات، مما يساهم في تعزيز التنمية المحلية وتحقيق الرفاهية للجميع،(**حميد القستلس، 2013**). و ممارسة التعاون بين الجماعات والتدخل لصالح الاستثمار والمقاولات وتهيئته من خلال عمل هيئة الاقتصاد على تقديم مقترحات وملتمسات تخص مجموعة من المجالات و التي يمكن تلخيصها كما يلي:

أولا: التنمية الصناعية والعلمية والتكنولوجية في إطار الأقطاب الصناعية.

ثانيا: التركيز على تطوير التعمير وبرمجة التداخل بين الأنشطة الحضرية والقروية داخل الجهة.

ثالثا: العمل على الرفع الحقيقي من مستوى البيئة العامة للاستثمار وانجاز برامج للتنمية الجهوية المندمجة بشراكة مع الدولة والجهة والجماعات المحلية والجامعات والقطاع الخاص.

رابعا: فتح وتعبيد الطريق أمام الاستثمارات المحلية والخارجية عن طريق تهيئ مناطق لاستقبالها واحتضانها من داخل الجماعات عبر خلق بيئة مناسبة لاحتضان الأنشطة الاقتصادية المدرة للمداخل الضريبية ولمناصب الشغل المحلية.

خامسا: إنشاء مناطق للأنشطة اقتصادية مستوفية لشروط البقاء والاستمرار، التي تتيح للمستثمرين المحليين فرصة التوفر على بقع أرضية يقيمون عليها استثمارهم.(**حميد القستلس، 2013**).

5.3. هيئة قضايا الشباب:

في ظل التحولات التي يعرفها المغرب اليوم، أصبح المجتمع المدني له دور كبير و أصبح يعد فاعلا رئيسيا داخل المجتمع المغربي، بحيث حل محل الأحزاب السياسية نفسها من خلال تأطيره للمواطنات والمواطنين، يعتبر الدستور انعكاسا لحركة وديناميةالمجتمع المدني والثقافة السياسية السائدة في المجتمع. رغم استحالة استبدال هذه الأخيرة بالجمعيات المدنية، حيث أن تراجع هذه الأحزاب أعطى لبعض الجمعيات النشيطة الاشتغال في الحقل السياسي، خاصة بعد توجيه مضامين بعض الفصول، حيث من بين اقتراحاتها ما هو الشأن بالنسبة للهيئة الاستشارية المتعلقة بقضايا الشباب. إن دسترة هذا المجال الذي يهم الشباب والجمعيات يندرج في إطار المؤسسة التي تسعى إليها المملكة المغربية على اعتبار هذه الأخيرة تضمن الاستمرارية وتدفع الشباب والمواطنات والمواطنين للانخراط في الحياة العامة. (**دليل مساطر إحداث وتفعيل وإشتغال وتتبع إلهيئة الاستشارية2021**.)

ان إدماج الشباب والجمعيات النشيطة في الحياة العامة من شانه ان يبعد عنها منطق الاحتجاج السلبي، وتدخل في منطق التغيير الايجابي من داخل النظام (من داخل المؤسسات)، لأن النظام الناجح والمنفتح هو النظام القادر على إدماج قضايا الشباب ضمن أولوياته من خلال التعرف على مطالب هده الفئات والاستجابة لها، وهذا ما قام به النظام السياسي المغربي ودستور 2011، و أكد عليه في الفصول التالية:(الفصل 12 و13 و14 و15 و33 و139 و146) كون أن المجلس الاستشاري المتعلق بقضايا الشباب يدخل في إطار الديمقراطية المباشرة، من حيت أصبحت من الضرورة إشراك الشباب والجمعيات في صياغة السياسات العامة للدولة، في محاولة جادة لتجاوز الشوائب التي تعيق الديمقراطية التمثيلية خاصة مع تمظهر محدوديتها في التعاطي مع بعض الفئات الاجتماعية وعلى رأسها فئة الشباب، لذلك فان إنجاح أي مجلس يتطلب خلق بنيات مصاحبة للمجلس الاستشاري للشباب والعمل الجمعوي على المستوى المحلي والجهوي، كهيئات التشاور، قصد إشراك مختلف الفاعلين الاجتماعيين، في إعداد سياسات عمومية أفقية مندمجة، وتفعيلها وتنفيذها وتقييمها، وضرورة توفير الضمانات الكفيلة بجعل الآراء والمقترحات الاستشارية للمجلس لها وزن اعتباري ودستوري، بناءا على ذلك، فان الفصل 33 من الدستور، حدد مجموعة مهام المجلس الاستشاري للشباب والعمل الجمعوي والتي يمكن أن نلخصها كما يلي:

- العمل على تشجيع المشاركة الشباب وإدماجهم في التنمية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية للبلاد و مساعدتهم على الاندماج في الحياة الجمعوية والمدرسية والمهنية والاجتماعية.
- تيسير ولوجهم للثقافة والفن والعلم والرياضة من خلال توفير الظروف الملائمة لإبراز مواهبهم وابداعاتهم، كما أن المجلس المحدث بموجب الفصل 33 السالف الذكر، يعتبر، كما حددته المادة 170 من الدستور، هيئة استشارية في ميدان حماية الشباب والحياة الجمعوية، وتنمية قدراتهم وتحفيزهم على الانخراط في الحياة الوطنية. فبالنسبة لتركيبة المجلس، فلابد من انتخاب أعضائه والانتهاء من منطق التعيين، وأن يكون أغلب الأعضاء والشباب من المنتميات والمنتمين للجمعيات ومشهود لهم بالخبرة في هذا المجال.

إن الاستشارة اليوم أصبحت ضرورة ملحة للمساهمة عن طريق المجالس الترابية في صناعة القرار وخاصة أن دورها استشاري وعن كيفية تكون هذه الاستشارة وماهية قدراته على المرافعة والتأثير في صناعة القرار، علما أن المغرب لا يتوفر على استراتيجية واضحة بخصوص الشباب، فالمجلس قد يلعب دور الوسيط بين الشباب والحكومة، والتشاور بشأن السياسات العمومية التي تهم الشباب والعمل الجمعوي. من جهة أخرى، كما أن دور المجلس يتجلى في كونه يساعد على خلق المشاركة في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية للبلاد، فإن خلق آليات التشاور خاصة بالشباب هو تعبير قوي عن إرادة قوية لمحاربة سياسة الاحتكار التي تنهجها النخب المتحكمة في مجموعة كبيرة من المجالات، وكذا صعوبة الاندماج في الحياة المدرسية والاجتماعية، والمهنية التي تعاني منه الكثير من شرائح عريضة داخل فئة الشباب، وهو ما يعني الحيلولة دون تمتعها بحقوقها الثقافية والمهنية والاجتماعية، بفعل عدم نجاعة الآليات والمقاربات المعتمدة، فنتيجة لهذه العقبات المتعددة الأصول هي حرمان الشباب من التمتع بحقوقهم بشكل كامل، الشيء الذي ترتبت عنه تصنيف المغرب في السلالم الدنيا لمؤشرات التنمية البشرية دوليا، وعدم استفادته من خبرات ومهارات وقدرات الشباب(**دليل مساطراحداث وتفعيل وإشتغال وتتبع الهيئة الاستشارية2021**.)

5.4. هيئة المساواة وتكافؤ الفرص ومقاربة النوع:

كما نعلم، شجع "الدستور المغربي" مفهوم "المساواة" بين الرجل والمرأة، بهدف ضمان استفادتهما من الفرص والحقوق على قدم المساواة، والمساهمة الفعالة في التنمية داخل المجتمع. وقد نص "الفصل 19 من الدستور المغربي لسنة 2011" على أن الرجل والمرأة يتمتعان على قدم المساواة بالحقوق والحريات المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والبيئية، الواردة في هذا الباب من الدستور، وفي مقتضياته الأخرى، وكذا في الاتفاقيات والمواثيق الدولية التي صادق عليها المغرب. وهذا يتم في نطاق إحكام الدستور وثوابت المملكة وقوانينها.

بالإضافة إلى ما سبق، تسعى "الدولة المغربية" إلى تحقيق مبدأ "المناصفة" بين الجنسين، لذلك أحدثت "هيئة المناصفة ومكافحة كل أشكال التمييز"؟ تتشكل هذه الهيئة من ممثلات وممثلي المجتمع المدني المحلي النشط على مستويات المحيط الخارجي والمباشر للجماعة، وهم: شخصيات وفاعلات وفاعلون ونشطاء على مستوى منظمات المجتمع المدني والجمعيات والتعاونيات والشبكات المحلية. بالإضافة إلى أشخاص مرجعيين وباحثين ومقاولين، وكذا نساء ورجال وشباب وأشخاص ذوو الاحتياجات الخاصة. وهم ممثلون داخل الهيئة بالتشاور مع المجتمع المدني وفق منهجية تشاركية وشفافة ومعايير محددة من طرف الجماعات، وينبغي أن يكونوا معتمدين من طرف جمعياتهم وهيأتهم، وأن يقوموا بعملهم بشكل تطوعي، حيث يستحسن أن يكونوا أعضاء خارج الأعضاء الثمانين للمجلس الجماعي.

ووفق "الفصل 13 من دستور المملكة المغربية 2011"، ليس للهيئة اختصاصات تداولية، بل وظيفتها "استشارية" في مجال المساواة وتكافؤ الفرص ومقاربة النوع. وفي هذا الإطار، يحق لها إبداء الرأي وتقديم توصيات وملتمسات بمجلس الجماعة. وتتلخص المهام والاختصاصات الأساسية للهيئة فيما يلي:: (**دليل مساطر احداث وتفعيل وإشتغال وتتبع إلهيئة الاستشارية2021**.)إعداد الآراء الاستشارية التي يجب ان تحظى بموافقة أعضاء الهيئة أو التصويت في حالة عدم حصول هذا

التوافق واحالة الآراء الاستشارية على رئيس المجلس الجماعي الذي يعرضها بدوره على أنظار المجلس وتنصب هذه الآراء على المساواة وتكافؤ الفرص ومقاربة النوع الاجتماع؛

المشاركة في مختلف مراحل إعداد برامج عمل الجماعة وتقييمه من اجل استحضار المساواة وتكافؤ الفرص. فأساس الإطار التنظيمي والمرجعي لهيئة المساواة وتكافؤ الفرص ومقاربة النوع يكمن في رغبة انفتاح الجماعات على المجتمع المدني. الا ان ذلك يعتبر شرطا أساسيا لنجاح هيئة المساواة وتكافؤ الفرص ومقاربة النوع في القيام بدورها الاستشاري على أكمل وجه، لاعتبار الهيئة آلية داخلية للجماعة، ونظرا للقيمة المضافة التي يمكن ان تقدمها لعمل المجلس فان رئيس(ة) مجلس الجماعة والمجلس عبر اللجنة التقنية هم مطالبون بالسهر على: (**دستور المملكة المغربية، 2011**)

- التفعيل والسير الجيدين لإعمال هيئة المساواة وتكافؤ الفرص ومقاربة النوع؛
- توفير الوسائل المادية من قاعة ومواد معلوماتية ولوجستيك لعقد اجتماعات الهيئة.
- تامين دعم متواصل للأعمال الاستشارية لهيئة المساواة وتكافؤ الفرص ومقاربة النوع؛
- القيام بتتبع أشغال هيئة المساواة وتكافؤ الفرص ومقاربة النوع بشكل دوري وبتشاور مع أعضائها، مع ضرورة تنظيم المهام الاستشارية لهذه الهيئة في إطار مخطط عمل استشاري سنوي على المدى المتوسط، ولهذا يتعين على أعضاء هيئة المساواة وتكافؤ الفرص ومقاربة النوع:

- معرفة النظام الداخلي للجماعة والبرامج والمشاريع سواء المنجزة أو التي هي في طور الانجاز والتوفر على معطيات حول المجالات ذات الأولوية بالنسبة إليها؛
- تحديد الرهانات التي تواجه الجماعة فيما يخص المساواة وتكافؤ الفرص ومقاربة النوع؛
- الأخذ بعين الاعتبار انشغالات المجتمع المدني، كونه يلعب دورا مهما في مجال البرمجة والإعداد والتخطيط في المجال والتنمية ويساهم في تحقيق الفعالية في العمل، من خلال التجميع والدراسة المنهجية للمعلومات المرتبطة بالاختلافات والعلاقات الاجتماعية المرتبطة بالنوع الاجتماعي، سعيا إلى رصد ومعرفة وتقليص الفوارق فيما يخص المساواة المبنية على النوع الاجتماعي وذلك من اجل تمكين قدرات النساء داخل الجماعة.(**دستور المملكة المغربية الفصل 139**)

5.8 الهيئات الاستشارية بين التحديات والانجازات:

تعاني الهيئات الاستشارية من مجموعة من الاكرهات و التحديات في ممارستها رغم الأهمية الدستورية والقانونية للهيئات الاستشارية ودورها في تكريس الديمقراطية التشاركية، فإنها تواجه عدة تحديات تنظيمية، مؤسساتية، وسوسيو—ثقافية يمكن تلخيصها كما يلي:

5.5. تحديات مؤسساتية وقانونية:

من بين هذه التحديات نذكر:

يتضح جليا أنه هناك عدم الوضوح بخصوص الأدوار والصلاحيات بين الهيئات والمجالس المنتخبة، وهو ما يخلق نوع من

تداخل وظيفي وكذلك لا ننسى انه هناك ضعف الإلزامية القانونية لتوصيات وآراء هذه الهيئات، مما يجعل دورها أقرب إلى الاستشارة الشكلية فقط قلة الموارد المالية والبشرية المخصصة لتفعيل عملها، أيضا بطء في إصدار النصوص التنظيمية والمراسيم التطبيقية الخاصة ببعض الهيئات على المستوى المحلي خصوصا.

5.6. التحديات المرتبطة بما هو اجتماعي وثقافي:

ونذكر منها ما يلي:

يتبين ان هناك ضعف بخصوص ثقافة المشاركة المواطنة، بحيث ما زالت فئات واسعة من المجتمع المدني لا تدرك تمام أدوار هذه الآليات كذلك هناك غياب التكوين والتأهيل في مجالات الحكامة والتدبير المحلي واللغة القانونية بالإضافة إلى

الهيمنة الذكورية داخل بعض المجالس، وهو ما يضعف تفعيل مقاربة النوع والمناصفة الضعف في آليات التواصل والتنسيق بين الهيئات الاستشارية والمجالس المنتخبة والإدارة الترابية.

5.7. التحديات المرتبطة بما هو عملي وتنظيمي:

علاوة على ما سبق يمكن الحديث عن بعض التحديات العملية والتنظيمية التي تعرفها هذه الآليات الجديدة مثل: تأخر الجماعات في إحداث هذه الهيئات بعد الانتخابات كذلك ضعف آليات التتبع والتقييم لأثر توصياتها؛ محدودية الدعم اللوجستيكي والإداري الذي يوفر لها؛ الحاجة إلى إدماج حقيقي للهيئات في مراحل الإعداد، التنفيذ، والتقييم وليس فقط الاستشارة الشكلية. بل تحتاج إلى ان تكون المقترحات يعتد بتفعيلها والأخذ بها وبما يتناسب مع المجال المراد تنميته.

نستنتج من خلال ما سبق ذكره، أن المهام الحيوية والوظائف التي تضطلع بها الهيئات الاستشارية داخل الجماعات الترابية، يمكن أن تساهم من خلالها في تنمية المحلية، باعتبار هذه الهيئات الاستشارية تعد مصدرا مهما داخل المجلس لتقديم الاستشارة في بعض القضايا والمشاريع والبرامج التنموية، من خلال عقد اجتماعات بشكل متكرر ولاعتماد تكوينها على نخبة من فعاليات المجتمع المدني الدي يتمتع بخبرة مهمة بحكم مراكمة تجاربه بالميدان ومن خلال التعاطي مع مختلف القضايا ذات البعد الاجتماعي والثقافي، منه فلا يمكن ان تتحقق المهام الاستشارية و ووظائف الهيئات الاستشارية بمجرد تعيين أعضائها، بل من الضروري أن تتمتع بقدر من الحرية في أداء مهامها، واستقلالية في اتخاذ قراراتها، كما يجب أن يتمتع أعضائها بحس عالي من المسؤولية من خلال تقديم المساعدة للمجلس وعدم التهرب من تحمل المسؤولية في تقديم الاستشارة الازمة، لأن الهيئات وضعت لتقديم الاستشارة وتقديم أفكار وتصورات للبرامج التنموية، وليس من أجل انتظار طلب المجلس للاستشارة، كما أن نجاح المهام الاستشارية للهيئات له ارتباط بتوظيف مقاربة النوع بشكل ذكي ليخدم المجلس، إلا أن الهيئة الاستشارية داخل الجماعات الترابية موضوع الدراسة كان تفعيل أدوارها رهين بالقرارات الإدارية والمشاكل الداخلية الخاصة بالمجلس، بالإضافة إلى هذا إذ لم يكن هناك وعي للاعضاء و مستوى تؤهلهم لعملية التشاور و كان هناك قلة وعي بخصوص المشاركة بتقديم الاستشارة.

6. مساهمة الهيئات الاستشارية بالجماعات الترابية في تحقيق التنمية:

لا يمكننا ان ننكر أنه رغم الإكراهات والتحديات استطاعت الهيئات الاستشارية ان تساهم ولو بشكل قليل في صنع السياسات العمومية لتحقيق التنمية المحلية عبر مقترحاتها، أن تحقق مجموعة من المكتسبات المهمة على مستوى الممارسة المحلية بالمجالس الترابية.

6.1. على مستوى الحكامة والمشاركة:

يمكن تلخيص هاته الانجازات والمكتسبات فيما يلي:

- المساهمة في نشر ثقافة المشاركة وتعزيز التواصل بين المجالس والمجتمع المدني؛
- تشكيل منابر للتشاور العمومي في قضايا التنمية المحلية؛
- المساهمة في رفع وعي الفاعلين المحليين بأهمية مقاربة النوع والإنصاف.

6.2. على مستوى التنمية الاقتصادية والاجتماعية:

في هذا الصدد فقد تحققت بعض المكتسبات على مستوى التنمية الاقتصادية والاجتماعية، من بينها:

- دعم بعض الجماعات في إعداد برامج عمل تراعي مقاربة النوع؛
- المشاركة في بلورة مشاريع تنموية محلية ذات طابع اجتماعي واقتصادي؛
- المساهمة في تقديم توصيات لتحسين الشفافية وجودة الخدمات الجماعية.

6.3. على مستوى التأهيل والمواكبة:

على مستوى التأهيل والمواكبة، فيمكن ذكر بعض المكتسبات من قبيل تنظيم لقاءات ودورات تكوينية حول الديمقراطية التشاركية والتمكين الاقتصادي للنساء. أيضا، المساهمة في إحداث شبكات للتواصل بين المجتمع المدني والمجالس المنتخبة؛ بالإضافة الى المساهمة في إدماج الشباب والنساء في النقاش العمومي المحلي.

7. الرهانات المستقبلية لتفعيل أدوار الهيئات الاستشارية:

7.1. على المستوى المؤسساتي:

على المستوى المؤسساتي، يمكن ذكر بعض الرهانات لتفعيل دور الهيئات الاستشارية كضرورة تعزيز الإلزامية القانونية لتوصيات الهيئات وإدماج مخرجاتها في برمجة المشاريع وبرامج العمل الجماعي، بالإضافة الى تمكينها من الوسائل المادية واللوجستيكية الضرورية للقيام بمهامها.

7.2. على المستوى الاجتماعي والثقافي:

فمن بين الرهانات على المستوى الاجتماعي والثقافي، يمكن ذكر: نشر ثقافة المشاركة المواطِنة عبر التربية والتكوين والإعلام المحلي، وتشجيع النساء والشباب على الانخراط في العمل الاستشاري. بالإضافة الى ترسيخ قيم الشفافية والمساءلة داخل المجالس المحلية.

7.3. على المستوى التقني والإداري:

على المستوى التقني والإداري، يمكن ان نذكر من بين الرهانات لتفعيل الهيئات الاستشارية، إحداث منصات رقمية للتشاور العمومي واعتماد مقاربة التقييم والتتبع الدورية لعمل الهيئات، وتكوين مستمر لأعضائها في مجالات التخطيط، النوع الاجتماعي، والتدبير التشاركي.

8. خاتمة :

إن التطور الذي عرفه العالم خاصة على مستوى تدبير و التسير المؤسسات المجتمعية جل الدول النامية تفكر لكي تكون هي أيضا تطمح لكي تطور من نفسها في هذا المجال و نجد من هذه الدول المغرب الذي أصبح في الأواني الاخيرة يعمل على خلق مجموعة من الآليات و الاستراتيجيات التي من شأنها أن ترفع مستوى التنمية داخل المجتمع، و ذلك اعتمادا على المقاربة التشاركية منه،شكلت الهيئات الاستشارية لبنة أساسية في ترسيخ الديمقراطية التشاركية والحكامة الجيدة بالمغرب،. فهاته الهيئات تمثل الوسيط بين المجتمع المدني والسلطة المنتخبة، ويمكن اعتبارها ايضا فضاء للتعبير والمشاركة والمبادرة المواطنة، فتفعيلها الفعلي يظل رهينا بإرادة سياسية قوية وتعبئة مؤسساتية ومجتمعية.

فلا يمكن اعتبار أن المقاربة التشاركية ومقاربة النوع مجرد شعارات نرفعها فقط، بل هي أدوات عملية ثم خلقها من أجل العمل على إدماج النساء والشباب والمجتمع المدني في عملية التنمية المحلية. لكن أن ننكر أن التجربة المغربية ما تزال تحتاج إلى مأسسة الحوار والتشاور داخل كل الجماعات الترابية، كخيار استراتيجي مكن اجل العمل على تحقيق العدالة الاجتماعية والتنمية المستدامة.

توصيات من شانها أن تطور العمل الاستشاري بمجالس الجماعات الترابية المغربية:

في ظل التغيرات و التحولات التي عرفتها الدولة المغربية يعتبر خلق الهيئات الاستشارية بالمجالس الترابية خطوة جريئة و تعتبر ايضا مبادرة جيدة بإعتبارها آليات جديدة التي من شأنها أن تساهم و تساعد على إدماج الفاعلين المحليين والمجتمع المدني والهيئات الاستشارية التابعة للجماعات الترابية والأساتذة الباحثين في حوار و نقاش ينبني على مجموعة من الاراء و يكون بناء بحيث يمكن ان يساهم في تطوير أدوات الحكامة المحلية وإبداع آليات جديدة للمشاركة المواطنة المتميزة بالفعالية والقرب من تطلعات المواطنات والمواطنين وتساهم في صنع وتجويد السياسات العمومية و عملية اتخاذ القرار، و ذلك عن طريق العمل على :

- تقييم الممارسات الراهنة للديمقراطية التشاركية على المستوى الوطني والجهوي والترابي؛
- تحديد الصعوبات التي تحول دون التطبيق الأمثل لدور الهيئات الاستشارية في التدبير المشترك للسياسات العمومية الترابية؛

- الوقوف عند الإكراهات المرتبطة بإشراك مختلف الشرائح المجتمعية في تدبير الشأن العام؛
- تحديات استثمار العرائض والآراء الاستشارية في تقديم المقترحات والحلول البديلة للجماعات الترابية؛
- التشاور العمومي في تقديم الآراء الاستشارية، وتسليط الضوء على مبادرات الهيئة التي نجحت في تحويل مبادئ الديمقراطية التشاركية إلى واقع عملي ملموس؛
- البحث عن آليات تحسين الإطار القانوني والمؤسساتي للديمقراطية التشاركية، وتنمية قدرات الفاعلين على المستوى المحلي، بما يسهم في إرساء وتنسيق وتكامل للأدوار بين الفاعل السياسي والفاعل المدني الذي يتميز بالشفافية والمشاركة الفعالة؛
- ضرورة تمكين الهيئات الاستشارية من صلاحيات عملية وإشراكها في مراحل إعداد وتنفيذ وتقييم السياسات العمومية المحلية؛
- تعزيز تكوين أعضائها في مجالات الحكامة التشاركية ومقاربة النوع؛
- تخصيص موارد مالية قارة لدعم أنشطتها؛
- تفعيل آليات التقييم والمساءلة لضمان نجاعة عملها؛
- تطوير شراكات بين الجماعات الترابية وجمعيات المجتمع المدني والقطاع الخاص؛
- اعتماد مقاربة النوع كأداة معيارية في إعداد برامج التنمية المحلية؛
- تعزيز التواصل المؤسساتي والرقمي بين المجالس والهيئات الاستشارية؛
- تجربة جهة طنجة تطوان الحسيمة في تنزيل شراكة الحكومة المنفتحة وبرامج الانفتاح؛

المراجع:

- إسماعيل العربي، التنمية الاقتصادية في الدول العربية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط1980،2، ص42.
- مصطفى زايد، التنمية الاجتماعية ونمط التعليم الرسمي في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية،1986، ص67.
- العربي الوافي، مقاربة النوع والتنمية، أي تعليم لمغرب الغد،2008، ص 143،144،149،150.145
- تقرير الخمسينية حول التنمية «الواقع والأفاق"، ورد عند العربي الوافي، "مقاربة النوع والتنمية، أي تعليم لمغرب الغد"، 2005
- تقرير المملكة المغربية حول تطبيق منهاج عمل بيجين، الذكرى السنوية 25، وزارة التضامن والإدماج الاجتماعي والأسرة، 2020.، ص:20 و 21.

- تقرير المملكة المغربية حول تطبيق منهاج عمل بيجين، الذكرى السنوية 25، وزارة التضامن والإدماج الاجتماعي والأسرة، 2020.، ص 62 وص 63.
- محمد الأشهب، الفلسفة والسياسة عند هابرماس: جدل الحداثة والمشروعية والتواصل في فضاء الديمقراطية، منشورات دفاتر سياسية، 2006، بتصرف
- دستور المملكة المغربية، 2011/ مقتطف من توصيات اللجنة الوطنية للحوار الوطني حول المجتمع المدني وأدواره الدستورية الجديدة في ما يتعلق بالإطار القانوني للتشاور العمومي الباب الخامس هيئات التشاور العمومي.
- نور الدين السعداني، الجماعات الترابية بالمغرب بين توسيع الاختصاصات التدبيرية وإكراهات الاستقلالية المالية، الطبع دار السالم للطباعة والنشر والتوزيع – الرباط الطبعة الأولى 2015 ،ص 67 ،ص68وص10،ص104
- حميد القستلس، حكامة المدن: نحو مستقبل حضري أفضل، مطبعة المعارف الرباط، الطبعة الأولى 2013 ص34-37
- حميد ابولاس، دراسة حول اللامركزية الإدارية والسياسة في المغرب واسبانيا منسق المشروع جامعة عبد المالك السعدي المغرب، مديرة المشروع 77 ماريا زمبونينو بوليتو جامعة قاديس اسبانيا ص 178، 179.
- عكاشة بن مصطفى، دستور 2011، البيئة السياسية، تنسيق محمد الرضواني 2014 الطبعة الأولى 2014 مطبعة المعارف الجديدة الرباط ص ، 79 ص 80،ص 82
- دليل مساطر إحداث وتفعيل واشتغال وتتبع هيئة المساواة وتكافؤ الفرص ومقاربة النوع بالجماعات، المملكة المغربية وزارة الداخلية المندوبية لعامة للجماعات المحلية سلسلة دليل المنتخب 2017.

– مقتطف من توصيات اللجنة الوطنية للحوار الوطني حول المجتمع المدني وادواره الدستورية الجديدة في ما يتعلق بالإطار القانوني للتشاور العمومي الباب الخامس هيئات التشاور العمومي بتصرف)

– مقتطف من توصيات اللجنة الوطنية للحوار الوطني حول المجتمع المدني وأدواره الدستورية الجديدة في ما يتعلق بالإطار القانوني للتشاور العمومي الباب الرابع هيئات التشاور العمومي.

مراجع بالغة الفرنسية:

- Safir nadji:essqis des qnqlyse sosiologique edition ou-bnal-tome2-alger-1985-p9

- 1 CABANNES Yves,72 question courantes sur le budget participatif, ONU-Habitat, Nairobi, p , 32 , 2005

رمزية الإمام الحسين (عليه السلام) في شعر الجواهري
قصيدة (آمنتُ بالحسين) أنموذجاً

م . م. علي حسين جاسم
مديرية تربية بابل / العراق
affsggjfhghf@gmail.com

الملخص

تناولت هذه الدراسة رمزية الامام الحسين (عليه السلام) في قصيدة الجواهري (أمنتُ بالحسين) ؛ لنبين من خلالها روحية الرمز الحسيني وصفاته وتجلياته في القصيدة العينية للجواهري ، و تحديد خصائص القصيدة الموضوعية والفنية وظواهرها الرمزية التي قدّمها الشاعر في قصيدته ، واستنباط ما تركته هذه الشخصية من آثار وأبعاد روحية وعاطفية وثقافية والوقوف على تجلياتها ، وكيف أنّ الشاعر استخدم ذخيرته اللغوية ومخزونه الفكري والثقافي ووظفه برموز وإيحاءات ودلالات تكشف عن ملامح ثورة الامام الحسين (عليه السلام) ، وهو يدعو إلى الإصلاح وتغيير الواقع ومواجهة الظلم والظالمين والسير على نهجه النيّر الذي تركه نصرةً للحق ودحضاً للباطل ، واعتمدتُ في هذا البحث على استخدام المنهج الوصفي التحليلي وقد اشتملت الدراسة على مقدمة ومبحثين المقدمة شرعنا من خلالها إلى أن الرمز مذهب فني اتخذه الكثير من الشعراء للتعبير عمّا يجول في خواطرهم من دلالات وإيحاءات ، أمّا المبحث الاول يُعنى بمفهوم الرمز لغةً واصطلاحاً وتجلياته عن الشعراء ، وأمّا المبحث الثاني توظيف الرمز في شخصية الأمام الحسين (عليه السلام) ، واشتمل البحث ايضاً على خاتمة بينتُ فيها أهم النتائج التي توصلتُ إليها بعد ذلك قائمة المصادر والمراجع .

الكلمات المفتاحية : الرمز ، الأمام الحسين ، الجواهري ، قصيدة (أمنت بالحسين).

The symbolism of imam Hussein (peace be upon him)

Al- Jawahir s z poetry : the poem "IBlieved in Hussin" as a model

Ali Hussein jassim

BaBil Education Directorate – Iraq

Abstract

This study death with the personality of imam Hussein (personality) of imam Hussein (peace be upon him) and his symbolism in al- jawahari s poem I showed the spirit symbol and qualities of al- Hussein in al – jawuhri s poem at the same time I determine the objective and artistic cha racteristics of the poem and its symbolic phenomena I deduced the effects and spiritual emotions and culture dimensions that represented in the poem I explained how the poet used his thguistic reserve intellectual and cultural stock to employed in his poem to find out the features of the revolution of imam Hussein (pence be upon him) as he calls for reform and changing the reality and confronting injustice I relied on the use of descriptive analytical method this study consists of an introduction and two chapters in introduction I showed the symbol is an artistic approach adopted by many poets to express what run in their mind from suggestion and connotation the first chapter duels with the concept of symbol in language and technically.

In the second chapter I employed the symbol in the personality of imam Hussein it also included a conclusion in which I showed the result that I reached finally there is a list of sunrise and referenees .

Keywords: symbol, Imam Hussein, Al-Jawahiri, poem (I believed in Hussein).

- **المقدمة :**

للرمز أهمية كبيرة ودوراً هاماً في إثراء النص الشعري وبالخصوص الشعر الحديث بالإيحاءات والإيماءات ؛ كونه يكشف الدلالات المتعددة للرؤية الفنية والجمالية للشاعر وإبراز فاعليته الشعرية التي تؤهل الشاعر للتعبير عن همومٍ وقضايا تخصُّ المجتمع وذلك فإنَّ " عناصر التراث ومعطياته لها القدرة على الإيحاء بمشاعر واحاسيس لا تنفذ ، حيث تعيش هذه المعطيات في وجدان الناس واعماقهم ، حف بها هالة من القداسة والإكبار ؛ لأنها تمثل الجذور الأساسية لتكوينهم الفكري والوجداني والنفسي" (السلطان ، محمد، 2010 ، ص36) . فالجواهري واحدٌ من الشعراء الذين لجأوا إلى الرمز الديني الذي به يكون النص الشعري زاخراً بالمعاني وغنياً بالدلالات وخصباً بالإيحاءات الكامنة وراء النص ، ويمنح النص حقائق تاريخية يريد الشاعر إيصالها للمتلقي ، ومن الرموز الدينية التي وظفها الشاعر الجواهري في قصيدته (آمنت بالحسين) هي شخصية الامام الحسين (عليه السلام) ، إذ وجد في هذه الشخصية رمزاً يجسد عنوان الصمود والشموخ والوقوف بوجه الظلم والطغيان وذلكَ " لما يرتبط بها من أحداث مهمة ومواقف معهودة فقد أصبح استدعاؤها امراً يثري المضمون الشعري ويكشف الكثير من المعاني التي يصعب الحديث عنها بطريقة مباشرة " (أبو علي ، نبيل ، 1999، ص202) ، وبهذا يحمل الرمز أبعاداً ودلالات للرؤية الشعرية توثق الحقائق التي يقدمها الشاعر في نصه الشعري بكل رؤاه وأفكاره ، ومن هنا نسعى بقدر ما يمكن استنباط دلالة الرمز وفاعليته لشخصية الامام الحسين باعتبارها رمزا دينياً خالدا ومبدأ للحق وناصراً للمظلومين على مرِّ الزمان ، وما ستناوله في مضمون بحثنا توظيف الرمز الحسيني في قصيدة (آمنتُ بالحسين) .

- **اشكالية البحث :**

تتمثل مشكلة البحث في الإجابة على عدد من الاسئلة وهي :

– ما الهدف من استخدام الرمز ؟ وما مدى فاعليته في قصيدة الجواهري (آمنتُ بالحسين) ؟

– ما الدلالات والإيحاءات التي استخدمها الشاعر الجواهري في قصيدته لتوظيف الرمز الحسيني ؟

– ما الخصائص الفنية والجمالية للاتجاه الرمزي التي تتجلى في قصيدة الجواهري ؟

- **أهمية البحث :**

تكمن أهمية البحث بتقديم دراسة رمزية ودلالية لشخصية الامام الحسين (عليه السلام) للشاعر الجواهري في قصيدته (أمنت بالحسين) ، وكيف أن الشاعر الجواهري مثل الاتجاه الرمزي للأمام الحسين (ع) في أبيات قصيدته وتناولها بالشرح والتحليل وفق المنهج التحليلي الوصفي ؟

- **اهداف البحث :**

1-تناول الميزات الفنية والفكرية في قصيدة الجواهري "آمنتُ بالحسين".

2-الوقوف على مقدرة الشاعر في تمثيل الرمز الحسيني وإبرازه للمتلقي.

3-تحليل الدلالات والمعطيات التي أفرزها الشاعر في قصيدته

- منهج البحث

اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي في دراسة تجليات الرمزية الحسينية في قصيدة الجواهري "آمنت بالحسين

المبحث الاول : الرمز (مفهومه ووظيفته)

أولاً: مفهوم الرمز (لغة واصطلاحاً) :

أ- **الرمـز لغـةً** : للرمـز في معـاجم اللغـة العربيـة معـانٍ كثـيرة وسـنتطرق علـى معـنى واحـد وهـو مـا اشـار إليـه ابـن منظـور في معجمـه لسـان العـرب أن الرمـز " تصـويت خفـي باللسـان كـالهمس ، ويكـون بتحريـك الشـفتين بكـلام غـير مفهـوم باللفـظ مـن غـير إبانـه بالصـوت وإنمـا هـو إشـارة وإيمـاء بالعينـين والحـاجبين والشـفتين والفـم ، والرمـز في اللغـة كمـا أشـر عليـه ممـا بيـان بلفـظ بأي شـيء أشـرتَ إليـه بيـد أو عـين .... " (الانصـاري ، محمـد ابـن منظـور . 1997، ص119) ، فـالرمز إشـارة بيـد أو رأس وتـدل علـى معـنى معـين ، وهـذا مـا أكـده القـرآن الكـريم في قصـة نـبي الله زكـريا ، حيـث قـال في محكـم كتابـه العزيـز " الَ رَبِّ اجْعَـل لِّيَ آيَـةً قَـالَ آيَتُـكَ أَلاَّ تُكَلِّـمَ النَّـاسَ ثَلاَثَـةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْـزاً وَاذْكُـر رَّبَّـكَ كَثِـيراً وَسَـبِّحْ بِالْعَشِـيِّ وَالإِبْكَارِ" (سورة آل عمران ، أية **41**)

ب- **الرمـز اصـطلاحاً** : تعـددت معـاني الرمـز وتعريفاتـه في المصـطلحات الأدبيـة عنـد الأدباء والبـاحثين فهـو " شـيء يعتـبر ممـثلاً لشـيء آخـر ، وبعبـارة أكثـر تخصيصـاً فـإنّ الرمـز كلمـة أو عبـارة أو تعبـير آخـر يمتلـك مركبـاً مـن المعـاني المترابطـة ، وبهـذا المعـنى ينظـر إلى الرمـز باعتبـاره يمتلـك قيمـا تختلـف عـن قـيم أي شـيء يرمـز إليـه إلى النازيـة ... كمـا اسـتخدم الكثـير مـن الشـعراء الـوردة البيضـاء رمـز للصـبا والجمـال ، واسـتخدم إليـوت الرجـال الجـوف رمـزا للتـدهور " (فتحـي ، ابـراهيم ، 1986 ، ص171) ، فـالرمز يُعـد أسـلوباً مـن أسـاليب الشـعر الـذي يـدرس العلاقـات المرتبطـة بالظـواهر الماديـة والمعنويـة بالـنص الادبي ارتباطـا وثيقـاً " ولعلَّـه الوسـيلةُ الناجحـةُ إلى تحقيـقِ الغـاياتِ الفنيـةِ والجماليـةِ وإلى إدراك مـا لا يمكـن إدراكـه ولا التعبـير عنـه بغـيره ، ولا سـيما إذا اتحـد مـع وسـائل أخـرى في السـياق الشـعري ، لأن الرمـز ابـن السـياق وهـو سمـة الـنص والرمـز هـو الصـلة بـين الـذات والأشـياء بحيـث تتولـد عـن طريـق الإثارة النفسـية لا عـن طريـق التسـمية والتصـريح " (لوجسـتي ، ناصـر ، 2011 ، ص10) . إذاً الرمـز هـو الـذي يـدرس الظـواهر الدلاليـة للـنص الشـعري بكل تفاصيلها وأجزاءها ، واستخراج معالم الصور الفنية والجمالية ويحدد قيمتها ومكانتها في النص الشعري.

ثانياً : أهميته ووظيفته :

للرمز اهمية كبيرة في الشعر العربي وبالأخص الشعر العربي الحديث ، إذ من خلاله يتمكن الشاعر التعبير عن إمكانياته وآرائه الاجتماعية والفكرية والأدبية التي تجول في خواطره " والرمز بمفهومه الشامل هو : ما يمكن ان يحلَّ محلَ شيءٍ آخر في الدلالة عليه ليس بطريقة المطابقة التامة وإنما بالإيحاء أو بوجود علاقة عرضية ، أو علاقة متعارفٍ عليها "(سليمان ، خالد ،1987، ص32) ، فالرمز هو تعبيرٌ عن الرؤى والصور الشعرية العميقة يلجأ إليها الشاعر لإخراج ما في داخل وجدانهِ من رؤية فكرية ونفسية ومعاينتها للمتلقي لِتأملها واستنباط الدروس والعِبر منها من خلال التحليل والتأويل ، لآن استخدام الرموز الدينية والتاريخية يكسو العمل الشعري عراقة وأصالة ويعطيه بُعداً تاريخياً وحضارياً ، فهو يمثل نوعا من امتداد الماضي في الحاضر وعليه يمكن القول إنّ الرمز في الشعر " مجموعة من صور معقدة وغامضة خلقت عن قصد لإبعاد أذهان القارئين من الواقع وانتقاله إلى ما بعده حتى يصل من خلال هذه العملية إلى جوهر الفكر " (سعيد ، فاطمة ، 1972، ص178) ، وبهذا فالرمز بما يحمله من حيثيات ودلالات مشحونة بالصور يبقى متجدداً في وجدان الشاعر يعرب عن خفايا النفس ؛ لتتفتح من خلاله رؤى جديدة تحمل هواجس الشاعر التي يستحضرها في نصه الشعري والارتقاء بها ؛ ليظل المتلقي في بحث دائم عن تأويل النص .

المبحث الثاني :

رمزية الأمام الحسين (عليه السلام) **وتوظيفها في قصيدة (امنْتُ بالحسين) للجواهري :**

وظّفَ الشاعرُ الجواهري في قصيدتهِ رمزية الامام الحسين (عليه السلام) ؛ كونها شخصية دينية و تاريخية تعبرُ عن العزةِ والمجدِ والإباء ، ولِما لها مِن أثرٍ في تغيير واقع المجتمع الإسلامي ، ولها دورٌ بارزٌ في رسم طريق الحقِّ للأمة الثائرة من الظلمِ والانحراف ولذا فإنّ استحضار الجواهري لرمزية الامام الحسين لِما لها من وجود واهتمام متجذر في النفوس منذ واقعة الطف حيث استشهاد الأمام الحسين (عليه السلام) وأهل بيته إلى يومنا هذا حتى أصبح رمزاً لكلِّ القيم والمبادئ وانموذجاً خالداً للتضحيةِ والإيثار إذ أخذتْ شخصية الأما الحسين (عليه السلام) " موقعاً متميزاً في مسيرة الشهادة من وجهتي النظر التاريخية والفنية " (الكركي ، خالد ، 1989 ، ص173) ، إذ يرى الشاعر الجواهري في شخصية الأمام الحسين المثل الاعلى الذي يحتذى به والملاذ الآمن للنفوس المؤمنة ، إذ أنّ الأمام الحسين (عليه السلام) جاء من أجل تغيير الواقع المأساوي الذي جاءت به السلطة الاموية ، فكانت واقعة كربلاء بما تتمثل من مأساة وخذلان الأمة عن نصرة سبط الرسول إلا أنها بمثابة بركانا لكشف زيف بني أمية وظلمهم الجائر خرجَ الامام الحسين ووقف ذلك الموقف الشجاع ، فمع قلة العدد وخذلان الناصر وكثرة جيش العدو وعدده وعدته إلا إن صمودَ الأمام الحسين (عليه السلام) واستبسال أهل بيته وانصاره كان كفيلاً بأنْ يرعبَ العدو بهؤلاء السبعين مقاتلاً ويزعزع ثقتهم وخوفهم من المواجهة حيث قال " ألا واني زاحفٌ بهذه الاسرة مع قلة العدد وخذلان الناصر " (المقرم ، عبد

الـرزاق ، 1997، ص234) ، لـذلك خـرج لنـا الشـاعر الجـواهري بتلـك القصـيدة العينيـة الـتي تليـق بشخصـية الامـام الحسين (**عليـه السـلام**) ؛ ليعبر مـن خلالهـا عـن الرمـز الحسيني برؤيـة نقديـة جميلـة يسـتعرض مـن خلالهـا التفاعـل الروحـي والعـاطفي حينمـا يقـف أمـام القـبر الشـريف ليـدلوا بلغتـه الشـعرية ويجـدد بيعتـه ونصـرته للأمـام الحسـين بتلـك الكلمـات والمعـاني إذ انبثقـت حنجرتـه وتألـق وجدانـه وعـزز فكـره ذاكـرا طريـق الخلـود والنجـاة وهـو يقـف موقـف الخاشـع المتضـرع أمـام عظمة وشموخ سيد الشهداء فلا عجبَ أن تكتب القصيدة بماء الذهب .

الجـواهري بقصـيدته (أمنـتُ بالحسـين) رسـم لنـا لوحـةً فنيـة جميلـة تبقـى خالـدة في الوجـدان وعلـى مـر العصـور لتنـبض بالحياة الحرة الكريمة لكل من اراد الحرية والاستقرار

فاسـتدعاء شخصـية كشخصـية الأمـام الحسـين في الشـعر لهـا فاعليتهـا وأبعادهـا كونهـا " مـن اهـم الشخصـيات الـتي تعامـل معهـا الشـعراء العـرب المعاصـرين علـى مسـتوى الرمـز والقنـاع لمـا تتمتـع بـه هـذه الشخصـية مـن عمـق إنسـاني وفكـري وشموليـة لأنهـا شخصـية فاعلـة علـى مسـتوى الحيـاة دائمـاً " (الخليـل ، سمـير ، 2008 ، ص88) ، وبهـذا الأسـلوب يعتمـد الجـواهري علـى الرمـز باعتبـاره وسـيلة تعبيريـة تزيـد الـنص إثـراءً بكـل أشـكاله الفنيـة والجماليـة سـاعياً إلى اظهـار النص بمعطيات تلائم وذائقة للمتلقي .

فِدَاءً لمثواكَ من مَضْجَعٍ تَنَوَّرَ بالأبلَجِ الأروَعِ

بأعبقَ من نَفحاتِ الجِنانِ رُوْحَاً ومن مِسْكِها أَضْوَعِ

أرادَ الشـاعرُ الجـواهري في هـذه الابيـاتِ أن يبلـورَ لغتـهِ ومعانيـهِ وأفكـارهِ منـذ بدايـة القصـيدة ، وأنْ يعتلـي بمنجـزِهِ الشـعري هـذا ؛ ليحلّـقَ بـه إلى أرض كـربلاء حيـث ضـريح سـيد الشـهداء (عليـه السـلام) ، ليتأمـلَ ملامـح المكـان المقـدس المتمثـل بالمرقـد الشـريف ، حيـثُ الإشـراقة والهيبـة والجمـال والهـدوء والطمأنينـة لـيلجُ الشـاعر في سـر معرفـة تلـك الشخصـية وعظمتهـا ، إذ يقـفُ الجـواهري مخاطبـاً الامـام بكلمـة (فـداءٌ لمثـواك) ليفصـحَ عـن إحساسـهِ الجيـاش وشـوقه لصـاحب القـبر ليجـدد الصـمود والثبـات لهـذا القائـد الملهـم المبـدع ولتلـك الشخصـية الفـذة ، إذ رمـز لصـاحب هـذا المكـان الـذي أضـاءه ونـوّره بأجمـلَ صـورِ الشـجاعةِ ، ثم بعـد ذلـك يشـير لـه بـ (الأبلـج الأروع) ، وهـذه دلالـة للوجـه المشـرق الوضـاء والاصـل الطـاهر، فنـوره مشـتق مـن نـور السـماء وعطـرُ قـبره الـذي يعبـق منـه نسـيمٌ الكرامـة أصـبح مِسـكاً يشـمه كـلُّ مَـن أرادَ الشـهادة في سـبيل الله فـإنّ إشـرافه القـبر الشـريف تتـدفق منهـا رائحـة المسـك وكأنهـا رائحـة مـن الجنـةِ . ولهـذا فـإنّ النفـوس الـتي تهـوي إلى ارض كـربلاء تشـعر بالطمأنينـة والراحـة النفسـية لأنـه المكـان الـذي يـوقظ الشـعور وينهـل منـهُ عطـر الشهادة والتفاني والإيثار .

وَرَعْيَاً ليومِكَ يومِ "الطُّفوف" وسَقْيَاً لأرضِكَ مِن مَصْرَعِ

وحُزْناً عليكَ بِحَبْسِ النفوس على نَهْجِكَ النَّيِّرِ المهْيَعِ

يكشفُ الجواهري في هذه الأبيات إنّ الامام الحسين (عليه السلام) أصبحَ رمزاً خالداً في الوجدان الانساني من خلال وقوفه بوجه الظلم ، ويكشف لنا سِراً عميقاً يبحثُ عنه كل من طلب التضحية ويتمنى نيلها ، حيث استخدمَ الالفاظ (رعياً ، و سقياً ، وحزناً ، وصوناً) ، فكلُّها رموز مستوحاة من واقعةِ الطفِ الخالدة التي اتسمت بالحزنِ ، وكيفَ أنَّ الامامَ الحسين رعى هذه الواقعة وحافظ على قدسيتها وخلودها ، فهو بطل تلك الملحمة وقائِدها ، وهو مَن أخرج معطياتها بأروعَ معاني الشهادةِ والعزيمةِ والصبرِ إضافة إلى أثراء النص بجوانب الحزن والألم والفراق الذي رافقَ ذلك اليوم ، وهو (يوم الطفوف) ، أمّا (سقياً) فهو خطاباً للأرض التي احتضنتْ جسدَ الامام بعد استشهاده ، وكذلك استذكاراً لعطش الامام الحسين (عليه السلام) ، فالأرض التي حُرمَ من ماءها الامام الحسين(عليه السلام) وأهل بيته وأصحابه سقاها الامام الحسين بدمائه الزكية الطاهرة ، فمن ذلك اليوم لازمنا الحزن وخيم علينا متمسكين بطريق الشهادة الطريق المضيء الواضح " فالحسين صاحب رسالة ،وقائد أمة لا يرهب الموت، فالتضحية من مقومات القائد الرسالي" (بحر العلوم ، محمد ، 1984، ص32) ، ولهذا تأمّل الشاعر تلكَ الرموز المستوحاة من يوم الطفوف وترجمتها ؛ لنقل صور الشجاعة والإباء للإمام الحسين (عليه السلام) ، وغرسها في النفوس الباحثة عن الحقيقة ، وكيف أنّ الأمام الحسين حقق نصراً معنوياً في واقعة كربلاء إذ أصبح منهاجاً لكلّ المظلومين .

يا أيُّها الوِتْرُ في الخالدِينَ فَذَّاً ، إلى الآنَ لم يُشْفَعِ

ويا عِظَةَ الطامحينَ العِظامِ للاهينَ عن غَدِهِمْ قُنَّعِ

تعاليتَ من مُفْزِعٍ للحُتوفِ وبُورِكَ قبرُكَ من مَفْزَعِ

وهنا جاءَ الخطابُ المباشرُ من قبلِ الشاعر الجواهري باستعماله أسلوب النداء ، ليكشفَ عن حالةِ الشاعر النفسية ، وهو يستصرخ ليعبّر عن احساسه لتلك الشخصية الدينية العظيمة التي لا نظيرَ لها ، ليطلق نداءه من خلال لفظة (الوتر) ، إذ وقف فرداً شامخاً صلباً أمامَ أعداءهِ ، فلم يأبَ لكثرتهم ، فنال الشهادة فرداً وخُلدَ فرداً بين العظماء الخالدين الذين يبقى ذكرهم على طول الدهور لا مثيل له ولا ثاني من خلال لفظة (لم يُشفعِ) فهو مصداقا للخلود على مر الأزمنة .

وبإشارة أخرى (ويا عِظَةَ الطامحينَ العِظامِ) فهو عِبرةٌ وموعظة لأولئكَ الطامحين والطامعين الذين يلهثون وراء مكاسب دنيوية متناسين غدهم ومستقبلهم ، ولا ينظرون إليه مشغولون بملذاتهم وقانعين بها مما زاد تعلقهم بالدنيا

فأنتَ يا أبا الشهداءِ تعاليت على الموت الذي أخافوك به والذي رمز إليه الشاعر بـ (الحتوف) وهذه دلالة على قوة الأيمان ورباطة الجأش الذي تسلح به الامام الحسين (عليه السلام) فأنتَ يا حسين تخيف الحتوف بشجاعتك وصمودك الذي قهر الاعداء وزلزل عروشهم فنلتَ من الرفعة والمنزلة والمجد .

بعد ذلك يستدرك الشاعر بالمعنى فأصبح قبرك ومثواك مَفزع يتدافع إليه الخائفون ليتمسكوا بنهجك العظيم الذي يعطي الطمأنينة للنفوس الخائفة .

شَمَمْتُ ثَرَاكَ فَهَبَّ النَّسِيمُ نَسِيمُ الكَرَامَةِ مِنْ بَلْقَعِ

وعَفَّرْتُ خَدِّي بحيثُ استراحَ خَدٌّ تَفرَّى ولم يَضْرَعِ

وحيثُ سنابِكُ خيلِ الطُّغَاةِ جالتْ عليهِ ولم يَخْشَعِ

بعد ذلك ينتقل الجواهري إلى صورة جميلة ورمزية أخرى ، إذ يشير إلى ذلك التراب الذي شمّه واستنشقَ عطرَه فعدّهُ رمزاً للعزةِ والكرامةِ ، وإذا به يفوحُ منه نسيم الكرامة وكأنّه يستلهمُ من هذا التراب الذي تُركَ عليه الامام الحسين وحيداً العزة والشموخ والإباء ، فعفّرَ ومرغ خده بالتراب وبالمكان الذي استشهد به الامام الحسين واستراح ولم يستسلم ذلك الخد ولم يخضع ولم يتهاون حتى نال الشهادة ولم يكتفِ الاعداء بموت الامام إذ جاءوا بخيولهم لتعتلي صدره الطاهر فوطأته بحوافرها لكنه لم يتذلل ولم يخشع وهذه دلالة على عظمة الامام الحسين .

وطُفْتُ بقبرِكَ طَوْفَ الخَيَالِ بصومعةِ المُلْهَمِ المُبْدِعِ

كأنَّ يَدَاً مِنْ وَرَاءِ الضَّرِيحِ حمراءَ " مَبْتُورَةَ الإصْبَعِ"

تَمُدُّ إلى عَالَمٍ بالخُنُوعِ وَالضَّيْمِ ذي شَرَقٍ مُتْرَعِ

فمن القبر الشريف الذي يستحضره الشاعر بخياله يوحي لنا برمزيةٍ تحمل لنا الفكر والمنهج الحسيني بكل معانيه وكأن مشهد الحزن في واقعة الطف يتجدد أمام الشاعر وهو ينقل صورة تاريخية ويتفاعل معها ويتأثر بأحداثها فمنذ أن طاف حول القبر حلق فكره وطار خياله ليوم العاشر من محرم فنطلق عنان لغته ليتجلى بنقل الحقيقة المؤلمة وما نتج عنها من صور للشجاعة والبطولة والفداء .

ويستمرُ الشاعر في إظهار الرمز الحسيني وكيفية التفاعل معه وهو ينقل لنا صورة أخرى من صور الفاجعة إذ يصور لنا بأنّ يداً حمراءَ شُبهت له من وراء الضريح مقطوعة الأصبع ، وهذا يدلُّ على حجم المعاناة التي واجهها الأمام الحسين ليُشهِد العالم أجمع على حجم الجريمة ارتكبتْ بحقه بحيث لم يتركوا مكانا في جسمه إلا وتعرض للضرب

والطعن والقطع ، إذ تمتد هذه اليد التي حملت الأيمان والسلام والعزة والكرامة ، وكأنها شاهداً على هذا العالم المليء بالذل والخنوع والظلم وإحياء الضمائر الميته النائمة كأنها أرض جرداء يابسة لا حياة فيها بضمائرٍ واعية داركةٍ للحقّ كأنها أرضٌ خضراء داعية للحياة ويكثر فيها الخير ، فرغم الموت الجسدي لا زالتْ رسالة الامام الحسين حية تصرخ بوجه العالم .

تعاليتَ من صاعِقٍ يلتظي فَإنْ تَدْجُ داجِيَةٌ يَلْمَعِ

تأرّمُ حِقداً على الصاعقاتِ لم تُنْءِ ضَيْراً ولم تَنْفَعِ

ولم تَقْطَعِ الشَّرَّ من جِذْمِهِ وغِلَّ الضمائرِ لم تَنْزِعِ

تعاليتَ من "فَلَكٍ" قُطْرُهُ يَدُورُ على المِحْوَرِ الأوْسَعِ

ويستمر الشاعر في نصوصه ليصف الشاعر الامام الحسين بـ (الصاعقة) التي تتميز بالعلو والسرعة والقوة التي تتوقد بلهيبها وهول صوتها إذ (تأرمُ) وهذه دلالة ومبعث للقوة والغضب على صاعقات العدو ، فرغم كثرتهم وصوتهم وقدرتهم بالعدة والعدد إلا إن صوتهم لا يعلو على صوت الحسين (عليه السلام) لأن هذه لا تجلب نفعا ولا تدفع ضراً ، وهذه بلاغة أخرى للرمزية التي اتّسمتْ بالموقف البطولي الشجاع أمام صاعقات العدو التي بقيت جامدة في مكانها لم تعطِ نفعا ولاتقدم نفعاً ، فرغم كثرة جيش العدو ليس لهم القدرة على الإخافة ، فالجميع يعرف أنه كلما ذُكر اسم الامام الحسين (عليه السلام) في ميادين الشعر ذُكرت أعظم صفات الشجاعة والصمود والوفاء ومواجهة الباطل لأنه امتداد لسليل بيت النبوة ومعدن الرسالة ، فهو من بيتِ بني هاشم خير العرب وهذا ما أكده الشاعر الجواهري بقوله :

فيابنَ البتولِ وحَسْبِي بِهَا ضَمَاناً على كُلِّ ما أَدَّعِي

ويابنَ التي لم يَضَعْ مِثْلُها كمِثْلِكِ حَمْلاً ولم تُرْضِعِ

ويابنَ البَطِينِ بلا بِطْنَةٍ ويا بنَ الفتى الحاسرِ الأنْزَعِ

ويا غُصْنَ "هاشِمَ" لم يَنْفَتِحْ بأزْهَرَ منكَ ولم يُفْرِعِ

بعد ذلك يأتي نداء الشاعر الجواهري بتكرار أسلوب النداء المباشر برؤى فكرية ووعي عميق ليكسو نصَّه الشعري بدلالات تجسد نسب الأمام الحسين (عليه السلام) وحسبه الشريف الذي نبع منه وهذه حقائق لا تُخفى ، إذ إن الأمام الحسين خرج من رحم النبوة والامامة ، وهذا النسب الذي يبطل كل ادعاءات العدو لإنكارهم نسب الأمام

فهو ابن سيدة نساء العالمين وبنت رسول الله وابن أمير المؤمنين وصي رسول الله وخليفته الذي لُقب بـ(الأنزع البطين) منزوع من الشرك بطينٌ من العلم والمعرفة ، و(ياغصن هاشم) فأنتَ غصنٌ من ذلك النسل الطاهر الذي أذهبَ الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فالأمام الحسين استمد قواه واستلهم إيمانه من جده وأبيه وأمه فأسس للحقِ طريقٌ وللمظلومِ حقٌ وللحريةِ منهجٌ فأصبح لها أثرٌ في نفس المتلقي لأن التأكيد على تكرار النداء هدفه التركيز على الشرف الكبير للإمام الحسين الذي يرجع إلى كنف النبوة والامامة معاً ، وهذا ما دفع بالشاعر إلى تجسيد الرمز الحسيني بفاعلية عالية من خلال تعزيز الأفكار والرؤى لتكون حاضرة في نفوس المظلومين في كل زمان ومكان.

ويا واصِلاً من نشيدِ الخُلود خِتَامَ القصيدةِ بالمطْلَعِ

يَسِيرُ الوَرَى بركابِ الزمانِ مِنْ مُسْتَقِيمٍ ومن أظْلَعِ

وأنتَ تُسَيِّرُ رَكْبَ الخلودِ ما تَسْتَجِدُّ لهُ يَتْبَعِ

نجد الشاعر في هذه الابيات وهو يتقمص الفاظ تلائم شخصية الامام وروحية المكان ، فيا سيدي يا واصلاً بين البداية والنهاية ، وأنت سرُّ هذا الوجود فأنت المطلع وأنت الخاتمة فالله عزَّ وجل بدأ الحياة بكم أهل البيت ويختمها بكم ، وتستمر الصورة الشعرية في أبيات القصيدة لتحمل في مضمارها دلالات جديدة فذكر(الورى) إشارة إلى العباد الذين يسيرون بركب الأمام الحسين (عليه السلام) في كل وقتٍ بطريق مستقيمٍ طريق للهداية والصلاح لا اعوجاج فيه .

ويبقى الشاعر في بحث دائم عن الدلالات الرمزية ليوظّفها في خطابه الشعري ليكتمل عنده المعنى المراد والذي يسعى من خلاله إلى كل من يريد أن يركب بسفينة النجاة التي قائدها الامام الحسين والسير على منهجه حتما سيلقى العزة والشموخ والإباء لأن واقعة كربلاء " عبرتْ عن المستوى العالي والمقام الرفيع والقيم الرسالية والإنسانية لهذه الواقعة والتي سمت في مضامينها ومعانيها بالدور الذي جسده سيد الشهداء (عليه السلام) من موقعه كأمام معصوم تهيأ لوظيفة تكريس المنهج وتثبيت دعائم الثورات التغييرية في أقصى تجلياتها وتضحياتها " (صفي الدين ، هاشم ، 2016 ، ص73) ، فالحسين رمزاً لكل ثورة تريد أن يُكتب لها الخلود وهي تقف ضد الظالمين لنصرة المظلومين وهذا ما قاله الأمام الحسين في يوم عاشوراء حينما قال " والله لا اعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقرُّ لكم إقرار العبيد " (الخطيب ، علاء ، 2012 ، ص12) ، فالأمام الحسين سلك طريق الحق ليبقى هذا الطريق صورة ناصعة نابضة للدفاع عن الحقوق المسلوبة وأيقاظ شعور المظلومين .

تَمَثَّلْتُ يومَكَ في خاطِرِي ورَدَّدْتُ صوتَكَ في مَسْمَعِي

وَمَحَّصْتُ أمْرَكَ لم أرْتَهِبْ بِنَقْلِ " الرُّوَاةِ " ولم أُخْدَعِ

وقُلْتُ: لعـلَّ دَوِيَّ السنين بأصداءِ حادثِكَ المُفْجِعِ

وَمَا رَتَّلَ المخْلِصُونَ الدُّعَاةُ من " مُرْسِلِينَ " ومنْ "سُجَّعِ"

لقد صوّر الجواهري في أبياتهِ هذه التي حملتْ معنىً جديداً ورمزية تحمل بين طياتها دلالات متعددة ليبين لنا الشاعر حقيقة ذلك اليوم (يوم العاشر من محرم) ومحاولة استكشاف حقائقه ، فهو يومٌ طالما تمثل بهواجس الشاعر باحثاً عن الحقيقة وتفاصيلها والوصول إلى ذلك الصوت الذي صدح بالحق وتوهج بالإيمان ، وما جرى بذلك اليوم من ألمٍ وحزنٍ وقتل وحرقٍ عالقا في أذهانه وخياله ، ولم يتهاون في تردده في كل حين لإيقاظ الشعور بتلك الفاجعة الأليمة والتعريف بالنهج الحسيني دون خوفٍ أو وجل واستدلاله بنفسه بالتمحيص دون خداع الرواة وهذا ما أراده الشاعر بمعرفة الأحداث ليصل إلى الحقيقة لأن " الهدف الذ أختاره الامام الحسين (عليه السلام) صالح للبقاء والاستمرار في كل زمانٍ ومكانٍ ، وهذا هو معنى التجديد الذاتي والانبعاث الدائم والحيوية الابدية لهذا النمط الثوري والتغيري " (صفي الدين ، هاشم ، 2016 ، ص77)

ومِنْ "ناثراتٍ" عليكَ المساءَ والصُّبْحَ بالشَّعْرِ والأدْمُعِ

لعلَّ السياسةَ فيما جَنَتْ على لاصِقٍ بِكَ أو مُدَّعِي

وتشريدَهَا كُلَّ مَنْ يَدَّلي بِحَبْلٍ لأهْلِيكَ أو مَقْطَعِ

لعلَّ لِذاكَ و"كَوْنِ" الشَّجِيّ وَلُوعَاً بكُلِّ شَجٍ مُوْلـعِ

فالشاعر وظّف في قصيدته رموزاً تدل على عمق التفكير، ومليئة بالدلالات المتنوعة والقيمة الغنية بالمعاني ، فاستخدم (ناثرات) للتعبير عن واقع الحزن وهول المصيبة لقد ترك استشهاد الأمام الحسين عند أهل بيته ومحبيه لوعة وحزناً لا يفارقهم في المساء ولا في الصباح كونه قائداً ثائرا ضد الظلم والفساد وقوى الطغيان ، فهناك من السياسات الحاكمة تريد ان تقتل وتعذب وتسجن كلَّ من بقى من أهل بيت الامام الحسين ، وكذلك تلاحق كلَّ تابعٍ له ، وكل من يجعل الامام الحسين منهاجاً له ويرفض الذل والخنوع لأن تلك السياسات الأموية الظالمة لا تريد للنهج الحسيني أن يستمر ، ولكن الإرادة الإلهية جاءت بالعكس فاستشهاد الامام الحسين نورٌ لا ينقطع ضياءه فهو شمعة أملٍ ومصباحُ الهدى .

يداً في اصطباغِ حديثِ الحُسَيْن بلونٍ أُرِيدَ لَتهُ مُمْتـعِ

وكانتْ وَلَمّا تَزَلْ بَـرْزَةً يدُ الواثِقِ المُلْجَأ الألمعي

صَناعَاً متى ما تُرِدْ خُطَّـةً وكيفَ ومهما تُرِدْ تَصْنَعِ

فمنذ ذلك الحين وما زال حديث الامام الحسين يثير وجدان الشاعر ؛ لأنه يرى في الإمام الحسين (عليه السلام) مثله الأعلى في الدفاع عن المظلومين ، فقدّم أغلى ما عنده من أجل الحقِّ ، فهناك يداً قد زينت وجملت القضية الحسينية بأبهى صورها ، حيث أشارَ الشاعر بـ لفظة (ممتع) إشارة منه إلى أن يكون الحديث عن الأمام الحسين بـ (لون) فيه جمالية وطمأنينة للقلب ومتعة للعقل ، بعد ذلك يسترسل الشاعر الجواهري في أبياته فلفظة (برزة) اشارة منه إلى أنّ هذه اليد قادرة على بيان الحقيقة الحسينية ، فكم كان من حكام وسلاطين أرادوا أن يحرفوا واقعة الامام الحسين بكل وسيلة لكن هنالك من إناسٍ موثوق بهم إذ يتمتعون بالذكاء اعتمدوا على نفسهم في رسم تلك اللوحة الحسينة بكل صورها واهدافها وأبعادها حيث أشير لهم بـ (صناعاً) وهذه دلالة للماهر القادر على رسم صورة يوم الطف وما جرى في ذلك اليوم لتصل إلينا بهذا الشكل المؤلم ، بعد ذلك يشير بقوله (كيف ومهما ترد تصنع) أي بمعنى ان اليد التي رسمت وعملت اللوحة الحسينية ودلالتها ورموزها كانت تلك اليد الواثقة الماهرة البارزة في اتقان الحدث الحسيني دون شكٍّ او خداع لأن من نقل الاحداث وكرسها بهذه اللوحة كان مصورا مبدعا .

فالشاعر الجواهري ينظر بأن ثورة الامام الحسين هي ثورة تتسم بالقيم والمبادئ الحقة بعيدة عن التزييف والتظليل ، فمن هنا يمعن الشاعر في إزالة الشك الذي راود خياله فخاطب الامام الحسين بقوله :

ولما أَزَحْتُ طِلاءَ القُرُونِ وسِتْرَ الخِدَاعِ عَنِ المخْدَعِ

أريدُ "الحقيقةَ" في ذاتِهَا بغيرِ الطبيعةِ لم تُطْبَعِ

وجَدْتُكَ في صورةٍ لم أُرَعْ بِأَعْظَمَ منها ولا أرْوَعِ

وهنا دلالة أخرى يركن إليها الشاعر لمعرفة الحقيقة ، فبدأ بإزاحة (طلاء القرون) فيريد الشاعر هنا بـ (القرون) الازمنة او الأجيال أما (طلاء) مادة توضع على شيء لتمحيه أو تزيله فالشاعر يذكر أن كل هذه الاجيال التي مرت والأزمنة التي انقضت بدأ الشاعر بالتمحيص ليزيل ذلك الطلاء أمام مدركات عقله والكشف عن (ستر الخداع عن المخدع) لإزاحة الستار عن المخدع لتنكشفَ أمامه الحقيقة والفكرة بكل تفاصيلها و الوصول إلى الاحداث كما هي من غير إضافة أو تزويق ، فيجدها تلك الصورةَ الناصعةً أمامه التي لم يجد أعظمَ منها ولا أروع فهي صورة متكاملة لم نجدها إلا في اهل بيت النبوية صلوات الله عليهم اجمعين .

وماذا! أأرْوَعُ مِنْ أنْ يَكُون لَحْمُكَ وَقْفَاً على المِنْصَعِ

ثم يتحدث الشاعر عن صورة هي الاخرى من صور الفداء والتضحية فأشار لـ (المبضع) وهو نوع من الآلات الجارحة حيث أنّ الامام الحسين (عليه السلام) قتل وقطع جسده الطاهر بكل انواع الآلات من سيوف ورماح وسهام ونبال كأنها المطر على جسده الطاهر .

وأنْ تَتَّقِي دونَ ما تَرْتَأي ضميرَكَ بالأُسَّلِ المشْرَعِ

وأن تُطْعِمَ الموتَ خيرَ البنينَ مِنَ "الأَكْهَلِينَ" إلى الرُّضَّعِ

وخيرَ بني "الأمِّ" مِن هاشِمٍ وخيرَ بني " الأب " مِنْ تُبَّعِ

وخيرَ الصِّحابِ بخيرِ الصُّدُورِ كَانُوا وِقَاءَكُ ، والأذْرَعِ

ويستمر الشاعر بخطابه لشخصية الامام الحسين (ع) ليرسم لنا صورة يعبر من خلالها عن تلك الشجاعة التي أقتدى بها الامام الحسين وهو يتلقى الرماح المشرعة بصدره الطاهر دون وجل أو خوف ، فجعلت من نفسك درعا حصينا للعقيدة والايمان ، فلمَ يبقَ عندك من شيء تقدمه للموت من الشيخ الكبير وحتى الطفل الرضيع ، بعد ذلك يشير إلى الشاعر إلى صورة رائعة من صور الطف إلى ان جميع من قدمهم الامام الحسين للشهادة هم خير البشر من جهة الام وجهة الأب وهم من نسل بني هاشم .

أما اصحابه (عليه السلام) ، فهم خير الأصحاب وخير الانصار كما قال سيد الشهداء صلوات الله عليه وسلامه (لا أعلم أصحاباً خيراً من أصحابي ولا أهل بيتي أبرَّ ولا أوصل من أهل بيتي) ، فكانوا أصحاب الأمام الحسين مثالا للوفاء والاخلاص والتفاني للدفاع عن العقيدة والحقّ فقد لبسوا القلوب على الدروع .

وقَدَّسْتُ ذِكراكَ لم انتحِلْ ثِيَابَ التُّقَاةِ ولم أَدَّعِ

تَفَحَّمْتَ صَدْرِي ورَيْبُ الشُّكُوكِ يِضِجُّ بِجُدْرَانِهِ الأَرْبَعِ

وَرَانَ سَحَابٌ صَفِيقُ الحِجَاب عَلَيَّ مِنَ القَلَقِ المُفْزِعِ

وَهَبَّتْ رِياحٌ من الطَّيِّبَاتِ و" الطَّيِّبِينَ " ولم يُقْشَعِ

ما زالت الرؤى الشعرية تتوالد لدى الشاعر الجواهري من خلال لغته المفعمة بالرموز والدلالات التي يريد الشاعر الكشف عنها ، فالشاعر هنا يقف أمام حقيقة ثابتة وواضحة لنقل الحقيقة وتقديسها ، إذ بعد كل الشكوك التي

رافقت مخيلة الشاعر من إزاحة طلاء القرون وستر الخداع ، جاء التقديس الحقيقي للشاعر وهو يكشف الحقيقة بنفسه من دون واسطة ، ولم يلبس ثياب التقاة ولم يتظاهر بتقوى أو دين من خلال الإشارة لـ (قدستَ) وهو يمضي بتقديس الوجود الحسيني وملاحقة الحقيقة ومعرفتها مما يعزز تجسيد الحقيقة الناصعة وإزالة الشكوك والوصول إلى الدليل القاطع

إذا ما تَزَحْزَحَ عَنْ مَوْضِعٍ تَأَبَّى وعادَ إلى مَوْضِعِ

وجَازَ بِيَ الشَّكُّ فيما مَعَ " الجدودِ " إلى الشَّكِّ فيما معي

إلى أن أَقَمْتُ عَلَيْهِ الدَّلِيلَ مِنْ " مبدأٍ " بِدَمٍ مُشْبَعِ

ما زالتِ الصور الشعرية تتوالد لدى الشاعر ، لتمثل نقطة تحول في كلِّ بيت من أبيات القصيدة بفكرة لتنتج عنها فكرة أخرى ، وهنا يتحدث أن كلما تحرك عن موضع من مواضع الشك ينتقل به الدليل إلى موضع آخر لتظهر الحقيقة أمامه اكثر فأكثر ، ثم بعد ذلك يربط الشاعر الشك بين الماضي (الجدود) وصولا إلى الحاضر الذي وصل إليه الشاعر بنفسه ، فرأى الشاعر الحقيقة الناصعة للواقعة المؤلمة التي حلّت بالأمام الحسين ، والتي لا مجال للشك فيها كاشفاً عن أرادته في الوصول إلى الوجود الحسيني واظهار المخبوء ، إذ لم يتوانَ الشاعر في إزالة الضبابية المعتمة التي رافقت واقعة الطف وما جرى فيها بعيداً عن الأقلام المأجورة والمسيسة للحكومات الظالمة التي أرادت للمنهج الحسيني الاندثار وانحرافه عن طريقه الصحيح .

فمن يقف أمام القبر الشريف يلتمس الدليل الحقيقي والواضح فيشعر بالذل والهوان فينقاد طوعا خاضعا خاشعا متذللا شاعراً بعظمة وهول المصيبة.

فَنَوَّرْتَ ما اظْلَمَّ مِنْ فِكْرَتِي وقَوَّمْتَ ما اعْوَجَّ من أضْلُعِي

وآمَنْتُ إيمانَ مَنْ لا يَرَى سِوَى العَقْلِ في الشَّكِّ مِنْ مَرْجَعِ

بأنَّ (الإباءَ) ووحيَ السَّمَاءِ وفَيْضَ النُّبُوَّةِ ، مِنْ مَنْبَعِ

من هذه الصور الحسية القريبة إلى ذات الشاعر والتي من خلالها أراد إزاحة الشك وكشف الدليل الذي لا مجال فيه للنقاش ولا التردد ، يبقى صوت الشاعر صادحاً بحقيقة النهج الحسيني ؛ ليبصر عقله وينور قلبه بعد الظلمة المعتمة ، فأراد أن يقومَ ما بقى من حياته من الاعوجاج الذي رافقها فرمز لـ (الأضلع) اشارة منه السير على الطريق الصحيح من الانحراف والاعوجاج ، بعد ذلك يدلي الشاعر بمعانيه المفعمة بالقيم النبيلة لتتشكل الصورة الحسينية

بكل تجلياتها أمام المتلقي ليبوح الشاعر الجواهري بانفعالاته الوجدانية ، ليسمو بنشيده نحو كربلاء ليتمعن بالحقيقة ومجرياتها التي تحتاج إلى إيمان راسخ وعقل راجح ليلامس احساسه واقعة كربلاء بألم مرير ، ولهذا فإن الشاعر يؤمن إيماناً مطلقاً بالقضية الحسينية وترسيخ المنهج الحسيني في نفس القارئ ، ليبتعد عن كلِّ شكٍّ و ليبقى على مقربة من تلك الحقيقة لأن منبع وأصل الامام الحسين (عليه السلام) هو منبع للنبوة ومكملاً للرسالة السماوية التي جاء بها جده المصطفى المستوحاة من وحي السماء التي تجمعت فيه كل صفات الشجاعة والإباء والتفاني الذي أدى رسالته بكل اخلاص ودافع عنها بكل شجاعة ليسمع ذلك الصوت الذي رفض الذل والهوان حتى نال الشهادة .

- الاستنتاجات

1- نجح الجواهري في توظيف شخصية الإمام الحسين (ع) كرمز أدبي وفني متعدد الأبعاد في قصيدته "آمنتُ بالحسين"، مما أغنى النص بالدلالات الروحية والتاريخية والسياسية.

2- **تجلّي الرمزية في البناء الشعري** في القصيدة من خلال استخدام الرموز الطبيعية (كالنور والعطر والتراب) للتعبير عن القداسة والخلود..

3- **الأبعاد الدلالية للرمز** يمثل الإمام الحسين (ع) في القصيدة رمزًا للشجاعة والإباء والثورة ضد الظلم ويجسّد النهج الحسيني مبادئ الإصلاح والتضحية والفداء في سبيل القيم العليا..

4 - **الغاية من التوظيف الرمزي** سعى الجواهري إلى كشف الحقيقة التاريخية لواقعة كربلاء بعيدًا عن الروايات المشكوك فيها.

5- **الخصائص الفنية للقصيدة** جمعت القصيدة بين الأصالة التراثية والرؤية الحديثة في توظيف الرمز واتسمت اللغة بالجزالة وقوة التعبير، مع استخدام المحسنات البديعية والأساليب الإنشائية.

6- **تأثير الرمز في المتلقي** استطاع الجواهري إثارة المشاعر الجياشة والحزن العميق في نفس القارئ عبر تصوير مأساة كربلاء وحوّل الرمز الحسيني إلى مصدر إلهام ودافع للتغيير الاجتماعي والسياسي.

7- **الرسالة الإنسانية العالمية** تجاوزت القصيدة الحدود المذهبية والزمانية، لترفع الإمام الحسين (ع) إلى رمز عالمي للحرية والعدالة والإنسانية.

8- **الخلود والاستمرارية** أكدت القصيدة على خلود القضية الحسينية وحيويتها في الوجدان الإنساني، وارتباطها بقيم لا تموت.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

1- صفي الدين ، هاشم . (2016) . ثورة الأمام الحسين قراءة في الأبعاد والدلالات . جمعية المعارف الإسلامية . بيروت.

2- أبو علي ، نبيل . (1999) . الفرق بين الأسطورة والخرافة والتاريخ . مجلة كلية الآداب جامعة حلوان . العدد الخامس .

3- الانصاري ، محمد ابن منظور. (1997) . لسان العرب المجلد الثالث . دار الصادر ، بيروت .

4- الجواهري ، محمد .(1995) . ديوان الجواهري . ج5 . تحقيق: د. ابراهيم السامرائي . د. مهدي المخزومي ، مطبعة الأديب البغدادية .

5- الخطيب ، علاء. (2012) . صحيفة الزمان . العدد (27 نوفمبر) .

6- الخليل ، سمير. (2008) . علاقات الحضور والغياب في شعرية النص الأدبي (مقاربات نقدية) . دار الشؤون الثقافية العامة ، ط1. بغداد .

7- الزهراء ، فاطمة ، وسعيد ، محمد . (1972) .الرمزية في أدب نجيب محفوظ . بيروت . دار الطليعة .

8- السلطان ، محمد فؤاد .(2010) . الرموز التاريخية والدينية والأسطورية في شعر محمود درويش . مجلة جامعة الأقصى (سلسلة العلوم الإنسانية) . المجلد الرابع عشر . العدد الاول ، .

9- الكركي ، خالد .(1989) . الرمز التراثية العربية في الشعر العربي الحديث . دار الجيل . بيروت . ط1

10- المقرم ، عبد الرزاق . (1997) . مقتل الحسين (عليه السلام) . بيروت ط5 .

11- بحر العلوم ، محمد .(1984) . ثورة الامام الحسين وأبعادها . بيروت لبنان . ط1 .

12- سليمان ، خالد. (1987). في الشعر العربي الحر . أربد , منشورات جامعة اليرموك .

13- فتحي ، ابراهيم .(1986) . معجم المصطلحات الادبية . المؤسسة العربية للناشرين المتحدين . تونس

14- لوجستي ، ناصر .(2011) . الرمز في الشعر العربي ، عالم الكتب الحديث . أربد . الأردن . ط1

اتجاهات الأسيرات الفلسطينيات المحررات نحو تغطية الإعلام الفلسطيني لقضيتهن خلال حرب طوفان الأقصى

أنسام عبد الناصر موسى شواهنة

قسم الاتصال والإعلام الرقمي، كلية الأعمال والاتصال، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين

s12011707@stu.najah.edu

00970594246336

د. فريد عبد الفتاح أبوضهير

قسم الاتصال والإعلام الرقمي، كلية الأعمال والاتصال، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين

farid@najah.edu

00970599266612

الملخص

هدفت الدراسة إلى التعرف على اتجاهات الأسيرات الفلسطينيات المحررات نحو تغطية الإعلام الفلسطيني لقضيتهن خلال حرب طوفان الأقصى، في ظل التصعيد الإسرائيلي غير المسبوق بحق الأسرى والأسيرات بعد الحرب. واعتمد الباحثان المنهج الوصفي التحليلي، واستخدمت أداتين رئيسيتين لجمع البيانات: استبانة إلكترونية وُزعت على عينة مكونة من (110) أسيرة فلسطينية محررة، ومقابلات معمقة مع أربعة صحفيين فلسطينيين ممن خاضوا تجربة الاعتقال.

أظهرت النتائج أن الأسيرات يتابعن التغطية الإعلامية لقضيتهن بشكل كبير، إلا أنهن أبدين ملاحظات نقدية حول ضعف التغطية النوعية، واعتبرن أن الإعلام الفلسطيني يعاني من موسمية في التناول، ويفتقر إلى العمق، والتحليل المتخصص، خاصة في إبراز الجوانب الإنسانية والقانونية لقضيتهن. كما أشرن إلى وجود تحديات بنيوية تواجه وسائل الإعلام الفلسطينية، أبرزها نقص الموارد، والانقسام السياسي، وضعف التكوين المهني للصحفيين في القضايا الحقوقية كتحديات داخلية، فيما شكل الاحتلال تحديًا خارجيًا أساسيًا على التغطية.

الكلمات المفتاحية: الأسيرات الفلسطينيات، الأسيرات المحررات، التغطية الإعلامية، الإعلام الفلسطيني، حرب طوفان الأقصى.

Attitudes of Palestinian Female Ex-Prisoners of War Toward Palestinian Media Coverage of their Issue During the Al-Aqsa Deluge War

Ansam Shawahneh

Department of Communication & Digital Media, Faculty of Business & Communication, An-Najah National University, Nablus, Palestine

Dr. Farid Abudheir

Department of Communication & Digital Media, Faculty of Business & Communication, An-Najah National University, Nablus, Palestine

Abstract

This study aims to explore the attitudes of Palestinian female ex-prisoners toward Palestinian media coverage of their situation during the Al-Aqsa Deluge operation, in light of the unprecedented escalation in Israeli violations against prisoners following the operation. The study adopted a descriptive-analytical approach, employing two primary data collection tools: an electronic questionnaire distributed to a sample of 110 female ex-prisoners and in-depth interviews with four Palestinian journalists who had also experienced imprisonment.

Findings indicated that female prisoners actively followed the media coverage of their issue. However, they expressed critical observations about the poor quality of coverage, perceiving Palestinian media as suffering from a seasonal approach, lacking depth and specialized analysis, particularly in highlighting the humanitarian and legal aspects of their cause. They also pointed to structural challenges confronting Palestinian media outlets, most notably resource scarcity, political fragmentation, and insufficient professional training for journalists in human rights issues. At the same time, the occupation constituted a primary external challenge to coverage.

Keywords:

Palestinian female prisoners, Palestinian female ex-prisoners, Media coverage, Palestinian media, Al-Aqsa Deluge War.

المقدمة

يلعب الإعلام الفلسطيني دورًا محوريًا في نقل معاناة الشعب تحت الاحتلال، وتسليط الضوء على قضايا وطنية واجتماعية، أبرزها قضية الأسيرات الفلسطينيات، لما تمثله من أبعاد إنسانية وسياسية، فقد تصاعدت الانتهاكات بحقهن، خاصة بعد عملية "طوفان الأقصى" (2023)، حيث استخدمت سلطات الاحتلال الأسرى الفلسطينيين كرهائن، واستخدم مختلف أساليب التعذيب النفسي والجسدي بحق الرجال والنساء، بينهن أمهات ومسنات. وبحسب هيئة شؤون الأسرى والمحررين، بلغ عدد الأسيرات (49)، بينهن طفلة وأسيرتان حاملتان، واثنتان مصابتان بالسرطان. كما أُفرج عن (142) أسيرة في صفقات تبادل الأسرى، بينما ترفض سلطات الاحتلال شمول أسيرتين من الداخل المحتل في أي صفقة (في يوم المرأة العالمي، 2025).

ورغم كثافة التغطية الإعلامية العامة لقضايا الأسرى (صعايدة، 2023)، إلا أن الحضور الإعلامي لقضية الأسيرات مجال لم يتم البحث فيه. لذا، هدف الباحثان من هذه الدراسة إلى قياس اتجاهات الأسيرات المحررات نحو تغطية الإعلام الفلسطيني لقضيتهن، باعتبارها قضية سياسية وإنسانية عادلة.

مشكلة الدراسة وأسئلتها

يُفترض أن يشكّل الإعلام أداة مهمة في نقل معاناة الناس، ومن ذلك الأسرى والأسيرات في سجون الاحتلال الإسرائيلي. كما يتحمل الإعلام وظيفة تسليط الضوء على الانتهاكات التي يتعرض لها هؤلاء، فضلاً عن دوره في حشد الرأي العام والمطالبة بإنهاء معاناتهم. وتُثار تساؤلات عدّة حول مدى كفاية وفعالية التغطية الإعلامية الفلسطينية لهذه لقضية الأسيرات بشكل خاص، لا سيما في ظل التصعيد الذي رافق عملية طوفان الأقصى والإجراءات الانتقامية التي طالت الأسرى والأسيرات.

من هنا، جاءت هذه الدراسة لاستقصاء اتجاهات الأسيرات الفلسطينيات المحررات نحو تغطية الإعلام الفلسطيني لقضيتهن، بهدف تقييم حجم هذه التغطية وشمولها للأبعاد القانونية والإنسانية والاجتماعية، وتحديد أوجه القصور فيها من وجهة نظر الأسيرات المحررات. كما تسعى إلى تقديم مقترحات لتطوير دور الإعلام في دعم قضيتهن، انطلاقًا من رؤيتهن المباشرة وارتباطهن الوثيق بواقع التجربة الاعتقالية.

مما سبق، تتمثّل مشكلة الدراسة بالسؤال الرئيسي التالي: ما اتجاهات الأسيرات المحررات نحو تغطية الإعلام الفلسطيني لقضيتهن خلال حرب طوفان الأقصى؟

ويتفرع من هذا السؤال الرئيس عدة أسئلة فرعية وهي:

1. ما مدى متابعة الأسيرات المحررات للتغطية الإعلامية لقضيتهن؟
2. ما مدى اهتمام الإعلام الفلسطيني بتغطية قضية الأسيرات من وجهة نظر الأسيرات المحررات؟
3. ما تقييم الأسيرات المحرّرات لتغطية الإعلام الفلسطيني لقضيتهن؟
4. ما مدى إسهام وسائل الإعلام الفلسطينية في معالجة قضية الأسيرات من وجهة نظر المبحوثات؟
5. ما الممارسات الأفضل التي يجب أن تقوم بها وسائل الإعلام الفلسطينية لمعالجة قضية الأسيرات الفلسطينيات من وجهة نظر المبحوثات؟
6. ما التحديات التي تواجه تغطية الإعلام الفلسطيني لقضية الأسيرات من وجهة نظر المبحوثات؟

فرضيات الدراسة

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين اتجاهات الأسيرات المحررات نحو تغطية الإعلام الفلسطيني لقضيتهن خلال عملية طوفان الأقصى وبين كل من متغيرات: مكان الإقامة، العمر، مدة الاعتقال، المستوى التعليمي.

أهداف الدراسة

تهدف الدراسة إلى تحقيق الهدف الرئيس وهو التعرف على اتجاهات الأسيرات الفلسطينيات المحررات نحو تغطية الإعلام الفلسطيني لقضيتهن خلال عملية طوفان الأقصى، إضافة إلى تحقيق الأهداف الفرعية التالية:

1. التعرف على مدى متابعة الأسيرات المحررات للتغطية الإعلامية لقضيتهن.
2. معرفة مدى اهتمام الإعلام الفلسطيني بتغطية قضية الأسيرات من وجهة نظر الأسيرات المحررات.
3. معرفة تقييم الأسيرات المحرّرات لتغطية الإعلام الفلسطيني لقضيتهن.
4. التعرف على مدى إسهام وسائل الإعلام الفلسطينية في معالجة قضية الأسيرات من وجهة نظر المبحوثات.
5. معرفة الممارسات الأفضل التي يجب أن تقوم بها وسائل الإعلام الفلسطينية لمعالجة قضية الأسيرات الفلسطينيات من وجهة نظر المبحوثات.
6. التعرف إلى التحديات التي تواجه تغطية الإعلام الفلسطيني لقضية الأسيرات من وجهة نظر المبحوثات.

أهمية الدراسة

تكتسب هذه الدراسة أهميتها من تركيزها على قضية لم تحظَ بتناول علمي كافٍ (في حدود اطلاع الباحثين)، وهي اتجاهات الأسيرات الفلسطينيات المحررات نحو التغطية الإعلامية لقضيتهن، في ظل غياب دراسات متخصصة تناولت هذا الجانب تحديدًا. وتنبع الأهمية النظرية للدراسة من معالجتها لهذه القضية المغيّبة في الأدبيات الإعلامية، الأمر الذي يُسهم في سد فجوة معرفية في مجال الإعلام وحقوق الإنسان، بل وفي مجال الدراسات النسوية في السياق الفلسطيني. كما تقدم الدراسة قراءة نقدية لدور الإعلام الفلسطيني في تمثيل قضية الأسيرات، وتكشف كيف يُعاد إنتاج الخطاب الإعلامي تجاه معاناة النساء الأسيرات في ظل الاحتلال، الأمر يمنحها قيمة فكرية ومعرفية مضافة. أما على المستوى التطبيقي، فالدراسة توفر تقييمًا ميدانيًا لأداء الإعلام الفلسطيني من خلال شهادات الأسيرات المحررات، الأمر الذي يتيح تقديم مقترحات عملية لتحسين أدائه تجاه قضيتهن. كما تسهم النتائج في توجيه الإعلام نحو تبني تغطية وخطاب أكثر مهنية وإنسانية، قادر على التأثير في الرأي العام المحلي والدولي. وتُعدّ مخرجات الدراسة أداة يمكن البناء عليها في أبحاث لاحقة، لتطوير فهم أعمق للعلاقة بين الإعلام والقضايا الحقوقية في السياقات الاستعمارية.

مصطلحات الدراسة:

الأسيرات الفلسطينيات: عُرّفت الأسيرة الفلسطينية بأنها "من اعتقلتها السلطات الإسرائيلية نتيجة مقاومتها للاحتلال على خلفية سياسية أو تنظيمية أو أمنية أو عسكرية" (لافي، 2005).

التغطية الإعلامية الفلسطينية: "هي مجموعة الأنشطة والعمليات التي تقوم بها وسائل الإعلام الفلسطينية بمختلف أنواعها (المطبوعة، المرئية، المسموعة، والرقمية) بهدف نقل الأحداث، الأخبار، والمعلومات المتعلقة بالقضية الفلسطينية، وتشكيل الرأي

العام حولها، سواء داخل الأراضي الفلسطينية أو في الشتات. وتشمل هذه الأنشطة إنتاج ونشر المحتوى الإعلامي، إجراء المقابلات، إعداد التقارير، وتحليل الأحداث" (مؤمن، 2023).

عملية طوفان الأقصى: عملية شنتها حركة حماس في قطاع غزة على إسرائيل فجر يوم السبت (7 أكتوبر/تشرين الأول 2023)، وشملت هجومًا بريًا وبحريًا وجويًا وتسللًا للمقاومين إلى عدة مستوطنات في غلاف غزة ("طوفان الأقصى".. أكبر هجوم، 2023).

حدود الدراسة

الحد المكاني: فلسطين.

الحد الزماني: النصف الأول من العام (2025).

الحد البشري: الأسيرات الفلسطينيات المحررات في الضفة الغربية.

الإطار النظري

ترتكز هذه الدراسة على إطار نظري مزدوج يجمع بين نظرية المسؤولية الاجتماعية للإعلام (Social Responsibility Theory) ونظرية وضع الأجندة (Agenda-Setting Theory)، لتحليل أداء الإعلام الفلسطيني في تغطية قضية الأسيرات الفلسطينيات المحررات خلال عملية طوفان الأقصى.

نظرية المسؤولية الاجتماعية للإعلام

ظهرت هذه النظرية في الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية استجابةً لاحتكار وسائل الإعلام من قبل قلة من الملاك، مما أثّر على جودة الأداء المهني. وتفترض هذه النظرية أن حرية الإعلام ينبغي أن تقترن بالمسؤولية الأخلاقية والاجتماعية تجاه المجتمع (عبد المجيد، 2013). وتؤكد النظرية أن على وسائل الإعلام الالتزام بمعايير مهنية وأخلاقية، مثل الصدق، والتوازن، والموضوعية، بهدف خدمة الصالح العام وضمان حق المجتمع في المعرفة.

ويرى الباحثان أن هذه النظرية ملائمة لموضوع البحث، حيث تبحث في مدى التزام الإعلام الفلسطيني بمسؤوليته الاجتماعية في تغطية قضية الأسيرات من خلال إبراز معاناتهن، وتوثيق الانتهاكات بحقهن، والمساهمة في تعزيز وعي الجمهور وتضامنه، مع تجنب التشويه أو الإهمال الإعلامي.

نظرية وضع الأجندة

تنطلق هذه النظرية من فرضية أن وسائل الإعلام لا تُخبر الجمهور بما يفكر، بل تُخبره بما يجب أن يفكر فيه، من خلال إبراز بعض القضايا وتهميش أخرى (أبو زيد، 2018، ص125). وتحدد النظرية ثلاثة مستويات: تحديد القضايا، تحديد سماتها، وتحديد العلاقات بينها.

وتُسهم هذه النظرية في هذه الدراسة في تحليل مكانة قضية الأسيرات على سُلّم أولويات الإعلام الفلسطيني أثناء طوفان الأقصى، ومدى تركيز التغطية على معاناتهن، والأساليب المستخدمة في تقديم قصصهن، وبالتالي دوره في التأثير في وعي الجمهور واتجاهاته.

إن الجمع بين هاتين النظريتين يُتيح لنا تحديد رؤية تحليلية مزدوجة، هي الرؤية الأخلاقية–المهنية عبر نظرية المسؤولية الاجتماعية، والرؤية الاتصالية–التأثيرية عبر نظرية وضع الأجندة، مما يُسهم في تقييم موضوعي وواعٍ لأداء الإعلام الفلسطيني تجاه قضية حساسة وإنسانية في الواقع الفلسطيني.

الدراسات السابقة

تنوعت الدراسات العربية والأجنبية في تناولها للجوانب المتعددة لقضايا الأسرى بشكل عام، والأسرى الفلسطينيين بشكل خاص. فقد هدفت دراسة (Awad, 2020) التي جاءت بعنوان "تحليل تغطية الصحافة الإسرائيلية لإضرابات الأسرى الفلسطينيين عن الطعام" إلى تحليل محتوى (697) مادة صحفية إسرائيلية منشورة بين عامي (2012–2017)، مستخدمة منهج تحليل المضمون. وأظهرت النتائج أن الخطاب الإعلامي الإسرائيلي كان منحازًا بشكل كبير، وركّز على الجانب الأمني وشيطنة الأسرى، مع تجاهل شبه تام للمنظور الإنساني والحقوقي. وجاءت دراسة حماد (2022) لتحليل الصورة الذهنية للأسرى الفلسطينيين كما تعكسها الصحف المحلية الفلسطينية الثلاث (القدس، الحياة الجديدة، وفلسطين)، خلال الفترة من سبتمبر إلى ديسمبر (2021)، مستخدمة منهج تحليل المضمون. وأظهرت النتائج أن صحيفة "فلسطين" جاءت في المرتبة الأولى من حيث التغطية، وأن الصحف اعتمدت بدرجة كبيرة على الاستمالات العاطفية والمصادر الصحفية الداخلية، مع قلة في استخدام الصور والعناصر البصرية. في حين تناولت دراسة عوايص وآخرون (2022) مضمون التغطية الإعلامية لقضية الأسرى في فضائيتي "الأقصى" و"فلسطين"، وأظهرت النتائج أن الإعلام الفضائي الفلسطيني اعتمد على تغطية تقليدية موسمية، اتسمت بالسطحية وغياب التجديد، مع طغيان الكم على النوع، وانخفاض في مستوى المهنية والابتكار. أما دراسة (Awais & Ahmed, 2022) التي جاءت بعنوان "الإعلام الفضائي الفلسطيني في خدمة الأسرى" فقد استخدمت تحليل المضمون لقياس التزام الإعلام الفضائي الفلسطيني في نقل صوت الأسرى وتسليط الضوء على معاناتهم خلال عام (2021). وأظهرت النتائج أن الإعلام ركز على البُعد الإنساني، لكنه افتقر للاستمرارية والعمق اللازمين لتحقيق تأثير فعّال ومستدام. وفي دراسة صعايدة (2023) تم تحليل واقع التغطية الإعلامية الأجنبية لقضايا الأسرى الفلسطينيين في وسائل الإعلام الناطقة بالإنجليزية خلال عام (2021)، مستخدمة المنهج الوصفي التحليلي وأداة تحليل المضمون. وقد خلصت إلى أن الإعلام الأجنبي افتقر إلى الموضوعية، وتجاهل الرواية الفلسطينية، مع غياب واضح للاستمرارية في التغطية. بينما تناولت دراسة كوع وآخرون (2023) تغطية صفحات قنوات "الجزيرة"، "الميادين"، و"العربية" على الفيسبوك لقضية الأسرى، خلال الفترة بين أيلول (2021) وكانون الثاني (2022). وبيّنت النتائج أن قناة "الميادين" كانت الأكثر اهتمامًا بالقضية، تلتها "الجزيرة"، بينما أظهرت "العربية" موقفًا حياديًا. وقد ركزت التغطيات عمومًا على الأطر السياسية والأمنية. وهدفت دراسة عساف والسعدي (2023) إلى قياس مستوى رضا الجمهور الفلسطيني عن تغطية هيئة الإذاعة والتلفزيون لقضايا الأسرى من خلال استبيان شمل (344) مبحوثًا. وأظهرت النتائج أن مستوى الرضا كان متوسطًا، مع بروز تحديات عدة منها: ضعف تجديد الخطاب الإعلامي، وقصور الموارد، ونقص الكفاءات البشرية المتخصصة. أما دراسة بصير (2023) فقد تناولت دور الإذاعات الفلسطينية في التواصل مع الأسرى وذويهم، وشملت الدراسة سبع إذاعات فلسطينية تبث برامج متخصصة بالحركة الأسيرة. وأظهرت النتائج أن الإذاعات تقدم برامج مخصصة تُبث غالبًا في فترات مناسبة، وتحظى بتفاعل واسع من داخل وخارج فلسطين. في حين سعت دراسة (Masri, Freija & Ayyash, 2023) التي جاءت بعنوان "دور الأفلام الوثائقية الفلسطينية في تناول قضايا الأسرى" إلى تحليل (16) فيلمًا وثائقيًا، واستخدمت منهج تحليل المضمون. وتوصّلت إلى أن الوثائقيات تميزت بالتنوع في الأسلوب، لكنها في بعض الحالات افتقرت إلى الدقة الفنية والتخصص، مما يتطلب تطوير أدوات السرد الإعلامي. أما دراسة (Oyeleye & Jiang, 2023) التي جاءت بعنوان "تصوير النساء في التغطية الإعلامية للحرب الروسية الأوكرانية" فقد هدفت إلى تحليل تمثيلات النساء في

الإعلام خلال الحرب. وأظهرت النتائج أن التغطية ركزت على النساء كضحايا أو رموز وطنية، وأغفلت دورهن الفاعل في المقاومة وصنع القرار، مما ساهم في ترسيخ الصور النمطية وتقليص مساحة التمثيل العادل للنساء.

التعقيب على الدراسات السابقة:

أظهرت الدراسات السابقة اهتمامًا بتغطية الإعلام لقضية الأسرى الفلسطينيين عمومًا، دون تركيز مباشر على الأسيرات الفلسطينيات. فقد بيّنت دراسة صعايدة (2023) ضعف موضوعية الإعلام الأجنبي في تغطية قضايا الأسرى، أما دراسة عوايص وآخرون (2022)، فكشفت عن سطحية الإعلام الفضائي الفلسطيني في معالجة القضية، بينما تناولت دراسة حماد (2022) الصورة الذهنية للأسرى في الصحف المحلية، مبرزة طغيان الاستمالات العاطفية. ورصدت دراسة كوع وآخرون (2023) تغطية الفضائيات العربية للقضية، موضحة تفاوتها من حيث الكم والموقف التحريري، في حين بحثت دراسة عساف والسعدي (2023) في رضا الجمهور عن التغطية الرسمية، مشيرة إلى ضعف الإمكانات. أما دراسة بصير (2023) فأكدت أهمية البرامج الإذاعية التفاعلية في دعم الأسرى وذويهم. وتوصلت دراسة (Oyeleye & Jiang, 2023) إلى أن الإعلام خلال الحرب الروسية الأوكرانية ركز على النساء كضحايا، مغيّبًا أدوارهن الفاعلة، مما يعزز التمثيلات النمطية ويضعف تمكينهن. كما تناولت دراسة (Awais & Ahmed, 2022)أداء الإعلام الفضائي الفلسطيني في تناول قضية الأسرى، مبيّنة تركيزه على الجوانب الإنسانية، مع غياب الاستمرارية والعمق المطلوبين. وكشفت دراسة (Awad, 2020) عن انحياز الخطاب الإعلامي الإسرائيلي ضد الأسرى، وتصويرهم كخطر أمني متجاهلة أبعادهم الحقوقية. أما دراسة (Masri, Freija & Ayyash, 2023)، فقد رصدت دور الوثائقيات الفلسطينية في تسليط الضوء على القضية، لكنها أشارت إلى الحاجة لتطوير المعالجة الفنية والمضامين المتخصصة.

تنفرد هذه الدراسة بتركيزها على الأسيرات الفلسطينيات المحررات كمصادر رئيسية للمعلومة، وتحليل اتجاهاتهن تجاه تغطية الإعلام الفلسطيني لقضيتهن بعد عملية طوفان الأقصى، باستخدام أدوات بحث نوعية وكمية، بما يسد فجوة بحثية قائمة ويرفد المجال بتوصيات تطويرية ملموسة.

الإعلام وإدارة الأزمات والصراعات

يشكّل الإعلام أداة استراتيجية في إدارة الأزمات والصراعات، حيث لا يقتصر دوره على نقل المعلومات، بل يتعداه إلى التأثير في الرأي العام وتشكيل مواقفه، من خلال ما يعتمده من استراتيجيات تغطية (الريس، 2023). وتستند ممارساته المهنية إلى مواثيق أخلاقية أبرزها "الإعلان العالمي لأخلاقيات الصحفيين" (2019)، الذي يُلزم الصحفيين باحترام الحقيقة، وتجنب التضليل وتحريف المعلومات (الاتحاد الدولي للصحفيين، 2019).

خلال الأزمات، يضطلع الإعلام بأدوار متنوعة تشمل التحذير، التحليل، الوساطة، والمشاركة المجتمعية (أردستاني، 2020). ويستخدم في ذلك مجموعة من التكتيكات الاتصالية مثل التهديد، الإنكار، التصعيد، والدعم الإعلامي (اللبان، 2022).

الإعلام الفلسطيني في سياق الصراع

لعب الإعلام الفلسطيني دورًا محوريًا في توثيق النضال الفلسطيني ونقل الرواية الوطنية في مواجهة السردية الإسرائيلية، خصوصًا خلال الانتفاضات والحروب (Al-Rawi, 2020). وقد واجه الإعلام تحديات داخلية، مثل الانقسام السياسي وضعف البنية التحتية، ما انعكس على أدائه في تغطية الأحداث، خاصة في القضايا الإنسانية مثل الأسرى والأسيرات (أبو حطب والقيق،

2019). ورغم الجهود المبذولة، لا يزال الإعلام الفلسطيني بحاجة إلى تطوير خطاب إعلامي موحد ومهني عند تغطية القضايا الحساسة، كالاعتقالات والانتهاكات بحق الأسرى، وتحديدا النساء الأسيرات (Khamis, 2015).

الحركة الوطنية الأسيرة في فلسطين

تعود جذور الحركة الأسيرة إلى ما قبل الاحتلال الإسرائيلي، وتحديدًا إلى عهد الانتداب البريطاني (قاسم وعبد الرحيم وآخرون، 1986). ومنذ (1967)، تصاعدت الانتهاكات داخل السجون، بما في ذلك التعذيب، والعزل، وسوء المعاملة، إلى جانب استخدام "الاعتقال الإداري" دون تهمة أو محاكمة، بل وفق شبهات وتقارير سرية، ترفض جهات التحقيق أو القاضي الإفصاح عن مضمونها (أبو هلال، 2009؛ قراقع، 2000).

وبرزت قضية الأسيرات الفلسطينية كظاهرة ذات حساسية وأهمية خاصة في الواقع الفلسطيني. فالمرأة الفلسطينية شاركت بشكل فعّال في النضال الوطني، وتعرضت للاعتقال والتعذيب. وتُعد فاطمة برناوي أول أسيرة فلسطينية في الثورة المعاصرة، حيث اعتُقلت عام (1967) (تضامن، 2023). وقد خاضت الأسيرات معارك نضالية، أبرزها الإضراب عن الطعام في يونيو (1983) (الفاهوم، 1985). وتشير الإحصائيات إلى اعتقال أكثر من (17,000) فلسطينية منذ عام (1967)، واجهن خلالها أنماطًا مضاعفة من القمع الجسدي والنفسي (بدر، 2006؛ السهلي، 2017).

وقد مثّلت عملية "طوفان الأقصى" (7 أكتوبر 2023) نقطة تحول في تعامل الاحتلال مع الأسرى، حيث شُدّدت الإجراءات العقابية، مثل تقليص المياه والطعام، العزل الانفرادي، والاعتداء الجسدي داخل السجون (عملية "طوفان الأقصى": الاستراتيجية الإسرائيلية تجاه غزة، 2023). وقد اشتدت الانتهاكات بحق الأسيرات، خاصة في سجن الدامون، وشملت الحرمان من الفورة (فترات الاستراحة)، والزيارات، والاتصال بالعالم الخارجي (الاحتلال ينفذ جرائم بحق الأسرى، 2023).

وقد بلغ عدد الأسيرات في سجون الاحتلال الإسرائيلي، حتى كتابة هذه السطور، (47) أسيرة، يتعرضن لانتهاكات ممنهجة وسط صمت دولي وتراجع في الضغط الحقوقي (في يوم المرأة العالمي، 2025).

أما فيما يتعلق بدور الإعلام في تناول هذه القضية، فتُعد قضية الأسرى من أكثر الملفات حساسية في الإعلام الفلسطيني، إذ تمثل محورًا مهما من محاور الصراع مع الاحتلال (حيث تشمل هذه المحاور، إضافة للأسرى: الأرض، واللاجئين، والقدس). وقد بيّنت الدراسات أن تناول وسائل الإعلام لهذه القضية يتّسم بالموسمية، حيث يزداد الاهتمام خلال الأزمات والمواجهات، ويتراجع بعدها (أبو قوطة، 2018)، الأمر الذي يستدعي وضع استراتيجية إعلامية متكاملة تضمن استمرارية التغطية، ورفع مستوى التوثيق والانخراط المجتمعي بهذه القضية (فروانة، 2019).

منهجية الدراسة وأدواتها

اعتمد الباحثان في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، الذي يُعنى بوصف الظواهر كما هي وتحليلها تفسيرياً لفهم أبعادها ومكوناتها (العبسي، 2010، ص125). وتُعد هذه المقاربة المنهجية ملائمة لطبيعة البحث، الذي يسعى إلى استكشاف اتجاهات الأسيرات الفلسطينيات المحررات نحو تغطية الإعلام الفلسطيني لقضيتهن خلال عملية طوفان الأقصى.

ولتحقيق ذلك، تم توظيف أدوات بحثية مزدوجة تجمع بين الأسلوب الكمي (الاستبيان) لرصد الاتجاهات العامة، والأسلوب النوعي (المقابلات المعمقة) لاستكشاف الخلفيات التفسيرية لهذه الاتجاهات. هذا التكامل بين البيانات الكمية والنوعية يتيح فهماً مركباً للعلاقة بين الإعلام وقضية الأسيرات، ويعزز من إمكانية تقديم توصيات عملية قابلة للتنفيذ.

وقد اعتمدت الدراسة على أداتين رئيسيتين: الاستبيان الإلكتروني الموجه للأسيرات الفلسطينيات المحررات، والمقابلات المعمقة مع صحفيين وأسرى محررين. ويهدف الجمع بين هاتين الأداتين إلى تحقيق التكامل بين المنهجين الكمي والنوعي، بما يوفر تصورًا شاملًا لاتجاهات الأسيرات من جهة، ورؤى الفاعلين الإعلاميين من جهة أخرى تجاه تغطية قضية الأسيرات خلال وبعد طوفان الأقصى.

وقد تم توزيع الاستبيان الكترونيا على عينة الدراسة من الأسيرات المحررات. أما المقابلات المعمقة، فقد أُجريت مع أربعة صحفيين فلسطينيين أسرى محررين، جمعوا بين الخبرة الإعلامية والتجربة الاعتقالية. وتناولت تجاربهم في التغطية الإعلامية لهذه القضية، وأولويات الإعلام الفلسطيني، والتحديات المهنية والسياسية في معالجة قضية الأسرى والأسيرات. وتم تحليل البيانات باستخدام المنهج الموضوعي (Thematic Analysis).

مجتمع الدراسة وعينتها

تمثّل مجتمع الدراسة بجميع الأسيرات الفلسطينيات المحررات من سجون الاحتلال الإسرائيلي خلال عملية طوفان الأقصى، والبالغ (142) أسيرة. وتم توزيع الاستبيان إلكترونيًا على عينة من (120 أسيرة فلسطينية محررة) ممن تحررن خلال حرب طوفان الأقصى، وذلك باستخدام المسح الشامل، حيث تم استثناء (20) أسيرة من الداخل المحتل وغزة بسبب الوضع الأمني وصعوبة الوصول إليهن، وتم استرداد (110 استبيانات صالحة للتحليل الإحصائي) بنسبة استجابة بلغت (91.6%)، وهي نسبة عالية ومناسبة للتحليل.

تحليل المتغيرات الديموغرافية للدراسة (النسب المئوية والتكرارات)

جدول (1): توزيع عينة الدراسة بحسب متغيرات الدراسة المستقلة (ن=110)

المتغير	المستوى	التكرار	النسبة المئوية %
الفئة العمرية	أقل من 25 سنة	34	%30.9
	من 25 – أقل من 35 سنة	48	%43.6
	من 35 – أقل من 45 سنة	18	%16.4
	45 سنة فأكثر	10	%9.1
	المجموع	**110**	**%100**
مكان الإقامة/المحافظة	الخليل	22	%20.0
	نابلس	18	%16.4
	قلقيلية	4	%3.6
	طولكرم	4	%3.6
	أريحا والأغوار	4	%3.6
	جنين	6	%5.5
	طوباس	0	0
	بيت لحم	10	%9.1
	القدس	16	%14.5

المتغير	المستوى	التكرار	النسبة المئوية %
	رام الله والبيرة	26	%23.6
	سلفيت	0	0
	المجموع	**110**	**%100**
مدة الاعتقال	أقل من سنة	62	%56.4
	من سنة – أقل من 5 سنوات	40	%36.4
	من 5- أقل من عشر سنوات	8	%7.3
	من 10 سنوات فأكثر	0	0
	المجموع	**110**	**%100**
المستوى التعليمي	ثانوي أو أقل	20	%18.2
	دبلوم	12	%10.9
	بكالوريوس	66	%60.0
	دراسات عليا	12	%10.9
	المجموع	**110**	**%100**
الحالة الاجتماعية	عزباء	66	%60.0
	متزوجة	38	%34.5
	مطلقة	4	%3.6
	أرملة	2	%1.8
	المجموع	**110**	**%100**

يتضح من الجدول (1) الأمور التالية:

1. فيما يتعلق بمتغير الفئة العمرية، كانت النسبة الأكبر من (25 إلى أقل من 35 سنة)، حيث وصلت نسبتهم إلى (43.6%) من العينة، تلتها الفئة العمرية (أقل من 25 سنة) بنسبة (30.9%)، وتلتها الفئة (من 35 إلى أقل من 45) سنة بنسبة (16.4%)، وأقلها كانت الفئة العمرية (من 45 سنة فأكثر) بنسبة (9.1%) من عينة الدراسة.
2. أما فيما يتعلق بمتغير مكان الإقامة، فكانت النسبة الأكبر من العينة من مدينة رام الله والبيرة، حيث بلغت (23.6%)، تلتها مدينة نابلس بنسبة (20%)، ثم مدينة القدس بنسبة (14.5%)، ثم مدينة بيت لحم بنسبة (9.1%)، ثم مدينة جنين بنسبة (5.5%). وكانت مدن قلقيلية وطولكرم وأريحا والأغوار نسبتهم متساوية، حيث بلغت (3.6%)، فيما كانت النسبة صفر في محافظتي طوباس وسلفيت.
3. أما فيما يتعلق بمتغير مدة الاعتقال، فكانت النسبة الأكبر من العينة ممن قضوا أقل من سنة، حيث بلغت (56.4%)، تلتها من (1 إلى أقل من 5) سنوات بنسبة (36.4%)، وأقلها كان من (5-أقل من 10 سنوات) بنسبة (7.3%).

4. أما فيما يتعلق بمتغير المستوى التعليمي، فكانت النسبة الأكبر من العينة ممن يحملن درجة البكالوريوس بنسبة (60%)، تلتها نسبة مستوى ثانوي فأقل، حيث بلغت (18.2%)، ثم جاء الدبلوم والدراسات العليا بمستوى هو الأقل، وبنسبة متساوية لكل منهما (10.9%)، وهي الأقل.
5. وفيما يتعلق بنتائج متغير الحالة الاجتماعية، كانت النسبة الأكبر من العينة لـ"عزباء"، حيث وصلت نسبتهم إلى (60%)، تلتها "متزوجة" بنسبة (34.5%)، ثم "مطلقة" بنسبة (3.6%)، وأقلها فئة "أرملة" بنسبة (1.8%).

عرض نتائج الدراسة

يتضمن هذا الفصل عرضاً للنتائج التي توصلت إليها الدراسة. وقد تم التحقق من الصدق الظاهري لأداة الدراسة من خلال عرضها على مجموعة من المحكمين. كما تم التحقق من ثبات الاتساق الداخلي للدرجة الكلية للأداة، باستخدام معامل كرونباخ ألفا (Cronbach's Alpha)، بعد استخراج الصدق، حيث بلغت الأداة درجة عالية من الثبات.

أولاً: نتائج المحور الأول: مدى متابعة الأسيرات المحررات للتغطية الإعلامية لقضيتهن

تم استخراج المتوسطات الحسابية، والانحرافات المعيارية، لمحور متابعة الأسيرات الفلسطينيات المحررات لتغطية الإعلام الفلسطيني لقضيتهن. وتم تحديد ثلاث فترات للفصل بين درجات المتابعة وهي (المرتفعة والمتوسطة والمنخفضة)، حيث تم حساب طول المدى وهو (5-1=4) ثم قسمته على (3) فترات (4/3=1.33) وعليه فإن طول الفترة هو (1.33) وعليه تم اعتماد التقدير التالي:

- من 1.00-2.33 منخفضة.
- من 2.34-3.67 متوسطة.
- من 3.68-5.00 مرتفعة.

جدول (2): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والتقديرات لفقرات متابعة الأسيرات الفلسطينيات المحررات لتغطية الإعلام الفلسطيني لقضيتهن (ن=110)

رقم الفقرة	نص الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	التقدير
1	أتابع التغطية الإعلامية لقضية الأسيرات	4.07	.766	مرتفعة
2	أتابع البرامج والتقارير التي تتناول قضية الأسيرات	3.69	.767	مرتفعة
3	أقرأ المقالات والأخبار التي تتناول قضية الأسيرات بشكل منتظم	3.55	.919	متوسطة
4	أشارك في النقاشات والحوارات التي تتناول قضية الأسيرات على وسائل التواصل الاجتماعي	3.11	.916	متوسطة
5	أبحث عن معلومات إضافية حول قضية الأسيرات من مصادر مختلفة	3.35	1.058	متوسطة
6	أهتم بمتابعة التغطية الإعلامية لقضية الأسيرات خلال الأحداث المهمة، مثل طوفان الأقصى	4.04	.860	مرتفعة

رقم الفقرة	نص الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	التقدير
7	أتابع التغطية الإعلامية لقضية الأسيرات لمعرفة آخر التطورات	3.87	.840	مرتفعة
8	.أشاهد الفيديوهات التي تتحدث عن قضايا الأسيرات عبر مواقع التواصل الاجتماعي	4.18	.669	مرتفعة
9	أتابع أخبار الأسيرات عبر المواقع الإخبارية الفلسطينية على الإنترنت	3.98	.828	مرتفعة
10	أحرص على متابعة البرامج التلفزيونية والإذاعية التي تتناول قضية الأسيرات	3.25	.966	متوسطة
11	أركز في متابعتي لقضية الأسيرات على الأخبار التي تتعلق بأساليب تعامل الاحتلال معهن خلال التحقيق وأساليب التعذيب	3.96	.744	مرتفعة
12	أركز في متابعتي لقضية الأسيرات على الأخبار المتعلقة بمجريات المحاكم والأحكام التي تصدر بحقهن	3.96	.942	مرتفعة
13	أتابع الأخبار التي تتعلق بمعاناة أهالي الأسرى والأسيرات وقصص صمودهم	3.95	.870	مرتفعة
14	أعتمد على وسائل الإعلام التابعة للسلطة الفلسطينية كمصدر رئيسي للمعلومات حول قضية الأسيرات	2.55	.959	متوسطة
15	أعتمد على وسائل الإعلام التابعة للمقاومة الفلسطينية كمصدر رئيسي للمعلومات حول قضية الأسيرات	3.65	1.075	متوسطة
16	أتابع البيانات والتصريحات الرسمية حول قضية الأسيرات في وسائل الإعلام الفلسطينية	3.36	1.025	متوسطة
17	أتابع البيانات والتصريحات الصادرة عن مكتب إعلام الأسرى حول قضية الأسيرات في وسائل الإعلام الفلسطينية	3.58	1.031	متوسطة
18	أتابع شهادات الأسيرات حول معاناتهن على مواقع التواصل الاجتماعي	4.24	.793	مرتفعة
19	أتابع تعليقات الناس على شهادات الأسيرات حول معاناتهن على مواقع التواصل الاجتماعي	3.22	1.117	متوسطة
20	أركز في متابعتي لقضية الأسيرات على الأخبار التي تتعلق بأساليب تعامل الاحتلال معهن خلال عملية الاعتقال	4.11	.809	مرتفعة
الدرجة الكلية		**3.6835**	**0.8977**	**مرتفعة**

يُظهر الجدول (2) إلى أن الدرجة الكلية لإجابات الأسيرات (عينة الدراسة) على فقرات متابعتهن لتغطية الإعلام الفلسطيني لقضيتهن كانت مرتفعة (بمتوسط حسابي 3.68). وقد أظهرت النتائج تبايناً في مستويات متابعة الأسيرات المحررات للتغطية الإعلامية لقضيتهن، حيث تراوحت التقديرات بين المتوسطة والمرتفعة. فقد أظهرت الفقرات الأعلى تقييمًا اهتمامًا واضحًا بالمضامين ذات الطابع الإنساني والتوثيقي، كمتابعة أخبار الأسيرات خلال "طوفان الأقصى"، وأساليب التعذيب والتحقيق، وتوثيق الشهادات على مواقع التواصل. في المقابل، حصلت الفقرات المرتبطة بالمتابعة الروتينية أو الاعتماد على الإعلام الرسمي على تقديرات متوسطة، ما يعكس فجوة في التفاعل. وتشير النتائج إلى أن نوعية المحتوى، لا سيما حين يكون مرتبطًا بالحدث الطارئ والمعاناة الواقعية، والتي تُعد عاملًا حاسمًا في تعزيز اهتمام الأسيرات، بما يستدعي من الإعلام الفلسطيني تطوير خطاب إنساني توثيقي أكثر تأثيرًا واستمرارية.

وتُظهر نتائج المقابلات توافقًا واضحًا مع هذا المستوى المرتفع من المتابعة. فقد أشار الصحفي محمد منى (مقابلة شخصية، 28 مايو 2025)، وهو أسير محرر، إلى أن "الأسير يكون بعد الإفراج عنه في حالة بحث دائم عن أي معلومة توثّق معاناته أو تبرر نضاله"، مؤكدًا أن الأسيرات المحررات يتابعن التغطية الإعلامية بدافع شخصي قوي. كما أشار الصحفي نواف العامر (مقابلة شخصية، 28 مايو 2025) إلى أن هذا التفاعل العالي مع الإعلام الرقمي يعكس تعطشًا معرفيًا لدى الأسيرات المحررات، خاصة في ظل تغييب أصواتهن أثناء الأسر. هذا التوافق يعزز أهمية الاستجابة الإعلامية لهذا الاهتمام، عبر إنتاج محتوى نوعي يلبّي تطلعات هذه الفئة الحساسة.

ثانياً: النتائج المتعلقة بالمحور الثاني: مدى اهتمام الإعلام الفلسطيني بتغطية قضية الأسيرات من وجهة نظر الأسيرات المحررات

جدول (4): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والتقديرات لمدى اهتمام الإعلام الفلسطيني بتغطية قضية الأسيرات من وجهة نظر الأسيرات المحررات ن (ن=110)

رقم الفقرة	نص الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	التقدير
1	الإعلام الفلسطيني يولي اهتمامًا لتغطية قضية الأسيرات خلال طوفان الأقصى	2.82	.722	متوسطة
2	الإعلام الفلسطيني يخصص مساحة لتغطية قضية الأسيرات في برامجه وتقاريره	2.56	.788	متوسطة
3	الإعلام الفلسطيني يتابع تطورات قضية الأسيرات في مناسبات أو أحداث معينة	3.20	.755	متوسطة
4	الإعلام الفلسطيني يسلط الضوء على معاناة الأسيرات في سجون الاحتلال	2.62	.757	متوسطة
5	الإعلام الفلسطيني يستضيف الأسيرات المحررات في برامجه وتقاريره	2.58	.854	متوسطة
6	الإعلام الفلسطيني يغطي معاناة أسر الأسيرات	2.51	.836	متوسطة
7	الإعلام الفلسطيني يستخدم لغة واضحة في تغطية أخبار الأسيرات	3.04	.769	متوسطة

رقم الفقرة	نص الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	التقدير
8	الإعلام الفلسطيني يحرص على إيصال صوت الأسيرات إلى العالم	2.60	.784	متوسطة
9	الإعلام الفلسطيني يقدم تحليلات معمقة لقضية الأسيرات	2.11	.936	منخفضة
10	الإعلام الفلسطيني يحرص على إبراز قضية الأسيرات كقضية إنسانية	3.07	.858	متوسطة
11	الإعلام الفلسطيني يغطي الجانب القانوني من قضية الأسيرات من محاكم وانتهاكات وغيرها	3.02	1.027	متوسطة
12	الإعلام الفلسطيني يولي اهتمامًا خاصًا بقضية الأسيرات نظرًا لخصوصية وضعهن مقارنة بالأسرى	2.65	1.004	متوسطة
13	الإعلام الفلسطيني يستخدم لغة مؤثرة في تغطية أخبار الأسيرات	2.93	.836	متوسطة
	الدرجة الكلية	**2.746923**	**0.840462**	**متوسطة**

يتضح من نتائج الجدول (4) أن الدرجة الكلية لإجابات المبحوثات على فقرات مدى اهتمام الإعلام الفلسطيني بتغطية قضيتهن من وجهة نظرهن كانت متوسطة (بمتوسط حسابي 2.74). وقد تراوحت نتائج الفقرات بين (2.11) و(3.20)، إذ لم تُسجل أي فقرة تقييمًا مرتفعًا، مما يشير إلى غياب الاهتمام الإعلامي الكافي أو النوعي من وجهة نظر المبحوثات. وقد برز التقدير المنخفض في الفقرة (9) حول "التحليلات المعمقة"، حيث سجلت (2.11)، وهو ما يعكس افتقار التغطية للبعد التحليلي وتأكيد وعي نقدي لدى الأسيرات بين التغطية العامة والمتخصصة.

أما بقية الفقرات فجاءت بتقديرات متوسطة، تناولت موضوعات مثل تغطية تطورات "طوفان الأقصى"، معاناة الأسيرات وذويهن، أو استخدام لغة واضحة، مما يدل على وجود تغطية إعلامية غير ممنهجة أو موسمية. كما كشفت النتائج عن قصور في بناء خطاب إعلامي خاص بالأسيرات، وغياب التأثير في الرأي العام المحلي والدولي، وهو ما يعكس فجوة حقيقية في التناول الإعلامي للقضية من حيث العمق والاستمرارية.

تؤكد نتائج المقابلات هذا التقييم المنخفض، حيث وصف الصحفي أمين أبو وردة (مقابلة شخصية، 23 مايو 2025) الاهتمام الإعلامي بقضية الأسيرات بأنه "موسمي ومحدود"، مشيرًا إلى غياب استراتيجية تغطية متكاملة. وذهب الصحفي محمد منى إلى أن التغطية الإعلامية لا تعكس حجم معاناة الأسيرات، بل تفتقر في كثير من الأحيان للجانب الإنساني والتوثيقي. كما أشار الصحفي أحمد البيتاوي (مقابلة شخصية، 26 مايو 2025) إلى أن الزخم الإعلامي يتراجع خارج لحظات التوتر أو التصعيد، ما يخلق فجوة بين اهتمام الأسيرات العالي والمتابعة الإعلامية المحدودة، وهي فجوة تظهر جلية في هذا الجدول.

ثالثاً: النتائج المحور الثالث المتعلق بتقييم الأسيرات لمدى تغطية الإعلام الفلسطيني لقضيتهن

جدول (6): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والتقديرات لتقييم الأسيرات لمدى تغطية الإعلام الفلسطيني لقضيتهن (ن=110)

رقم الفقرة	نص الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	التقدير
1	مدى انعكاس التغطية الإعلامية لقضية الأسيرات على الواقع الذي يعشنه في سجون الاحتلال	2.60	.807	متوسطة
2	مدى شمولية التغطية الإعلامية الجوانب المختلفة لقضية الأسيرات	2.75	.751	متوسطة
3	مدى مراعاة التغطية الإعلامية لقضية الأسيرات خصوصية وضعهن كنساء	2.51	.791	متوسطة
4	أقيم مدى التزام التغطية الإعلامية لقضية الأسيرات بالمعايير المهنية والأخلاقية	2.98	.757	متوسطة
5	مدى استناد التغطية الإعلامية لقضية الأسيرات إلى مصادر موثوقة	3.18	.722	متوسطة
6	مدى استخدام التغطية الإعلامية لغة مؤثرة وواضحة في تغطيتها لقضية الأسيرات.	3.22	.738	متوسطة
7	مدى انتشار التغطية الإعلامية لقضية الأسيرات	2.47	.858	متوسطة
8	مدى تحفيز التغطية الإعلامية لقضية الأسيرات على اتخاذ إجراءات لدعم قضيتهن	2.42	.975	متوسطة
9	أقيم مدى تعبير التغطية الإعلامية لقضية الأسيرات عن صوت الأسيرات بشكل صادق	2.75	.799	متوسطة
10	أعتقد أن الإعلام الفلسطيني أولى اهتمامًا بقضية الأسيرات المحررات خلال طوفان الأقصى	2.95	.970	متوسطة
11	أقيم جودة المعلومات التي قدمتها وسائل الإعلام الفلسطينية حول وضع الأسيرات من ناحية الدقة والموثوقية	3.25	.966	متوسطة
	الدرجة الكلية	**2.825455**	**0.830364**	**متوسطة**

تشير نتائج الجدول (6) إلى أن الدرجة الكلية لإجابات الأسيرات (عينة الدراسة) على فقرات تقييمهن لمدى تغطية الإعلام الفلسطيني لقضيتهن كانت متوسطة (بمتوسط حسابي 2.82). فقد تراوحت نتائج الفقرات بين المستوى المتوسط وفوق المتوسط بشكل طفيف. وقد حصلت ثلاث فقرات فقط على تقدير مرتفع نسبيًا، وهي: جودة المعلومات (3.25)، استخدام لغة مؤثرة وواضحة (3.22)، والاعتماد على مصادر موثوقة (3.18)، ما يعكس نقاط قوة فنية ومهنية في صياغة المحتوى.

كما وجاءت معظم الفقرات الأخرى بتقديرات متوسطة، شملت: تحفيز الدعم لقضية الأسيرات (2.42)، وعكس واقع الأسيرات (2.60)، وشمولية التغطية (2.75)، والالتزام المهني (2.98)، ومراعاة الخصوصية (2.91)، وتمثيل صوت الأسيرات بصدق (2.75). كذلك أظهرت فقرتا "اهتمام الإعلام خلال طوفان الأقصى" (2.95) و"انتشار التغطية على المستوى الجماهيري" (2.47) أن الأثر الجماهيري للتغطية ما زال محدودًا.

وبالمجمل، تكشف النتائج عن فجوة بين القوة الشكلية للتغطية من جهة، وضعفها من حيث التأثير والتحفيز من جهة أخرى، مما تؤكد حاجة الإعلام الفلسطيني إلى تعزيز البعد الإنساني والتمثيلي في تغطيته لقضية الأسيرات، وتحقيق مزيد من العمق والشمولية والانتشار الفاعل.

تُعزز نتائج المقابلات هذا التقييم المتوسط لجودة التغطية. فقد أكد الصحفي نواف العامر أن "الإعلام الفلسطيني يمتلك أدوات قوية من حيث اللغة والمهنية، لكن يفتقر أحيانًا للتأثير والجرأة". بينما أشار الصحفي أحمد البيتاوي إلى أن الجانب الفني في التغطية – كالمصادر واللغة – مقبول نسبيًا، لكن ينقصه التفعيل المجتمعي والتحفيزي. أما محمد منى فقد لفت إلى أن ضعف التغطية لا يتعلق فقط بالمهنية، بل أيضًا بعدم وجود محتوى يعكس واقع الأسيرات المعاش، وهو ما يفسّر الانخفاض في فقرات مثل "تحفيز الدعم" بمتوسط حسابي (2.42).

رابعاً: النتائج المتعلقة بالمحور الرابع: مدى إسهام وسائل الإعلام الفلسطينية في معالجة قضية الأسيرات من وجهة نظر المبحوثات

جدول (8): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والتقديرات لقسم مدى إسهام وسائل الإعلام الفلسطينية في معالجة قضية الأسيرات من وجهة نظر المبحوثات (ن=110)

رقم الفقرة	نص الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	التقدير
1	مدى إسهام وسائل الإعلام الفلسطينية في تسليط الضوء على معاناة الأسيرات في سجون الاحتلال	2.84	.834	متوسطة
2	أقدر مدى مساهمة وسائل الإعلام الفلسطينية في تحقيق العدالة للأسيرات	2.36	1.078	متوسطة
3	أقدر مدى مساعدة وسائل الإعلام الفلسطينية في حشد الدعم والتضامن مع الأسيرات	2.55	.997	متوسطة
4	أسهمت وسائل الإعلام الفلسطينية في الضغط على المجتمع الدولي للتدخل في قضية الأسيرات	2.02	1.130	منخفضة
5	أرى أن وسائل الإعلام الفلسطينية قدمت تحليلات للقضايا القانونية والإنسانية المتعلقة بالأسيرات	2.45	1.119	متوسطة
6	أقيم مدى مساعدة وسائل الإعلام الفلسطينية في رفع مستوى الوعي المجتمعي بقضية الأسيرات	2.62	.991	متوسطة
7	أعتقد أن وسائل الإعلام الفلسطينية قدمت قصصًا مؤثرة للأسيرات وتجاربهن الشخصية	3.27	.804	متوسطة
8	أقيم مدى إسهام وسائل الإعلام الفلسطينية في توثيق الانتهاكات التي تتعرض لها الأسيرات	3.04	.838	متوسطة
9	أرى أن وسائل الإعلام الفلسطينية أوصلت صوت الأسيرات إلى العالم	2.42	1.212	متوسطة

رقم الفقرة	نص الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	التقدير
	الدرجة الكلية	**2.618889**	**1.000333**	**متوسطة**

يشير الجدول (8) إلى أن الدرجة الكلية لإجابات الأسيرات (عينة الدراسة) على فقرات مدى إسهام وسائل الإعلام الفلسطينية في معالجة قضيتهن من وجهة نظرهن كانت متوسطة (بمتوسط حسابي 2.61). فقد تراوحت نتائج الفقرات بين المتوسطات الحسابية (2.02) و(3.27). وقد حصلت فقرة واحدة فقط على تقدير مرتفع نسبيًا، وهي: سرد الإعلام لقصص وتجارب الأسيرات الشخصية (3.27)، ما يعكس قوة الخطاب الإنساني والسردي في التغطية.

في المقابل، سجلت فقرة "مساهمة الإعلام في الضغط على المجتمع الدولي" أدنى متوسط (2.02)، ما يشير إلى قصور واضح في البعد الدولي والحقوقي للإعلام الفلسطيني، وهي ربما المسألة الأهم بالنسبة للأسرى والأسيرات الذين يعوّلون على المجتمع الدولي في الضغط على الاحتلال الإسرائيلي لتحسين أوضاعهم الإنسانية، وتحقيق العدالة لقضاياهم. أما بقية الفقرات فقد جاءت بتقديرات متوسطة، حيث تناولت أدوارًا مثل: تسليط الضوء على المعاناة (2.84)، وتوثيق الانتهاكات (3.04)، ورفع الوعي المجتمعي (2.62)، وإيصال الصوت للعالم (2.42)، والتحليل القانوني والحقوقي (2.45).

تعكس هذه النتائج فجوة واضحة بين النجاح السردي للإعلام وعجزه عن التأثير الحقوقي أو الدولي. وعلى الرغم من تقدير الأسيرات لجودة السرد الإنساني، إلا أنهن لا يرين ترجمة فعلية لهذا السرد في مجال الضغط الدولي أو تحقيق العدالة. بالتالي، تؤكد النتائج على ضرورة تبني الإعلام الفلسطيني لخطاب أكثر استراتيجية وتأثيرًا، يوازن بين الطرح الإنساني والبعد الحقوقي الدولي، من أجل إسهام فعلي ومستدام في دعم قضية الأسيرات.

وتُعزز نتائج المقابلات مع الصحفيين هذا التقييم المتوسط والضعيف في بعض الجوانب، حيث أكد الصحفي أحمد البيتاوي أن الإعلام الفلسطيني يفتقر إلى آليات فعالة لمخاطبة الإعلام الغربي بلغة حقوقية مفهومة، مما يحدّ من قدرته على التأثير الدولي. كما أشار الصحفي محمد منى إلى ضعف الربط بين التغطية الإعلامية للقضية والسياق القانوني الدولي، وهو ما يضعف قدرة الإعلام على إحداث ضغط فعلي على المجتمع الدولي، وهي نقطة تتفق تمامًا مع تقييم الأسيرات للفقرة الخاصة بـ "الضغط على المجتمع الدولي" (2.02) و"تحقيق العدالة" (2.36).

خامساً: النتائج المتعلقة بالمحور الخامس: الأساليب الأفضل التي يجب أن تتبعها وسائل الإعلام الفلسطينية لمعالجة قضية الأسيرات الفلسطينيات من وجهة نظر المبحوثات .

جدول (10): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والتقديرات لقسم الأساليب الأفضل التي يجب أن تتبعها وسائل الإعلام الفلسطينية لمعالجة قضية الأسيرات الفلسطينيات من وجهة نظر المبحوثات (ن=110)

رقم الفقرة	نص الفقرة على وسائل الإعلام الفلسطينية:	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	التقدير
1	أن تركز على الجوانب الإنسانية لقضية الأسيرات	3.96	.981	مرتفعة
2	تقديم قصص الأسيرات وتجاربهن الشخصية بشكل مفصل	4.47	.663	مرتفعة
3	استضافة الأسيرات المحررات في برامجها وتقاريرها بشكل دائم	4.51	.791	مرتفعة
4	توفير مساحة أكبر للمختصين القانونيين والحقوقيين للحديث عن قضية الأسيرات	4.24	.881	مرتفعة
5	استخدام لغة أكثر قوة ووضوحًا في تغطية قضية الأسيرات	4.35	.673	مرتفعة
6	التعاون مع منظمات حقوق الإنسان لجمع معلومات دقيقة حول وضع الأسيرات	4.33	.818	مرتفعة
7	تنظيم حملات إعلامية للتوعية بقضية الأسيرات	4.65	.673	مرتفعة
8	استخدام وسائل التواصل الاجتماعي بشكل فعال للوصول إلى جمهور أوسع	4.65	.615	مرتفعة
9	إنتاج أفلام وثائقية وبرامج تلفزيونية خاصة بقضية الأسيرات	4.64	.620	مرتفعة
10	متابعة قضية الأسيرات بشكل مستمر وليس فقط خلال الأحداث الكبرى	4.67	.695	مرتفعة
11	الاهتمام بقضية الأسيرات وإبرازها بشكل أكبر مقارنة بقضية الأسرى مراعاة لظروفهن الخاصة كنساء	4.60	.596	مرتفعة
	الدرجة الكلية	**4.460909**	**0.727818**	**مرتفعة**

يشير الجدول (10) إلى أن الدرجة الكلية لإجابات المبحوثات على فقرات الأساليب الأفضل التي يجب أن تتبعها وسائل الإعلام الفلسطينية لمعالجة قضيتهن من وجهة نظرهن كانت مرتفعة (بمتوسط حسابي 4.46). فقد تراوحت نتائج الفقرات بين المتوسطات (3.96) و(4.67). وقد اتسمت جميع الفقرات بتقدير عالٍ، ما يعكس رؤية واضحة وموحدة لدى المبحوثات بشأن ما يجب أن تكون عليه التغطية الإعلامية الفاعلة. وهذه النتيجة تنسجم أيضا مع نتائج الجداول السابقة، والتي عبّرت عن عدم وجود رضا مرتفع لأداء الإعلام الفلسطيني تجاه قضية الأسيرات.

برزت في مقدمة الأولويات: أهمية المتابعة المستمرة لقضية الأسيرات (4.67)، وتنظيم حملات توعوية (4.65)، واستخدام فعال لوسائل التواصل الاجتماعي (4.65)، وإنتاج مواد إعلامية متخصصة كالأفلام والبرامج الوثائقية (4.64). كما أبدت الأسيرات اهتمامًا ملحوظًا بأساليب أخرى، كاستضافة الأسيرات المحررات (4.51)، وتقديم القصص الشخصية (4.47)، وإبراز الخصوصية (4.60)، والتعاون مع المنظمات الحقوقية (4.33)، وكلها بدرجة مرتفعة.

تعكس هذه النتائج وعيًا متقدمًا لدى المبحوثات بأدوات الإعلام المؤثر والمعاصر، وتؤشر إلى حاجة الإعلام الفلسطيني إلى التحول من التغطية التقليدية والموسمية نحو الاستدامة، والتخصص، والتفاعل المجتمعي والحقوقي.

ويُلاحظ أن الانحرافات المعيارية كانت منخفضة، ما يدل على درجة عالية من الاتفاق بين المبحوثات. كما أن التقديرات المرتفعة للأساليب المقترحة تؤكد —ضمنيًا— عدم رضا الأسيرات عن التغطية الإعلامية الراهنة، وتُبرز الفجوة بين الواقع والتطلعات، وهو ما يستدعي من الإعلام الفلسطيني إعادة النظر في خطابه واستراتيجيته تجاه قضية الأسيرات.

تُظهر نتائج المقابلات انسجامًا ملحوظًا مع أولويات الأسيرات، حيث دعا الصحفي محمد منى إلى تغطية مستمرة لا موسمية، واستثمار الإعلام الرقمي، وإنتاج محتوى حقوقي متنوع، وهو ما يتطابق مع تقييمات المبحوثات في الجدول (10)، خاصة الفقرات التي دعت إلى متابعة مستمرة (4.67)، واستخدام وسائل التواصل الاجتماعي (4.65)، وإنتاج أفلام وبرامج وثائقية (4.64). كما شدد الصحفي نواف العامر على أهمية تبني تغطية ذات بعد إنساني عميق واستخدام لغة قوية ومعاصرة، وهو ما انعكس كذلك في تركيز المبحوثات على تقديم القصص الإنسانية المفصلة للأسيرات (4.47).

سادساً: النتائج المتعلقة بالمحور السادس: التحديات التي تواجه تغطية الإعلام الفلسطيني لقضية الأسيرات من وجهة نظر المبحوثات

جدول (12): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والتقديرات لمحور التحديات التي تواجه تغطية الإعلام الفلسطيني لقضية الأسيرات من وجهة نظر المبحوثات (ن=110)

رقم الفقرة	نص الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	التقدير
1	أشعر أن الإعلام الفلسطيني يفتقر إلى المصادر الموثوقة التي تقدم معلومات دقيقة حول قضية الأسيرات	3.05	1.224	متوسطة
2	أعتقد أن الإعلام الفلسطيني يواجه صعوبة في الوصول إلى معلومات حديثة حول وضع الأسيرات في السجون	3.64	1.060	متوسطة
3	أرى أنه يغلب على التغطية الإعلامية لقضية الأسيرات الطابع السياسي، وتغيب عنها الجوانب الإنسانية	2.87	1.019	متوسطة
4	أشعر أن الإعلام الفلسطيني لا يحظى بالدعم الكافي من الحكومة الفلسطينية لتغطية قضية الأسيرات بشكل فعال	4.00	1.139	مرتفعة
5	أرى أن الإعلام الفلسطيني يفتقر إلى الكوادر المؤهلة لتغطية قضية الأسيرات بشكل مهني	3.25	1.142	متوسطة

رقم الفقرة	نص الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	التقدير
6	أرجح أن الإعلام الفلسطيني يواجه قيودًا كبيرة في حرية الحركة والتغطية داخل السجون	4.38	.828	مرتفعة
7	أشعر أنه لا يوجد تنسيق كاف بين وسائل الإعلام الفلسطينية لتغطية قضية الأسيرات	4.25	.799	مرتفعة
8	أرى أن الإعلام الفلسطيني لا يولي قضية الأسيرات الاهتمام الكافي مقارنة بالقضايا الأخرى	3.93	1.120	مرتفعة
9	أعتقد أن الإعلام الفلسطيني يفتقر إلى استراتيجية واضحة لتغطية قضية الأسيرات	3.98	.913	مرتفعة
10	أشعر أن الإعلام الفلسطيني لا يولي اهتمامًا كافيًا لقصص الأسيرات وتجاربهن الشخصية	3.69	.998	مرتفعة
11	وسائل الإعلام الفلسطينية تغطي في العادة الأخبار الروتينية لقضية الأسيرات الفلسطينيات في سجون الاحتلال، مثل الاعتقال، والمحاكمة، والإفراج	4.13	.924	مرتفعة
	الدرجة الكلية	**3.742727**	**1.015091**	**مرتفعة**

يكشف الجدول (12) أن الدرجة الكلية لإجابات المبحوثات على فقرات التحديات التي تواجه تغطية الإعلام الفلسطيني لقضيتهن وجهة نظرهن كانت مرتفعة (بمتوسط حسابي 3.74)، ما يدل على إدراك الأسيرات لعمق هذه العقبات. في مقدمة التحديات، برزت القيود المفروضة على حرية الحركة والتغطية داخل السجون (4.38)، باعتبارها العائق الأكبر والأكثر تأثيرًا، تلتها ضعف التنسيق بين وسائل الإعلام (4.25) وصعوبة توثيق الانتهاكات واختيار الرواية المناسبة (4.13)، مما يعكس تحديات بنيوية ومهنية تقلل من فعالية التغطية.

وأظهرت النتائج تحديات مرتبطة بضعف الدعم الحكومي (4.00)، وغياب استراتيجية إعلامية واضحة (3.98)، إلى جانب شعور الأسيرات بتراجع أولوية قضيتهن في أجندة الإعلام (3.93). كما برزت صعوبة الوصول إلى معلومات دقيقة (3.64) كتحدٍ يؤثر على دقة التغطية وواقعيتها.

إلى جانب ذلك، طُرحت تحديات بتقديرات متوسطة، أبرزها: إغفال الإعلام للجوانب الشخصية والإنسانية للأسيرات (3.69)، ونقص الكوادر الإعلامية المتخصصة (3.25)، وضعف الاعتماد على مصادر موثوقة (3.05)، وأخيرًا، ضعف التناول السياسي للقضية (2.87)، مما يحد من شمولية الطرح الإعلامي.

تشير هذه النتائج إلى أن التحديات الخارجية (كالتضييق الإسرائيلي) تتقاطع مع تحديات داخلية (مهنية ومؤسساتية)، ما يفسر الفجوة التي تدركها الأسيرات بين الإمكانات الإعلامية المتاحة ومستوى التغطية الفعلية لقضيتهن. وهذا يستدعي مراجعة استراتيجية شاملة من جانب الإعلام الفلسطيني لمعالجة هذه التحديات وتعزيز قدرته على خدمة هذه القضية الإنسانية والوطنية بفعالية أكبر.

تتوافق شهادات الصحفيين بشكل كبير مع تقييمات المبحوثات حول التحديات. فقد أكد الصحفي أمين أبو وردة أن ملاحقة الصحفيين ومنع التغطية داخل السجون يمثلان عوائق حقيقية، كما تحدث أحمد البيتاوي عن نقص تدفق المعلومات الميدانية، وهي معوقات تنعكس بوضوح في الفقرتين الأعلى تقييمًا في الجدول: "قيود التغطية داخل السجون" (4.38)، و"صعوبة الوصول إلى معلومات دقيقة" (3.64). أما على مستوى التحديات الداخلية، فقد أشار محمد منى إلى غياب الكوادر الإعلامية المتخصصة، كما أشار نواف العامر إلى غياب استراتيجية موحدة وجرأة كافية لدى وسائل الإعلام، وهو ما توافق مع فقرات مثل: "افتقار الإعلام لاستراتيجية واضحة" (3.98)، و"نقص الكوادر" (3.25)، و"ضعف التنسيق بين وسائل الإعلام" (4.25).

الإجابة على فرضيات الدراسة

للإجابة على هذه الفرضيات تم استخدام تحليل التباين الأحادي لوجود أكثر من مستويين لمكان الإقامة وكانت النتائج وفق الجدول التالي:

جدول (14): تحليل التباين One Way Anova لدراسة هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين اتجاهات الأسيرات المحررات نحو تغطية الإعلام الفلسطيني لقضيتهن خلال عملية طوفان الأقصى وبين متغير مكان الإقامة:

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف	مستوى الدلالة
مكان الإقامة	3.475	8	.434	1.851	.092
العمر	.745	3	.248	.936	.430
مدة الاعتقال	.385	2	.192	.720	.492
المستوى التعليمي	.446	3	.149	.549	.651

يتضح من الجدول (14) أن قيمة الدلالة لجميع المتغيرات كانت أكبر (0.05)، وعليه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين اتجاهات الأسيرات المحررات نحو تغطية الإعلام الفلسطيني لقضيتهن خلال عملية طوفان الأقصى وبين كل من متغير مكان الإقامة والعمر ومدة الاعتقال والمستوى التعليمي.

مناقشة النتائج

تقدم تحليل البيانات رؤى أولية وذات قيمة عالية في إلقاء الضوء على جوانب التغطية الإعلامية الفلسطينية لقضية الأسيرات. وتكتسب هذه النتائج بُعداً إضافيًا عند ربطها بالمقابلات المعمقة مع الصحفيين الأسرى المحررين (أمين أبو وردة، أحمد البيتاوي، محمد منى، ونواف العامر)، حيث تقدم هذه المقابلات منظور الخبير الذي عايش تجربتيّ الأسر والعمل الإعلامي، مما يفسر الفجوات في الأداء الإعلامي، ويؤكد النقاط المستخلصة من البيانات الكمية

أولا: مدى متابعة الأسيرات المحررات للتغطية الإعلامية لقضيتهن

كشفت النتائج أن متابعة الأسيرات المحررات للتغطية الإعلامية لقضيتهن كانت مرتفعة، بمتوسط حسابي (3.68)، مع تركيز واضح على الجوانب الإنسانية، وأساليب التعذيب، والتطورات القانونية، ما يعكس اهتمامهنّ، وحاجتهن الماسة للمعلومة،

وارتباطهن العميق بتجربتهن الشخصية. وهذا الاهتمام يفرض التزامًا أخلاقيًا على وسائل الإعلام الفلسطينية لتوفير تغطية دقيقة وشاملة، تلبي هذا الاحتياج المعرفي والنفس، وفقاً لنظرية المسؤولية الاجتماعية.

ويتقاطع هذا الاهتمام مع ما أشار إليه الصحفيون الذين أجريت معهم المقابلات. فمثلا، أكد محمد منى على أهمية المعلومة للأسير، في إشارة إلى وجود جمهور واعٍ ومستعد للتلقي.

غير أن هذا الاهتمام لا يقابله مستوى تغطية إعلامي مناسب، إذ قيّمت الأسيرات اهتمام الإعلام بقضيتهن بأنه منخفض، بمتوسط حسابي (2.74)، الأمر الذي يعكس فجوة بين توقعات الجمهور المستهدف وأداء وسائل الإعلام، ويبرز الحاجة إلى معالجة هذه الفجوة من خلال تطوير التغطية وتعميقها.

ثانيا: مدى اهتمام الإعلام الفلسطيني بتغطية قضية الأسيرات

تشير نتائج الجدول (4)، وكذلك نتائج المقابلات إلى أن اهتمام الإعلام الفلسطيني بقضية الأسرى، خاصة الأسيرات، يعاني من تراجع وتذبذب، وغالبًا ما يرتبط بالمناسبات دون استمرارية أو تخصيص (أبو وردة، 2025؛ منى، 2025). وقد انعكس ذلك بوضوح في تقييم الأسيرات المحررات، حيث صنفن هذا الاهتمام بأنه منخفض (متوسط 2.74)، رغم متابعتهن المرتفعة للتغطية الإعلامية. هذا التناقض بين درجة اهتمام المبحوثات من جهة، ودرجة اهتمام الإعلام الفلسطيني من جهة أخرى، يكشف عن ضعف شديد في قيام الإعلام بمسؤولياته تجاه هذه الشريحة من المجتمع، وعدم تلبيته لاحتياجاتها.

ويمكن تفسير هذه النتيجة استناداً إلى نظرية وضع الأجندة، حيث تهيمن الأحداث الكبرى على التغطية الإعلامية (كالحرب على غزة)، فيما تتراجع قضايا آخرى قد تعتبرها وسائل الإعلام أقل أهمية (كقضية الأسرى). وقد أكد ذلك المبحوثون في المقابلات المعمقة (البيتاوي، منى، والعامر). ويؤدي هذا النهج في التغطية الإعلامية إلى إضعاف حضور قضية الأسيرات رغم أهميتها وحساسيتها من الناحية الإنسانية والاجتماعية والنفسية. ومن منظور نظرية المسؤولية الاجتماعية، فإن هذا التراجع يمثل تقصيرًا في أداء الإعلام لدوره في مناصرة قضايا وطنية وإنسانية جوهرية.

تتسق هذه النتائج مع دراسة عوايص وآخرون (2022) التي انتقدت النمط التقليدي والروتيني للتغطية، ودراسة عساف والسعدي (2023) التي رصدت رضا متوسطًا عن أداء الإعلام الرسمي.

ثالثا: تقييم الأسيرات لتغطية الإعلام الفلسطيني لقضيتهن

رغم أن نتائج الجدول (2) أظهرت أن الأسيرات المحررات يتابعن التغطية الإعلامية لقضيتهن بدرجة مرتفعة (متوسط 3.68)، إلا أن تقييمهن لجودة هذه التغطية، كما ورد في الجدول (4)، جاء منخفضًا (متوسط 2.74). وهذا التباين لا يعكس تناقضًا عدديًا فحسب، بل يسلّط الضوء على فجوة مفاهيمية عميقة بين الحضور الكمي للتغطية، وجودتها النوعية ومدى ملامستها لتجربة الأسيرات.

فالأسيرات لا يُقيّمن الإعلام بناءً على مدى "ذكره" لهن فقط، بل على قدرته على تمثيل أصواتهن بصدق، واستحضار تفاصيل الألم والتجربة والسياق القانوني والسياسي المرتبط باعتقالهن. من هنا، فإن تدني التقييم ينبع من شعور بالإقصاء الرمزي، حيث إن ما يُقال عنهن لا يُعبر عنهن، وما يُنشر لا يرقى لمستوى المعاناة. حيث اعتبرت العديد منهن أن الإعلام يتعامل مع قضيتهن

كأخبار موسمية لا كتجارب إنسانية مستمرة، وأنه لا يخصص تغطيات معمقة أو تحليلية تشرح تداعيات الاعتقال على حياتهن، أو توثق تجربتهن من الداخل.

وفي ضوء نظرية المسؤولية الاجتماعية للإعلام، فإن هذا التقييم المنخفض يعبّر عن إخفاق في الوفاء بمبدأ "خدمة المصلحة العامة"، إذ إن قضية الأسرى – بخاصة الأسيرات – تُعد من أكثر القضايا الوطنية والإنسانية حساسية، وتغليب المعالجة الخبرية السريعة أو التناول السطحي يُعتبر تهميشًا مزدوجًا: أولًا للحدث، وثانيًا للفاعل فيه.

كما تعزز هذه النتائج ما ذهبت إليه دراسات مثل عوايص وآخرون (2022) الذين وصفوا الإعلام الفلسطيني بالسطحي والموسمي في تناول القضايا الحقوقية، ودراسة حماد (2022) التي كشفت عن اعتماد الصحف المحلية على العاطفة أكثر من التحليل أو التوثيق البصري الجاذب. إضافة إلى ما ورد في دراسة صعايدة (2023) حول تغييب الرواية الفلسطينية في الإعلام الأجنبي، والذي يوازي تغييبًا رمزيًا في الإعلام المحلي حين لا تُمنح الأسيرات المساحة الكافية لرواية قصصهن بلسانهن.

رابعا: مدى إسهام وسائل الإعلام الفلسطينية في معالجة قضية الأسيرات من وجهة نظر المبحوثات

تشير نتائج الجدول (8) إلى ضعف إسهام الإعلام الفلسطيني في معالجة قضية الأسيرات في الجوانب الجوهرية، خصوصًا ما يتعلق بالضغط على المجتمع الدولي (2.02)، وتحقيق العدالة (2.36)، وإيصال صوت الأسيرات إلى الخارج (2.42). في المقابل، برز بعض الحضور في تقديم القصص المؤثرة (3.27)، وهو عنصر مهم لكنه غير كافٍ لتحقيق معالجة إعلامية شاملة.

يتفق الصحفيون، الذين أجريت معهم مقابلات معمقة، مع هذه النتائج، حيث يؤكد البيتاوي على ضرورة "مخاطبة الإعلام الغربي بلغة يفهمها"، ويرى منى أهمية "ربط القضية بالقانون الدولي" كوسيلة لتفعيل الأثر الخارجي. ومن منظور نظرية المسؤولية الاجتماعية للإعلام، فإن هذا القصور يشكّل تقصيرًا في أداء دور الإعلام في التأثير الحقوقي والإنساني، لا سيما فيما يتجاوز التغطية التقليدية إلى العمل الفعّال في تشكيل الرأي العام وتحقيق العدالة.

تتسق هذه النتائج مع ما ورد في دراسة صعايدة (2023) التي كشفت عن غياب الرواية الفلسطينية في الإعلام الدولي، وبالتالي ضعفٌ في الوصول إلى الجمهور الأجنبي. كما أوضحت دراسة عوايص وآخرون (2022) أن الإعلام الفلسطيني متأخر عن "لغة العالم الحديث وصوت القانون"، وهو ما يعوقه عن التأثير على المجتمع الدولي. وتضيف دراسة كوع وآخرون (2023) أن تغطية القنوات العربية تركزت على "الإطار السياسي والأمني"، ما أضعف الجوانب الإنسانية والقانونية التي تُعدّ مفتاحًا في الضغط الدولي لنصرة الأسيرات.

خامساً: الأساليب الأفضل لمعالجة قضية الأسيرات الفلسطينيات في وسائل الإعلام الفلسطينية

أظهر الجدول (10) توافقًا واضحًا بين تطلعات الأسيرات المحررات ورؤى الصحفيين حول سُبل تحسين الأداء الإعلامي. فقد جاءت أعلى التقييمات من الأسيرات لأساليب مثل "المتابعة المستمرة لقضيتهن" (بمتوسط حسابي 4.67)، "استخدام وسائل التواصل الاجتماعي" (بمتوسط حسابي 4.65)، و"عرض القصص الشخصية بشكل مفصل" (بمتوسط حسابي 4.47)، وجميعها متوسطات مرتفعة، مما يعكس إدراكًا لأهمية الاستمرارية والبُعد الإنساني والرقمي.

يتقاطع ذلك مع ما أبرزه الجدول (8)، حيث ظهر "تقديم قصص مؤثرة" كأعلى تقدير (بمتوسط حسابي 3.27). بينما كانت الإسهامات في "الضغط على المجتمع الدولي" (بمتوسط حسابي 2.02)، و"تحقيق العدالة" (بمتوسط حسابي 2.36)، و"إيصال صوت الأسيرات للعالم" (بمتوسط حسابي 2.42) وهي متوسطات ضعيفة، ما يشير إلى غياب الأثر الحقوقي والدولي للتغطية.

أكد الصحفيون الذين تمت مقابلتهم هذه الفجوة، مشددين على ضرورة التغطية التخصصية والرقمية، وربط القضية بالقانون الدولي (منى، البيتاوي، العامر)، وهي توصيات تتفق مع تقييمات الأسيرات، وتنسجم مع نظرية المسؤولية الاجتماعية التي تؤكد أهمية التغطية العميقة والمستمرة للقضايا الإنسانية.

وتدعم بعض الدراسات السابقة هذه النتيجة، كدراسة عساف والسعدي (2023) في الدعوة إلى تجديد الأدوات الإعلامية، وبصير (2023) في إبراز أهمية التفاعل الإذاعي، ودراسة (Oyeleye & Jiang, 2023) التي شددت على ضرورة تقديم صور إنسانية شاملة للنساء في الإعلام.

سادساً: التحديات التي تواجه تغطية الإعلام الفلسطيني لقضية الأسيرات

تشير مقابلات الصحفيين إلى معوقات متعددة تعرقل تغطية قضية الأسرى، وتتقاطع مع تقييمات الأسيرات في الجدول (12)، ما يعكس ضعف قدرة الإعلام الفلسطيني على أداء دوره وفقًا لنظرية المسؤولية الاجتماعية ووضع الأجندة.

وتبرز قيود الاحتلال كإحدى أهم هذه التحديات، حيث تشمل الاعتقال، والمنع من التغطية، والرقابة العسكرية، وفق ما أشار الصحفيون في المقابلات المعمقة (أبو وردة، البيتاوي، منى، العامر). وتؤكد ذلك بيانات الجدول (12) هذه النتيجة، إذ أن "قيود التغطية داخل السجون" حصل على متوسط حسابي (4.38)، و"صعوبة الوصول إلى معلومات دقيقة" (3.64). وتدعم دراسة اشتية (2022) هذه النتيجة، حيث أشارت إلى صعوبات زيارة السجون ونقل المعلومات.

على الصعيد الداخلي، أشار الصحفيون الذين تمت مقابلتهم إلى ضعف الدعم الرسمي، ونقص الكفاءات، والانقسام السياسي، والرقابة الذاتية، وهي عوامل انعكست في الجدول (12) من خلال عبارات مثل: "ضعف الدعم الحكومي" (بمتوسط حسابي 4.00)، و"غياب التنسيق بين وسائل الإعلام" (بمتوسط حسابي 4.25)، و"افتقار الاستراتيجية" (بمتوسط حسابي 3.98). وتؤيد هذه النتائج دراسة عساف والسعدي (2023) التي أكدت ضعف الابتكار ونقص الموارد.

كما أبرز الصحفيون الذين تمت مقابلتهم أن أحداثًا كبرى، مثل "طوفان الأقصى"، طغت على تغطية الأسرى، ما قلل من الاهتمام الإعلامي اليومي بانتهاكات الاحتلال بحقهم. فالجدول (6) يُظهر أن الإعلام لم يربط الحدث بقضية الأسيرات بشكل كافٍ (متوسط حسابي 2.95).

من منظور المسؤولية الاجتماعية، يتطلب الأمر التزامًا إعلاميًا مستمرًا وشجاعًا يضمن التغطية الشاملة والضغط من أجل العدالة. أما من منظور وضع الأجندة، فإن ضعف الاستمرارية وغياب التخصص، وعدم إدراك أهمية الموضوع وحساسيته، يعوق تصدُّر قضية الأسرى للأولويات الإعلامية، مما يستدعي تبني استراتيجيات رقمية وتخصصية تحفظ حضورها في الوعي العام.

التوصيات

بناءً على النتائج المستخلصة من الجداول والمقابلات، يوصي الباحثان الدراسة بما يلي:

1. تحقيق الاستمرارية والعمق في التغطية الإعلامية الفلسطينية لقضية الأسيرات، من خلال تجاوز التناول الموسمي، عبر تخصيص مساحات إعلامية ثابتة ومستدامة في مختلف الوسائط (المرئية، المسموعة، الرقمية)، وإنتاج محتوى وثائقي واستقصائي يُعالج الجوانب القانونية والإنسانية لقضية الأسيرات، مع بناء ملفات شخصية محدثة للأسيرات المحررات.
2. تفعيل الإعلام الرقمي وتوظيف وسائل التواصل الاجتماعي لإنتاج حملات رقمية مستمرة ومتنوعة (فيديوهات قصيرة، إنفوجرافيك، شهادات مباشرة)، مع استخدام الوسوم المؤثرة وتعزيز التفاعل الجماهيري، وتدريب الكوادر الإعلامية على أدوات الإعلام الرقمي لإنتاج محتوى احترافي يخترق الرقابة ويوصل الرسالة عالميًا.
3. تعزيز التخصصية والتأهيل المهني، حيث يوصي الباحثان بتطوير برامج تدريبية متخصصة بالشراكة مع المؤسسات الحقوقية، تُمكن الإعلاميين من تناول قضية الأسرى من منظور قانوني وإنساني معمق، وإنشاء وحدات إعلامية متخصصة داخل المؤسسات الصحفية تُعنى حصريًا بهذه القضية، مع توفير الموارد الكافية لضمان مهنية التغطية ودقتها.
4. بناء استراتيجية إعلامية وطنية موحدة لمواجهة غياب الرؤية الإعلامية وتشتت الجهود. ويتطلب ذلك تشكيل لجنة وطنية عليا تضم جهات إعلامية وحقوقية، رسمية وأهلية، لصياغة استراتيجية موحدة، تتضمن أهدافًا واضحة، ورسائل محددة، وخطط عمل متعددة المديات، بما يعزز التنسيق ويضمن تكامل الأدوار.
5. الضغط الدولي وربط القضية بالقانون الدولي. فنظرًا لضعف التغطية الحقوقية، يُوصى بإنتاج محتوى موجه للجمهور الغربي، من خلال إعلامه هو، بلغات متعددة، يركز على الانتهاكات القانونية ضد الأسيرات، مع توثيق الشهادات والتقارير بالتعاون مع جهات حقوقية دولية، وتنظيم فعاليات إعلامية عالمية تُسهم في إيصال صوت الأسيرات إلى العالم.
6. إعادة صياغة الرسالة الإعلامية بعد حرب "طوفان الأقصى"، من خلال تطوير خطاب إعلامي جديد يدمج قضية الأسيرات في السياق الأوسع للنكبة المستمرة، مع التركيز على الانتهاكات المتصاعدة، وتقديم القصص الإنسانية الفردية ضمن المشهد العام، بلغة مهنية مؤثرة تتجنب التهويل، وتخاطب الوجدان والرأي العام الدولي.

المراجع

المراجع العربية:

أبو حطب، وليد، والقيق، محمد (2019). دور الإعلام الفلسطيني في تغطية قضية الأسرى: رؤية نقدية. مجلة جامعة بيرزيت للبحوث, 15(1)، 45–62.

أبو زيد، محمد (2018). نظريات الاتصال الجماهيري. دار الفكر العربي.

أبو قوطة، خالد حامد (2018). تغطية النشرات الإخبارية في القنوات الفضائية الفلسطينية والعربية لقضايا الأسرى الفلسطينيين المضربين عن الطعام. مجلة كلية فلسطين التقنية للأبحاث والدراسات، (5)، 437-480.

أبو هلال، فراس (2009). معاناة الأسير الفلسطيني في سجون الاحتلال الاسرائيلي. مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات.

لافي، باسم (2005). الضغوطات النفسية لدى زوجات الأسرى الفلسطينيين وعلاقتها ببعض المتغيرات [رسالة ماجستير غير منشورة. الجامعة الإسلامية]. غزة. فلسطين.

بدر، غادة (2006). أسرانا في سجون الاحتلال الإسرائيلي. دار الحامد للنشر والتوزيع.

بصير، جريس (2023). مدى تواصل الإذاعات المحلية الفلسطينية مع الأسرى وذويهم ودعمهم. مجلة جامعة الاستقلال للأبحاث، 8(00)، 153-176.

"طوفان الأقصى".. أكبر هجوم للمقاومة الفلسطينية على إسرائيل (2023). الجزيرة نت https://www.aljazeera.net/encyclopedia/2023/10/7/طوفان-الأقصى-أكبر-هجوم-للمقاومة

حماد، أحمد (2022). الصورة الذهنية للأسرى الفلسطينيين كما تعكسها الصحافة المحلية. المجلة العلمية لبحوث العلاقات العامة والإعلان، 24(2)، 255–292.

صعايدة، محمد (2023). التغطية الإعلامية الأجنبية لقضايا الأسرى الفلسطينيين في العام 2021. مجلة الاستقلال للأبحاث: 8(0)، 90-108.

العبسي، محمد (2010). مناهج البحث العلمي في العلوم الاجتماعية. دار الشروق.

عساف، محمد، والسعدي، رحاب (2023، 5 أبريل). مدى رضا الجمهور الفلسطيني عن هيئة الإذاعة والتلفزيون الفلسطيني في تناول قضايا الأسرى الفلسطينيي. *مجلة جامعة الاستقلال للأبحاث*، (8خاص)، 1–30.

عملية "طوفان الأقصى": الاستراتيجية الإسرائيلية تجاه غزة (2023). موقع المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات https://2u.pw/WBOui

عوايص، إيهاب، وآخرون (2022). الإعلام الفضائي الفلسطيني في خدمة قضايا الحركة الأسيرة في سجون الاحتلال: دراسة تحليلية. ورقة مقدمة لمؤتمر "قضايا الأسرى في الإعلام". 8(عدد خاص). مؤسسة المؤتمر. غزة. فلسطين.

كوع، معين، وآخرون (2023). تغطية القنوات الإخبارية العربية لقضية الأسرى والمعتقلين الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية: دراسة تحليلية مقارنة لمواقع قنوات الجزيرة والميادين والعربية على الانترنت. المجلة المصرية لبحوث الإعلام: (82)، 511-542.

الفاهوم، وليد (1985). فلسطينيات في سجن النساء الإسرائيلي، طيور نفي ترتسا (ط.1). دار الجليل للنشر.

في يوم المرأة العالمي: 21 أسيرة يتعرضن لجرائم منظمة في سجون الاحتلال الإسرائيلي (2025). هيئة شؤون الأسرى والمحررين. تم الاسترداد من: https://2u.pw/O4DTPTE3

قاسم، عبد الستار، العلي، عبد الرحيم، وآخرون (1986). مقدمة في التجربة الاعتقالية في المعتقلات الصهيونية (ط.1). بيروت. دار الأمة.

قراقع، عيسى (2000). الأسرى الفلسطينيون في السجون الإسرائيلية بعد أوسلو 1993-1999. معهد الدراسات الدولية، جامعة بيرزيت.

اللبان، شريف (2022). الإعلام وإدارة الأزمات الدولية. دار الهلال https://2u.pw/wGvqD

المراجع الأجنبية

- Addameer Prisoner Support and Human Rights Association. (2022). Annual violations report 2022. https://www.addameer.org/reports/annual-violations-report-2022
- Al-Rawi, A. (2020). Media and conflict in the Arab world: A critical introduction. Routledge.
- Awad, T. (2020). Israeli newspapers coverage of Palestinian prisoner hunger strike: A peace journalism perspective. Journal of Arab & Muslim Media Research, 13(2), 183–199.
- Awais, A., & Ahmed, S. (2022). Palestinian satellite media in the service of Palestinian prisoners in Israel's Occupation Prisons. International Journal of Media and Information Literacy, 7(1).
- Khamis، S. (2015). The Palestinian media: Between repression and resistance. In Zelizer, B. & Allan, S. (Eds.), Journalism after September 11 (pp. 213–230). Routledge.
- Masri, M., Freija, S., & Ayyash, S. (2023). The role of Palestinian documentaries in addressing the issues of Palestinian prisoners and detainees. Dirasat: Human and Social Sciences, 50(6), 1283–1297.
- Oyeleye O. A., & Jiang, S. (2023). Women in the War: A Gendered Analysis of Media Coverage of the Russian-Ukraine War. Journal of International Women's Studies, 24(7), 1-17.

Issue - 25 - Part 1- December - 2025 - Year 4 Refereed Quarterly Scientific Journal

American International Journal of Humanities and Social Sciences

ISSUED BY AMERICAN INTERNATIONAL ACADEMY FOR HIGHER EDUCATION AND TRAINING

QUARTERLY JOURNAL ON HUMANITARIAN AND SOCIAL AFFAIRS

(ISSN) Electronic (4806 - 3085) / (ISSN) Paper (4830 - 3085)

Legal deposit number in the Moroccan National Library (2025PE00006)

Legal deposit number in the Iraq National Library and Archives (2735)

Journal Website : https://iajphss.us/